

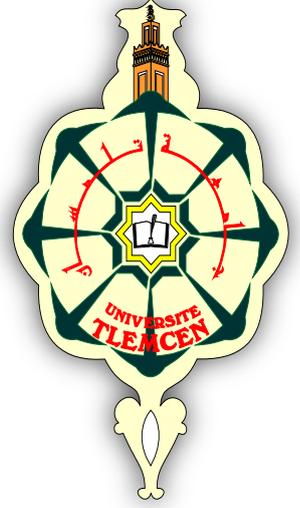
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

تخصص: الدراسات اللغوية

## الجهود اللغوية عند فلاسفة الأندلس

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الجليل مرتاض

إعداد الطالب:

محمد بوعلي

السنة الجامعية : 2017 - 2018م / 1438 - 1439هـ

# الإهداء

إلى روح والدي الكبير جدِّي الذي  
كان يحب العلم والمعرفة ويشجع  
أبناءه وأحفاده باستمرار على  
طلب العلم.

أهدي هذا الجهد.

## شكر وتقدير:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نشكر الله على نعمه التي لا تقدّر ولا تحصى ومنها توفيقه تعالى على إتمام هذا العمل، وأتقدّم بالشّكر والامتنان إلى من ربّتي وأنارت دربي وأعانتي بالصّلوات والدّعوات، إلى الأمّ الغالية، وإلى من عمل بكّد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الكريم أدامه الله لي.

وأتقدّم بجزيل الشّكر والتّقدير إلى الأستاذ المشرف الدّكتور عبد الجليل مرتاض على قبوله الإشراف على هاته الرّسالة وعلى دعمه وتوجيهاته القيّمة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما يسرّني كذلك التّوجه بالشّكر والتّقدير إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الكرام على قبولهم مناقشة هذه الرّسالة.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والصلاة والسلام على المصطفى الذي أرسله الله بالحق مبشراً ونذيراً وشاهداً وهادياً وسراجاً منيراً وعلى آله وصحبه الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبعد

فإنَّ الحديث عن الجهود اللغوية لفلاسفة الأندلس يفصح عن جانب هام من حياة اللّغة العربية التي كتب لها أن تخرج من شبه الجزيرة العربية لتجتاح العديد من أصقاع العالم بفعل نزول القرآن الكريم بها. ويتفق الباحثون في تاريخ اللّغة العربية على أن أعظم حدث في تاريخ هذه اللّغة هو ظهور الإسلام وما أعقب ذلك من فتوحات للبلدان الممتدة في وسط آسيا حتى غرب أوروبا، فلم تكن العربية قبل الإسلام إلا لغة الأعراب المقيمين في شبه الجزيرة العربية وبعض مناطق الشام والعراق.

لقد ارتبط فتح بلاد الأندلس بهجرة مجموعات بشرية استقرت هناك واختلطت بالسكان الأصليين بفضل سماحة الإسلام وليونته، فذابت ثقافة السكان الأصليين في ثقافة الوافدين العرب، وبقيت اللّغة العربية لغة الفاتحين والمقيمين فاكتسبت مكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي المتعدد الأعراق والثقافات.

ومع بداية العصر الأموي في الأندلس تغيرت الصورة الاجتماعية في الدولة الإسلامية وحرص الأندلسيون على تنشئة أبنائهم على العربية لأنها كانت اللّغة الرسمية للدولة الإسلامية، ولغة الدين والعلم والتواصل، وأقبل عليها الأعاجم فحذقوها وتعلموها وألفوا بها الكتب بل ونظموا بها الشعر.

ومع ازدياد الرغبة لدى الأندلسيين لدراسة القرآن الكريم والسنة الشريفة ولفهم أحكام الإسلام وشرائعه والاطلاع على الثقافة المشرقية ازداد الاهتمام باللّغة العربية وأقبل العلماء على دراسة نحوها وصرفها وبلاغتها ومعجمها، وانتقلت كتب المشرق إلى بلاد الأندلس وازدهرت الحركة العلمية في ظل التطور الحضاري الذي شهده العالم الإسلامي.

وكان للفلاسفة نصيبهم الأوفر في الاهتمام باللّغة العربية لكونها أداة التفكير والحاملة للفكر الفلسفي وبقدر ما تكون اللّغة متطورة رفيعة بقدر ما تكون قادرة على الخوض في جميع قضايا الفكر. لذلك وجدنا فلاسفة الشرق بدءً بالفارابي والكندي وابن سينا، وجابر بن حيان يؤلفون في قضايا النحو والصرف والصوت والبلاغة والمعجم والدلالة.

وإذا جننا إلى فلاسفة الغرب الإسلامي وتأملنا مساراتهم العلمية وجدنا لهم جهودًا معتبرة في الدراسات اللّغوية لا تقل أهمية عن إخوانهم المشاركة بل إنهم تفوقوا عليهم في العديد من القضايا كمّا ونوعًا.

وإذا كان علماء اللّغة والنحو في الأندلس قد انكبوا على دراسة مستويات اللّغة انطلاقًا من مؤلفات البصريين والكوفيين والبغداديين، وأقاموا لأنفسهم مدرسة نحوية امتازت باعتماد الحديث الشريف مصدرًا في الاحتجاج واعتمدوا النظم التعليمي فإن الفلاسفة إنما دخلوا هذا الباب أولاً لأن العربية التزمها الإسلام التزامًا شديدًا فكانت لغة الحكم والسياسية والفقهاء والعبادة والأدب الرفيع، ثانياً إن اطلاع الفلاسفة المسلمين على التراث اليوناني والمنطق الأرسطي جعلهم يقفون على جوانب الاختلاف والتداخل في نحو العديد من اللّغات وفي اصطلاحاتها فأفضى بهم الأمر إلى تناول اللّغة العربية بالدراسة من جميع مستوياتها فجاؤوا بالكثير.

وهو الأمر الذي جعلني ألتفت إلى جهودهم التي غفل عنها الدارسون أو أصابها النسيان، وأخصص أطروحاتي للبحث فيما جاء به فلاسفة الأندلس بغية الوصول إلى الإجابة عن إشكاليات مطروحة وهي:

1- ما مدى أهمية الجهود التي جاء بها هؤلاء في خدمة اللّغة العربية على لسان الحضارة العربية الإسلامية.

2- ما هي الدوافع التي كانت وراء اهتمام فلاسفة الأندلس بالدرس اللّغوي العربي.

3- ما طبيعة التفكير اللّغوي الذي تبناه فلاسفة الأندلس في دراسة قضايا اللّغة العربية ومعالجة مستوياتها.

4- هل استطاع فلاسفة الأندلس تجاوز الإشكال اللّغوي في إحداث فلسفة لغوية عربية انطلاقاً من التراث اليوناني والفارسي.

5- ما منهج فلاسفة الأندلس في معالجة أمر اللّغة من حيث النشأة والتطور وعلاقة العربية باللّغات العالمية المتزامنة معها.

6- هل كانت هناك علاقة اتصال بين الفلاسفة واللّغويين والنحاة وما نوع هذا الاتصال إن وجد.

7- كيف كان الفلاسفة الأندلسيون يتصورون مستقبل اللّغة العربية في ظل تعدد وظائفها في المجالات الدينية والأدبية والعلوم العقلية، وهل كان منظورهم للّغة عقلانياً أم دينياً. وفوق هذا وذلك ما هو تصورهم لدور اللّغة العربية في المجتمع الأندلسي المتعدد الأعراق والتوجهات الثقافية وحتى السياسية وأين كانت العضلات التي عانت منها اللّغة العربية آنذاك.

إن هذه القضايا هي التي دعتنا إلى تناول هذه الدراسة منقبين عن الجهود التي بذلها ابن حزم وابن رشد وابن مسرة وأترابهم من فلاسفة الأندلس، ذلك

أنا نروم الوقوف على ما تمثله هذه الجهود في المسار الحضاري للغة الضاد، وما تمثله لنا اليوم.

وقد قسمنا البحث إلى الفصول الآتية:

- المدخل: يتناول اهتمام الفلاسفة المسلمين مشرقاً ومغرباً بالقضية اللغوية والتأليف التي خلفوها في طبيعة أصواتها وصرفها ونحوها ودلالاتها.
- الفصل الأول: خصصناه للبيئة الأندلسية التي أثمرت جواً علمياً كان له البعد الحضاري الكبير في دفع الحضارة العربية الإسلامية إلى مقدمة الحضارات العالمية فتعرضنا فيه إلى المجال الجغرافي والنظام الاجتماعي والسياسي للمجتمع الأندلسي.
- وجاء الفصل الثاني للحديث عن المباحث اللغوية عند ابن حزم الأندلسي الظاهري بدءاً بالمبحث الصوتي الذي خصه بذكر جهاز التصويت المنتج للأصوات وصفات العديد من الأصوات اللغوية ثم المنطوق اللّهجي الأندلسي في العديد من الجهات والمدن الأندلسية ثم المبحث اللّغوي والنحوي الذي خصص له حديثاً مطولاً مستعرضاً نظريات نشأة اللّغة ووظيفة النحو في الحفاظ على سلامة اللّغة ولم تخل رسائله من وقفات في البلاغة والدلالة والترادف والتعريب والترجمة.
- وأما الفصل الثالث فتناول الجهود الرشدية في الدراسة اللّغوية والتي مسّت قضايا مثيرة يتصدرها مؤلفه الموسوم: الضّروري في صناعة النحو، الذي ضمّنه ما يراه صالحاً يخدم العربية وحذف ما كان يراه ليس ضرورياً وعدّه ترفاً علمياً وهي رؤيا متقدمة جداً في قضايا النحو العربي، ولابن رشد مباحث متناثرة في مؤلفاته الفلسفية مسّت

مستويات عدة من صوت وصرف ودلالة وبلاغة ذكرها خلال استعراضه لجوانب فقهية أو فلسفية أو سياسية أو فكرية كما كان له السبق في اختراع العديد من المصطلحات العلمية حيث وجد العربية مطواعة في ذلك عن طريق الاشتقاق والنحت والتعريب.

● وخصصنا الفصل الرابع للحديث عن الفلاسفة المقلين في مجال الدرس اللغوي وهم: ابن مسرّة، وابن الكتّاني، وابن باجّة، وابن طفيل وهم وإن لم يخصّصوا مساحات للحديث عن الدرس اللغوي مستقلاً، فإنهم اهتموا باللّغة العربية اهتماماً بالغاً وخاضوا في أمر ألفاظها وتراكيبها وحاولوا تجنب الأساليب الفلقة في تأليفهم وذهب بعضهم إلى إثارة قضايا تمس الجوانب الجمالية فألف ابن الكتّاني كتاب التشبيهات وقد كان ميدان البحث في جماليات التشبيه لشعراء أندلسيين التي وقف عليها ضمن أبواب معنونة وفق موضوعاتها، وألف ابن مسرّة رسالة في خواص الحروف وحقائقها وأصولها تناولها الشيخ كامل محمد محمد عويضة بالتحقيق والدراسة طبعها دار الكتب العلمية بيروت عام 1993. وأشار بأني حاولت خلال هذه الفصول إجراء مقارنة بين جهود هؤلاء الفلاسفة كونهم عاشوا في حقبة واحدة بينهم وبين غيرهم من المشاركة وحتى مع بعض اللغويين والنحاة على نحو ما فعلت مع ابن رشد وابن مضاء في الدعوة المشتركة بينهما إلى إعادة النظر في بعض قضايا النحو العربي وذلك بغية إزالة الغموض للوقوف على عمق الإشكال، لأن القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً هو الدرس اللغوي العربي، وإن اختلفت مناهج كل فريق ومناهج كل فيلسوف.

• وأما الخاتمة فكشفت نتائج البحث التي توصلت إليها ثم ذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

وأثناء تتبعي لجهود الفلاسفة اللغوية اعتمدت على المنهج التاريخي في ذكر الأحداث والوقائع والتعرض لسير الفلاسفة، وتطور الظاهرة اللغوية عندهم ثم المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستقراء أثناء التعرض لطبيعة الأبحاث اللغوية لدى هؤلاء الفلاسفة وقد وجدت نفسي أقارن جهود هؤلاء الفلاسفة بعضهم بعضاً ثم مع غيرهم من العلماء اللغويين الذين عاصروهم أو سبقوهم ومع بعض فلاسفة الشرق لذلك استعملت المنهج المقارن.

ومن العناصر التقليدية في مقدمات الرسائل العلمية أن يعدد الباحثون الصعوبات التي واجهتهم أثناء البحث، وإن كنت لا أذكر هذه الصعوبات فليس ذلك أني لم أتعرض لها، لكن لأنني لا أعدها صعوبات أو مشكلات إنما هي جزء من عملية البحث، ولعلها الجزء الأساسي فيه، والذي لولاه لفقدت عملية البحث العلمي كثيراً من أهميتها ومتعتها الناتجة عن المعاناة.

وبالنسبة لجمع المادة العلمية فقد اعتمدت مدونة علمية وفيرة تنصدها مؤلفات الفلاسفة الأندلسيين أذكر منها رسائل ابن حزم الأندلسي وكتابه الأحكام في أصول الأحكام، وكتابه التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية تحقيق احسان عباس، وكتب ابن رشد ومنها الضروري في صناعة النحو تحقيق منصور عبد السميع، وكتاب تلخيص الخطابة تحقيق عبد الرحمن بدوي، ومن مؤلفات ابن طفيل قصته المشهورة حي بن يقظان، ومن كتب ابن باجة كتاب النص تحقيق محمد الصغير حسن المعصومي، وكتاب التشبيهات لابن الكتاني، وكتاب خواص الحروف وحقائقها لابن مسرة.

بالإضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة منها كتاب في رحاب اللغة العربية لعبد الجليل مرتاض وكتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس بالإضافة إلى بعض أطروحات الدكتوراه التي تمت مناقشتها بالجامعة الجزائرية.

ومهما يكن فإنّ هذا الجهد يبقى مقلّاً، ويبقى البحث فيه قائماً مفضياً إلى تحصيل نتائج أكثر عمقاً ودقّةً، ولا يسعني في آخر هذا الطواف العلمي بهذا الموضوع إلا أن أسجل عرفاني الكبير بجهود أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث وتولاه بالرعاية والتوجيه بما كان يسديه من توجيهات نيرة سدّدت خطى جميع طلبته نحو الجدية العلمية والعمل الفعّال، ومهما أطنبت في الحديث فلن استوفي علمية الأستاذ حقها، فأسأل الله له دوام الصحة والعافية وأن يجازيه عنا وعن خدمة العلم خير جزاء.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل للسادة الأساتذة الأفاضل أعضاء اللّجنة الذين سيعملون على تصويب هفوات هذا العمل، وسأبقى مدينا لهم بهذا الفضل.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

سورة النمل الآية 19.

تلمسان في: 18 جمادى الأولى 1439 هـ الموافق لـ 04 فبراير 2018م

الطالب محمد بوعلي.

## المدخل: الفكر اللغوي لدى الفلاسفة المسلمين.

- تمهيد.
- 1- أبو نصر الفراءى.
- 2- كتاب الحروف للفراءى.
- 3- الجهود الصوتية عند الفلاسفة المسلمين.
- 4- الفلاسفة المسلمون والتراث اليونانى.
  - 1-4- الكندى.
  - 2-4- الرازى.
  - 3-4- الفراءى.
  - 5-4- ابن سينا.
  - 6-4- ابن الهيثم.
  - 7-4- البيرونى.
  - 8-4- ابن رشد.
- الخلاصة.

## - تمهيد:

شارك الفلاسفة المسلمون نظراءهم اللغويين والنحاة في الدرس اللغوي العربي بفعالية وجدية، وكان لمشاركتهم نصيب في فهم اللغة على نحو لا نجده لدى النحاة من أهل الاختصاص اللغوي، وقد يفهم من هذا أنهم أدخلوا المنطق في الدرس النحوي على نحو ما فعل كثير من النحاة الذين تأثروا بالمنطق، فحلا لهم أن يدخلوا شيئاً من النظر المنطقي الذي حمل الضيم على الدرس اللغوي عامة، وقد أشار الدكتور عبد الجليل مرتاض أن المنطق الأرسطي دوى في النحو العربي على أيدي اللغويين، وأن عينة من المصطلحات الأرسطية قد بلغ صداها مسامع نحاة عرب متأخرين بدليل ما نجد آثارا لها مبنوثة في كتب ودراسات النحو العربي كالذي نقرأه عند الزجاجي وهو يتحدث عن الاسم: «ولأن المنطقيين وبعض النحويين قد حدّوه جدّا خارجا عن أوضاع النحو، فقالوا: الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان، وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المنطقيين، وإن كان قد تعلق به جماعة من النحويين...» ويعلق الدكتور عبد الجليل مرتاض متسائلا: ما الذي أفاده النحو العربي من المنطق الأرسطي، فيقول: «إن من يتصفح المصطلحات التي استعملها الرعيل الأول من النحويين العرب المتقدمين، والتي سجلها سيبويه بعيد وفاة الخليل لا دخيل فيها من المصطلح الأجنبي، بل حتى بعض المصطلحات الأرسطية المترجمة في فترة متأخرة لم تضاف شيئا جوهريا إلى المصطلح اللساني العربي»<sup>1</sup> وستبدل بكلمة "رباط" التي استعملها بعض النحاة المتأخرين عوض "الأداة" المستعملة لدى

<sup>1</sup> - عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص29.

الكوفيين و "الحرف" عند البصريين، ويقول بأنها لم تضاف شيئاً وإنما هي من البذخ الفلسفي لا أكثر<sup>1</sup>.

ولكننا نرجع إلى إبراز الدافع لاهتمام الفلاسفة بالفكر اللغوي، قد لا يكون ذلك لغرض خدمة اللغة وتطويرها وصيانتها من اللحن كما هو عند اللغويين وإنما كان هذا الفكر معيناً للفلاسفة في خدمة الأغراض الفكرية.

ومن هؤلاء الأعلام الذين شغلوا باللغة نذكر:

### 1- أبو نصر الفارابي:

أبو نصر الفارابي أشهر من أن يعرف، رائد الفلسفة الإسلامية ولد عام 260هـ/874م وتوفي عام 336هـ/950م وصل إلى بغداد وهو يعرف اللسان التركي ولغات أخرى، ثم تعلم العربية وأتقنها غاية الإتقان واشتغل بالحكمة<sup>2</sup>، وقد أتيح له في بغداد أن يدرس النحو العربي على أبي بكر بن السراج، ويقراً عليه ابن السراج في الوقت نفسه علم المنطق كما أشار إلى ذلك ابن أبي أصيبعة<sup>3</sup>.

ويبدو من قراءة المادة التاريخية أن كلاً من الفارابي وابن السراج قد أفاد من الآخر، «وإن قدر هذه الفائدة يتبين من استقراء مادة الفارابي ومادة ابن السراج، لقد شاع أن النحو العربي قد أفاد من منطق أرسطو في التقسيمات والحدود لدى طائفة من الباحثين في عصرنا، وذهب آخرون إلى أبعد من هذا وذلك أن مادة القواعد النحوية الجوهرية استعيرت من نحو اللغات القديمة ولا

<sup>1</sup> - عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، الطبعة الثانية، 2007م، ص30.

<sup>2</sup> - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (دط)، 1398هـ/1978م، 76/3.

<sup>3</sup> - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره أوجست ملر (امرؤ القيس الطحان)، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، إعادة طبعة القاهرة، 1416هـ-1995م، 134/3.

سيما الإغريقية»<sup>1</sup>والحقيقة أن المنطق الأرسطي لم يكن معروفا في البيئة العربية مبكراً معرفة كافية خصوصاً أيام الخليل وسيبويه، ولكن ذلك لا يعني أن هذا المنطق كان بعيداً جداً عن أيديهم، ولا ينبغي أن ننكر أن أوجه التشابه بين المنطق والنحو في قضية التعليل تمثل عنصراً أساسياً في المنهج النحوي عند العرب<sup>2</sup>. ومن الخطأ أن نتصور أن العرب كانوا يعيشون في عزلة محكمة وأنهم أنشأوا من العلوم ما أنشأوا بدوافع داخلية بحتة وبقدراتهم الخاصة، فالمصادر تشير إلى جهود الفلاسفة المسلمين في الدرس النحوي قائمة وأن العرب لم يكونوا كذلك مجرد نقلة بل إن جهود الرعيل الأول كانت عربية خالصة نشأت في بيئة وثقافة خاصة وإن طبيعة الحياة تقتضي التشارك والتأثر في القضايا العلمية والفكرية.

لقد كان للفراي تأثيره الواضح في كتابات ابن السراج ومحدثاته «فلقد قال في حكاية له مع الزجاج النحوي حين سأله الزجاج في مسألة فأخطأ في الجواب: "أنا تارك ما درست مذ قرأت الكتاب" يعني كتاب سيبويه لأنني شغلتُ عنه بالمنطق والموسيقى، وأنا أعاود، فعاود ما صنف»<sup>3</sup>، وقد ألف ابن السراج كتاب الأصول اعتمد فيه على كتاب سيبويه وجعل أصنافه بالتقاسيم متأثراً في ذلك بمنطق الفلاسفة ومن هنا نعرف أن النحو العربي التقى مع المنطق والفلسفة في القرن الثالث الهجري وهو قرن الفلسفة.

لقد كان للفراي نشاط في الدراسات اللغوية تؤكد آثاره التي خلفها والتي كانت محط عناية لدى الدارسين وقد تضمنت هذه الكتب نفحة فلسفية ومنطقية، وهي:

<sup>1</sup> - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 79/3.

<sup>2</sup> - إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل- بيروت، ط1، 1990، ص56.

<sup>3</sup> - مجلة الفيصل، العدد65، السنة السادسة، أيلول 1982، ص36.

- 1- كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، حققه محسن مهدي من نشر دار المشرق بيروت.
- 2- كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، من نشر دار المشرق، بيروت.
- 3- كتاب التنبيه على سبيل السعادة، من نشر حيدر آباد، 1346هـ.
- 4- فصول تشتمل على جميع ما يضطر إلى معرفته من أراد الشروع في صناعة المنطق، نشره دنلوب.
- 5- كتاب الموسيقى الصغير والموسيقى الكبير.
- 6- كتاب القياس الصغير أو كتاب المختصر الصغير في كيفية القياس، نشر توركر.

وفي هذه المؤلفات وغيرها عرض لمباحث منطقية وفلسفية وسياسية يبدو أثر علوم اللغة فيها جلياً.

ومن المفيد أن نعرض للعلاقة بين علم المنطق وعلم اللغة لنتبين كيف كان النقاش في عصر الفرابي بين الفلاسفة واللغويين وقد سجل أبو حيان التوحيدي المناظرة التي دارت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى بن يونس في بغداد وحضرها عدد من أهل العلم والاختصاص منهم علي بن عيسى الرّماني وكانت هذه المناظرة نصرًا أحرزه النحاة على المناطقة، فقد نجح السيرافي في الرد على أبي بشر متى بن يونس ودحض حُجَجَه وأظهره بمظهر الجاهل للغة والنحو، وكانت هذه المناظرة مفخرة اللغويين، وأكد أن يكون الفرابي قد علم بهذه المناظرة فجال في الدرس اللغوي صوتًا وصرافًا ونحوًا.

## 2- كتاب الحروف للفرابي:

يتفق الدارسون أن كتاب الحروف الذي ألفه الفراهي هو في حقيقته تفسير لكتاب: "ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس" إلا أن بين الكتابين فروقا ظاهرة سببها كما يرى الدارسون أن الفراهي أفاد من علم اللّغة العربية مواد كثيرة، فلم يتكئ على الألفاظ والمعاني التي جاء بها أرسطو طاليس بل اعتمد على الشواهد العربية، وأهمل أبويًا من كتاب أرسطو طاليس لم يتناولها بالشرح.

بحث الفراهي في مادة حدوث الحروف وألفاظها أن ما يسمى حروف المعاني عند اللّغويين من النحاة هو ما يسمى عند المناطقة بالأدوات وسمائها الفراهي: الحروف التي وضعت دالة على معان<sup>1</sup>.

جاء في كتاب سيبويه: باب علم ما في الكلم من العربية، فالكلم اسم وفعل وحرف جاء ليس باسم ولا فعل... وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحو هذا، وقد جاء مثل هذا عند الفراهي غير أنه يطلق كلمة ألفاظ على ما أفادته مادة "كلم" عند سيبويه، والكلم عند الفراهي هي الأفعال عند النحاة العرب، أما الأسماء والحروف فالإتفاق بين النحويين وأهل المنطق حاصل فيها.

يتحدث الفراهي عن إنَّ ضمن الفصل الثاني الباب الأول فيقول: «أما بعد فإن معنى إنَّ، الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء، وموضع "إنَّ" و "أنَّ" في جميع الألسنة بيّن وهو في الفارسية كاف مكسورة حينا وكاف مفتوحة حينا، وفي اليونانية "أن" و "أون" وكلاهما الوجود الكامل "إنَّية" الشيء أي هو بعينه وماهيته»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- مجلة الفيصل، العدد 65، السنة السادسة، ص27.

<sup>2</sup>- الفراهي أبو نصر ت339هـ، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت- لبنان، 1970، ص61.

ويبدو أن أهل المنطق تصرفوا بالعربية من حيث الاشتقاق على نحو لم يعرفه أهل العربية، فهم أول من استعمل ما يسمّى "المصدر الصناعي" فقالوا "العالمية" من العلم و"الإنسانية" من الإنسان، وتوسعوا في ذلك حتى صار مادة من مواد اللّغة، وقد هيّأوا من ذلك مادة اصطلاحية لكثير من مصطلحات العلم الجديد في العصور القديمة<sup>1</sup>، وإن كان البعض يعزي المصطلح الصناعي للحملوي.

### 3- الجهود الصوتية عند الفلاسفة المسلمين:

تحدث الفرابي أيضا عن آلية النطق وكيفية حدوث الأصوات فيقول: «وظاهر أن تلك التصويّيات إنما تكون من القرع بهواء النفس لجزء أو أجزاء من حلقة أو شيء من أجزاء ما فيه، وباطن أنفه أو شفتيه، فإن هذه هي الأعضاء المقرّوعة بهواء النفس، والقارع أولاً هو القوة التي تسرّب هواء النفس من الرئة وتجويف الحلق أولاً فأولاً إلى طرف الحلق الذي يلي الفم من أجزاء باطن الفم، وإلى جزء من أجزاء أصول الأسنان، وإلى الأسنان، فيقرع به ذلك الجزء، فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويّت محدود وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم، فتحدث تصويّيات متوالية كثيرة محدودة»<sup>2</sup>.

أكثر أبو علاء المصري من الشاهد بأقوال النحاة واللّغويين العرب وعرض للاختلاف النحوي بين الكوفة والبصرة والاختلاف بين القراء، بل وأكثر من ذلك كان مطلعاً على اختلاف اللّهجات بين العرب خصوصاً الحجاز

<sup>1</sup> - مجلة الفيصل، السنة السادسة، العدد 65، ص28.

<sup>2</sup> - الفرابي أبو نصر ت339هـ، كتاب الحروف، ص135.

وتميم<sup>1</sup> «واستفاد فخر الدين الرازي (ت604هـ) من التراث النحوي القديم في دراسته للأصوات تمثل ذلك في نقله لكثير من آراء اللغويين نحو قوله: ذكر علي بن عيسى الرّماني عن النحاة أن مخارج الحروف ستة عشر ونحو قوله: أجمعوا على أنه لا يُمالُ لفظ الرحمن وفي جواز إمالته قولان للنحويين: أحدهما أنه يجوزن ولعله قول سيبويه»<sup>2</sup>.

تحدث الفلاسفة المسلمون عن كل ما له علاقة بالصوت فعرفوه وميزوا بينه وبين الحرف كما تحدثوا عن الأسباب المؤدية إلى حدوثه، فحدّدوا خصائصه، وكيفية انتقاله من ذلك أن إخوان الصفا تحدثوا عن أصوات اللّغة من حيث عددها ومخارجها وعيوبها الناشئة عن اضطرابات التكلم، كما تحدثوا عن الألفبائية العربية وعدد الرموز فيها<sup>3</sup>.

ومع مطلع القرن الخامس الهجري طلع ابن سينا (ت427هـ) بمؤلف فريد من نوعه في الأصوات عالج فيه الأصوات بطريقة لم تُتَّح لسابقه، فقد أفاد من دراسته الطبية والطبيعية، فقدم وصفا تشريحيًا لبعض أعضاء النطق ثم لمخارجها وصفاتها وذلك بدقة متناهية<sup>4</sup>، ثم أخذت المصوتات حقها على يد ابن رشد القرطبي (ت595هـ) الذي درس الأصوات من مصدرها الأساس وهو

---

<sup>1</sup> - أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984، ص254.

<sup>2</sup> - فرح ديدوح، الدرس الصوتي عند المفسرين في القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه 2016، جامعة تلمسان، ص30

<sup>3</sup> - فرح ديدوح، الدرس الصوتي عند المفسرين في القرن السادس الهجري، ص30.

<sup>4</sup> - محمد الصالح الضالع، علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط، دت، ص13.

القراءات القرآنية، ونبّه على أن الدارس في هذا المجال، لا بد أن يكون ملماً بكثير من الجوانب والعلوم أهمها: علم التشریح<sup>1</sup>.

#### 4- الفلاسفة المسلمون والتراث اليوناني:

إن رصد تأثير الفلسفة اليونانية في الحضارة العربية الإسلامية موضوع واسع يحتاج إلى دراسة وافية وسأكتفي باستعراض موجز إلى أثر هذا الفكر في إبداعات أشهر الفلاسفة المسلمين، الذين بذلوا جهوداً جبّارة للحصول على كتب اليونان ودراستها واستيعابها ومن هؤلاء أذكر:

4-1- الكندي (ت252هـ): لقب فيلسوف العرب، وجاءت مؤلفاته لتعالج

الموضوعات نفسها التي تناولتها الفلسفة اليونانية، وكان يقول دائماً أنه تلميذ أرسطو، قام بتفسير وتلخيص العديد من المؤلفات اليونانية في كتبه مثل كتاب: أغراض كتاب إقليدس، وكتاب تقريب قول أرخميدس، والطب البقراطي، وقصد أرسطو في المقولات.

4-2- الرازي (ت320هـ): تأثر الرازي تأثراً كبيراً بالتراث الفلسفي

اليوناني لدرجة أنه لقب: جالينوس العرب، وتؤكد مؤلفاته هذه الحقيقة مثل كتابه اختبار النبض الكبير لجالينوس، والشكوك والمناقضات في كتب جالينوس، والعلم الإلهي على رأي أفلاطون وغيرها<sup>2</sup>.

4-3- الفارابي (ت339هـ): درس الفارابي الفلسفة في بغداد على يد

العالم يوحنا بن حيلان، وأخذ عنه صناعة المنطق يقول ابن أبي أصيبعة: «إن الفارابي فاق جميع المسلمين في صناعة المنطق

<sup>1</sup> - محي الدين صبري الكردي، جامع البدائع، حقوق الطبع محفوظة للناسر، ط1، 1921، ص20.

<sup>2</sup> - نفسه، ص24.

فشرح غامضها وكشف سرّها وقرب تناولها وعرف طرق استعمالها»<sup>1</sup>، أصبح الفارابي أستاذًا للفلاسفة يدرسون على يديه صناعة المنطق، ويقول ابن سينا «إنه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو أربعين مرة دون أن يفهم ما فيه حتى قرأ كتاب الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة، فعندئذ انفتح عليه ما كان غامضًا وسئل الفارابي: من أعلم أنت أم أرسطو؟ فقال: لو أدركته لكنت أكبر تلاميذه»<sup>2</sup> ولقد لقب الفارابي بالمعلم الأول ومن مؤلفاته المتعلقة بالتراث اليوناني: شرح كتاب المجسطي، وكتاب البرهان، وكتاب القياس، وكتاب الخطابة<sup>3</sup>.

4-5- ابن سينا (ت438هـ): درس كتب المنطق لأرسطو، وكتب إقليدس وبطليموس وغيرها واستوعب مبادئ الفلسفة اليونانية «ولقد صبّ التراث الطبي اليوناني ومعارف العرب الطبية في كتابه الضخم: "القانون في الطب"، الذي يُعد مفخرة التفكير العربي المنظم ونهاية ما وصل إليه من عبقرية»<sup>4</sup>.

4-6- ابن الهيثم (ت430هـ): الذي لخص الكثير من كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وأفاد منها.

4-7- البيروني (ت443هـ): الذي كانت ثقافته يونانية وحذا في تأليف كتابه: القانون المسعودي، حذو كتاب المجسطي لبطليموس.

<sup>1</sup> - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 80/3.

<sup>2</sup> - مجلة العربي، العدد 653، أبريل 2013، ص126.

<sup>3</sup> - نفسه، ص127.

<sup>4</sup> - نفسه، ص126.

4-8- ابن رشد (ت595هـ): وقد كان أعظم المتخصصين في فلسفة أرسطو إبان العصور الوسطى حتى أن دانتي أطلق عليه في الكوميديا الإلهية لقب الشارح الأكبر.

ولقد امتد تأثير الثقافة اليونانية في العديد من المجالات الفكرية والأدبية العربية حيث وصل التأثير إلى اللغة العربية، فالعديد من الدارسين يرون أن في كتاب سيبويه ما يدل على أثر المنطق في قواعد النحو التي أتى بها سيبويه، كما بدأ تأثير الثقافة اليونانية في مؤلفات الجاحظ الذي كان على بينة من التراث اليوناني.

#### - الخلاصة:

مما تقدم نلاحظ أن العناية بالدرس اللغوي كانت مع بدايات اللحن وما نتج عنه من فساد في اللغة، وهو مجال نال العناية القصوى وتناوله العلماء بالبحث على اختلاف تخصصاتهم من نحاة ومعجميين وبلاغيين، وكان للفلاسفة دور هام وأدلووا فيه موظفين مناهجهم التي تعتمد على العقل متأثرين بما اكتسبوه من علوم في الفلسفة والمنطق فجاءت أبحاثهم متقدمة حتى على زمانهم، ولعل ذلك ما أسهم في تطوير اللغة العربية وتنميتها.

## الفصل الأول: بواعث الرقي الحضاري في الأندلس

- 1- بلاد الأندلس الموقع والتاريخ.
  - 1-1- الأصل اللغوي لكلمة الأندلس.
  - 1-2- أهمية الموقع الجغرافي.
  - 1-3- طبيعة الأندلس الفاتنة.
  - 1-4- تاريخ الأندلس الإسلامي.
- 2- مسيرة العلم والتنوير في الأندلس.
  - 3- العلوم التي دخلت الأندلس.
    - 3-1- العلوم الدينية.
    - 3-2- علوم اللغة والأدب.
  - 4- هجرة كتب اللغة والأدب من العراق إلى قرطبة.
  - 5- الحركة اللغوية في الأندلس.
  - 6- نحاة الأندلس.
- 7- إسهام الترجمة في إنكفاء روح الحضارة في الأندلس.
  - 7-1- مفهوم الترجمة.
  - 7-2- فائدة الترجمة.
  - 7-3- نشأة حركة الترجمة عند المسلمين.
  - 7-4- مظاهر الترجمة في بلاد الأندلس.

## 1- بلاد الأندلس الموقع والتاريخ:

### 1-1- الأصل اللغوي لكلمة الأندلس:

الأندلس هو الاسم العربي لشبه الجزيرة الأيبيرية، يرى الدارسون أن أصل هذه الكلمة أعجمي ويرى آخرون أنها عربي نسبة إلى «الأندلس بن طوبال بن يافت»<sup>1</sup> ويقال إن كلمة الأندلس مشتقة من القندال الذين استولوا على هذه البلاد حقبة من الزمن، وهذا ما أورده المقرّي رحمه الله حين قال: «أول من سكن الأندلس على قديم الأيام فيما نقله الاخباريون من بعد الطوفان على ما يذكره العلماء قوم يعرفون بالأندلش (معجمة الشين) بهم سمي المكان فعرب فيما بعد بالسّين غير المعجمية، كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها، وتداولوا ملكها دهرًا على دين التّمجّس والإهمال والإفساد في الأرض»<sup>2</sup>.

ويجمع الدارسون أن تسمية الأندلس تطلق على جميع فترات العهد الإسلامي التي مكث فيها المسلمون في اسبانيا على جميع القسم الذي سيطروا عليه.

وفي بناء لفظ "أندلس" رأيان الأول أنهم يضمون الدال والثاني أنهم يفتحونها، وهي كلمة أعجمية لم تستعملها العرب قديما وإنما عرفت في الإسلام، وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف اللام إلا أن الشاعر حذفهما في قوله:

<sup>1</sup> - علي الجارم، قصة الأندلس، بيروت- لبنان، ط2، 1978، ص10.

<sup>2</sup> - المقرّي، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر- بيروت، 1998، 122/1.

سَأَلْتُ الْقَوْمَ عَنْ أُنْسٍ فَقَالُوا \*\*\* بَأَنْدَلَسَ وَأَنْدَلُسُ بَعِيدُ

وأندلس بناء مستنكر فتحت الدال أو ضمت، وإذا حملت على قياس التصريف وأجريت مجرى غيرها من العربي فوزنها فَعَلَّلُ أو فَعَلَلُ، وهما بناءان مستنكران ليس في كلامهم مثل: سفرجل<sup>1</sup>.

وذكرها صاحب معجم ما استعجم في حرف الألف\* فقال: «واسم الأندلس في اللغة اليونانية إشبانيا والأندلس بقعة كريمة طيبة كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة، وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص. والأندلس آخر المعمور في المغرب لأنها متصلة ببحر أقياس الأعظم الذي لا عمارة وراءه، والأندلس شامية في طبيعتها وهوائها، يمانية في اعتدالها، واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جياتها، صينية في جوهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة والفلسفة»<sup>2</sup>.

## 1-2- أهمية الموقع الجغرافي:

تقع بلاد الأندلس في القارة الأوروبية وهي تمثل إسبانيا في الوقت الحالي، وقد كانت تعرف قديماً بشبه الجزيرة الأيبيرية، تحدها شمالاً وجنوباً البحر الأبيض المتوسط وتطل على المحيط الأطلسي غرباً، لها تضاريس متنوعة من جبال في شكل سلاسل تقع أراضيها كجبال سيراموريا والهضاب مثل هضبة مسينا والسهول المنبسطة المحايدة الواقعة بين الهضاب والجبال كما تخترق أراضيها مجموعة من الأنهار أعطتها جمالاً وحسناً مناخها معتدل بشكل عام،

<sup>1</sup>- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، المجلد4، ص262.

\* هو أول معجم جغرافي عربي لمؤلفه عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت484) وصف فيه جغرافية بلاد العرب والإسلام- ينظر المسالك والممالك لأبي عبيدة البكري الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، 1992، 81/2.

<sup>2</sup>- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد4/263.

فشمالا يسود المناخ الأوربي وفي الجنوب يسود المناخ المغاربي وبذلك غدت الأندلس مقصدا للسياح<sup>1</sup>.

### 3-1- طبيعة الأندلس الفاتنة:

بلاد الأندلس جميلة فقد بلغت فتنة الطبيعة بها حدًا أثار قريحة الشعراء، فقد انتظمت في جبالٍ وأنهارٍ وحقولٍ وشواطئٍ وبحارٍ ومدنٍ جميلة مثل غرناطة وطليلطة وقرطبة وإشبيليا وبلنسيا وغيرها، بالإضافة إلى البرك والرياض الأنيقة، وهناك ألف لون ولون من ألوان الحياة المترفة الناعمة، فغدت ميدانًا واسعًا للعيش الرخي الهانئ، وهذا ما جعل ابن خفاجة يصف نعيمها بقوله:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ لِّلّهِ دَرْكُمُ \*\*\*\*\* مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ

مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ \*\*\*\*\* وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذَا كُنْتُ أَخْتَارُ

لَا تَحْتَشُّوْا، بَعْدَ ذَا، أَنْ تَدْخُلُوْا سَقْرًا \*\*\*\*\* فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ<sup>2</sup>

### 4-1- تاريخ الأندلس الإسلامي:

حقق المسلمون تقدمًا واسعًا في شمال إفريقيا ووصلوا إلى المغرب الأقصى المواجهة لشبه جزيرة أيبيريا (الأندلس)، وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك (86هـ - 96هـ)، وقد فتحت على يد القائد البربري طارق بن زياد تحت إمارة موسى بن نصير الذي توجه من مصر إلى القيروان لهذا الغرض، وذلك عام 92هـ الموافق لـ 711م.

فخضعت الأندلس للخلافة الأموية إلى غاية (132هـ) تاريخ سقوط بني أمية فحاول العباسيون إلحاق الأندلس بخلافتهم إلا أن فرار عبد الرحمن الداخل

<sup>1</sup> - علي الجارم، قصة الأندلس، ص26.

<sup>2</sup> - ابن خفاجة، الديوان، تحقيق محمد الفارون الطباع، دار القلم، بيروت، ص113.

الملقب بصقر قريش ولجوئه إلى الأندلس حال دون ذلك، فأسس الأمويون هناك مسجد قرطبة والحمامات والمدارس والمكتبات على شاكلة ما بني في دمشق وبغداد<sup>1</sup>.

وقد قسم المؤرخون التاريخ الأندلسي إلى عصور معينة هي:

أولاً/ عهد الفتح الذي استمر حوالي أربع سنوات ما بين 92هـ إلى 95هـ (711م- 714م).

ثانياً/ عهد الولاية من 95هـ إلى 138هـ (714م- 755م) وقد حكم الأندلس في هذا العهد عشرون والياً كانوا تابعين للخلافة في دمشق.

ثالثاً/ عهد الإمارة من 138هـ إلى 316هـ (755م- 929م).

رابعاً/ عهد الخلافة 316هـ إلى 400هـ (929م- 1009م).

خامساً/ عهد الطوائف من 400هـ إلى 484هـ (1009م إلى 1091م).

سادساً/ عهد المرابطين والموحدين 484هـ إلى 620هـ (1091م إلى 1223م).

سابعاً/ عهد مملكة غرناطة (620هـ) إلى (897هـ) حيث قامت دولة بني الأحمر التي استمرت ما يزيد عن القرنين والنصف حتى نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) 1492م الذي يمثل سقوط غرناطة ونهاية الحكم الإسلامي للأندلس وذهاب سلطة المسلمين منها نهائياً<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ط2، 1981، ص116.

<sup>2</sup>- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ص38-39-40.

## 2- مسيرة العلم والتنوير في الأندلس:

كان خلفاء بني أمية في الأندلس أهل أدب وعلم وقادوا مسيرة العلم والتنوير بأنفسهم فقد ازدهرت الحركة الفكرية كثيرًا في عهد الناصر، وفي عهد ابنه الحكم المستنصر (350هـ - 366هـ) وكان لإنشاء جامعة قرطبة والمكتبة الأموية الكبرى الفضل في نشر العلوم وتطويرها، وتوافد الأوربيون من البلدان المجاورة إلى المدن الأندلسية يتعلمون وينهلون مبادئ العلوم والمعرفة.

وقد شغف أهل قرطبة بجمع الكتب واقتنائها وإنشاء المكتبات وتعاون في ذلك المسلمون والنصارى واليهود في ظل حكم أعطى الحريات ووفر ملذات العيش الكريم ووفر الأمن والسلام.

ووفد المشاركة إلى بلاد الأندلس كما سافر الطلاب إلى دمشق وبغداد والقيروان وجميع الحواضر الإسلامية فانتشرت المذاهب الدينية والفرق الفكرية وأقبل الناس على حفظ القرآن الكريم ومتون الحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة العربية. وساهمت الشريعة الإسلامية السمحة بما وفرته من عدالة ومساواة ورفع الحرج والتدرج في الأحكام على رواج المذاهب والأفكار ودخول الفلسفات الشرقية والغربية وبذلك ساد الأندلس حركة علمية وفكرية لم تعرفها شعوب المنطقة من قبل.

## 3- العلوم التي دخلت الأندلس:

يذكر الدارسون أن هناك العديد من العوامل التي ساهمت في انتقال العلوم من المشرق العربي إلى بلاد الأندلس أهمها:

أ- دعوة العلماء المشاركة إلى الأندلس للإفادة من علمهم، من ذلك دعوة أبي علي القالي صاحب كتاب الأمالي والذي كان له الفضل في إرساء العديد من قواعد العلوم في اللّغة والأدب.

ب- رحلة الطلاب الأندلسيين إلى المشرق العربي ممن ندبوا أنفسهم لتحصيل علم من علوم المشاركة ثم العودة إلى الأندلس لنشر ذلك العلم بين أهله.

ت- جمع الكتب وإقامة المكتبات العامة يؤمها الدارسون والباحثون.

ث- اهتمام الخلفاء والأمراء الأندلسيين بالعلم والعلماء والتنافس في تقريبهم فقد كانوا يستوزرون العلماء ولم يقفوا بمعزل عن الحركة العلمية في الأندلس.

ويرتب الدارسون العلوم التي انتشرت في الأندلس على النحو الآتي:

### 3-1- العلوم الدينية:

وشملت علوم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وذلك أمر طبيعي فأى بلد دخلها الإسلام إلا واهتم أهلها بالقرآن الكريم لأنه دستورهم، فيه قانون حياتهم وبه تنتظم عقيدتهم وهو أصل المعرفة، ويعد علم القراءات أول علم نال الاهتمام الأوفر فانتشرت في البلاد قراءة نافع أبي نعيم القارئ المدني المتوفى عام(169هـ) فكانت البداية الحقيقية في الاهتمام بعلم القراءات الذي أولاه الأندلسيون العناية القصوى<sup>1</sup> وقام الإمام ورش تلميذ نافع المتوفى عام(197هـ) بنشر هذه القراءة والدعوة لها.

<sup>1</sup>- ينظر طه عبد الحميد أبو عبيدة، كتاب الحضارة الإسلامية، ص 484.

وأما علم الحديث فقد عرف الأندلسيون مادته العلمية مبكرًا واعترفوا بأفضليته فهو عندهم أصل في الاحتجاج اللغوي، ويعد كتاب الموطأ للإمام مالك - رضي الله عنه- من أوائل كتب الحديث التي دخلت قرطبة، ومن العلماء الذين ساهموا في تأصيل هذا العلم والتأسيس له نذكر: معاوية بن حُذير الحمصي<sup>1</sup>، وصعصعة بن سلام أبي عبد الله الشَّامي الذي كانت على يده البداية الحقيقية لانتشار علم الحديث في قرطبة (ت 192هـ) ويعد أول من أدخل إلى الأندلس المذهب الفقهي للإمام الأوزعي<sup>2</sup>.

كما نجد تأسيس المذهب الظاهري الذي نظَّر له الإمام والعالم اللغوي والمفكر ابن حزم الأندلسي.

### 3-2- علوم اللُّغة والأدب:

حظيت علوم اللُّغة والأدب بعناية الأندلسيين كثيرًا، وغدت اللُّغة العربية هي السائدة في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بل وفي الحياة اليومية للأندلسيين الذين تعددت أعراقهم وجنسياتهم وانصهروا في بوتقة الحضارة الإسلامية العربية، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللُّغة العربية بسرعة فائقة والإقبال عليها نجد:

- أنها لغة الدِّين الإسلامي الذي اعتنقه السُّكان ودخلوا فيه طواعية وباقبال كبير.
- أنها لغة الحكم والإدارة التي قامت بتعريب الدواوين والمعاملات التجارية ولذلك وجد الناس أنفسهم مجبرين على تعلم هذه اللُّغة.

<sup>1</sup>- هو أبو عمرو معاوية بن صالح بن عثمان بن حذير بن سعيد ولد بحمص عام 80هـ وتوفي بقرطبة عام 168هـ: (ينظر مجلة الدراسات التاريخية والحضارية العدد 14 السنة 2012).

<sup>2</sup>- هو عبد الرحمن الأوزعي عالم لغوي ولد عام 88هـ أنشأ مذهباً سمي باسمه، توفي سنة 157هـ (ينظر مجلة الدراسات التاريخية والحضارية العدد 14/2015).

- هجرة الأندلسيين إلى بلاد المشرق العربي للأخذ عن العلماء ورواية الأصول عنهم فالتقوا هناك بالأصمعي (ت 216هـ) والسجستاني (ت 250هـ) والكسائي (ت 188هـ) وغيرهم من علماء اللغة<sup>1</sup>.
- وصول كتب المشاركة من بغداد إلى قرطبة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين والتي تداولها الأندلسيون وأدخلوها في برامجهم التعليمية، وقامت عليها الحركة اللغوية والأدبية بالأندلس، ومن العلماء الذين أثروا الساحة الأندلسية في الدرس اللغوي: أبو علي القالي (ت 356هـ) الذي عدّه البعض من خيرة من وفدوا الأندلس، «فقد استقدمه عبد الرحمن الناصر (ت 350هـ) لتأديب ابنه، وكان أبو علي قد تتقف كثيراً على شيوخه وخاصة ابن دريد، والأخفش، ويعد أبو علي القالي أول من أسس علوم اللغة في الأندلس، فهو الذي أدخل الكتب اللغوية ودواوين المشاركة فضلاً عن ذلك أنه اهتم بالتدريس وعليه تخرجت الطبقة الأولى من اللغويين»<sup>2</sup>.

#### 4- هجرة كتب اللغة والأدب من العراق إلى قرطبة:

من الكتب التي دخلت قرطبة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين والتي تداولها الأندلسيون وأدخلوها في تدريسهم وقامت عليها الحركة اللغوية بالأندلس نجد:

<sup>1</sup> - علي الجارم، قصة الأندلس، ص 129.

<sup>2</sup> - دفاق عمر، رائد التأليف المعجمي في الأندلس أبو علي القالي، مجلة التراث العربي، العدد 09، السنة 2، دمشق.

- كتاب الكسائي (ت188هـ) استقدمه جودي بن عثمان<sup>1</sup> الذي قام برحلة إلى المشرق، وتلقى فيها علوم العربية، والتقى بالكسائي وأخذ عنه كتابه في النحو وأدخله قرطبة كما التقى في رحلته بالفراء (ت270هـ) تلميذ الكسائي، نال كتاب الكسائي شهرة كبيرة واهتماماً بالغا عند الأندلسيين، وقامت عليه شروح عديدة<sup>2</sup>، ولعل ذلك كان السبب في انتشار النحو الكوفي في بلاد الأندلس قبل النحو البصري.
- كتاب سيبويه (ت181هـ) دخل كتاب سيبويه قرطبة عن طريق عالمين، الأول محمد بن موسى بن هاشم بن زيد أبي عبد الله القرطبي المعروف بالأفشنيق رحل إلى المشرق ولقي أبا جعفر الدينوري وانتسخ منه كتاب سيبويه من نسخته وأخذه عنه رواية. والثاني هو محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي المعروف بالربّاحي (ت352هـ) الذي كان موجوداً بمكة فسمعه من عالم اللغة المشهور ابن العرابي بمصر عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن النحاس الذي أخذ عنه كتاب سيبويه، وهو الذي أدخل كتاب الأخفش (ت210هـ)، وهو بصري عاش في بغداد، ويسمى كتابه: "الأوسط في النحو" كما نقل كتاب المقضب في النحو لأبي العباس المبرد البصري البغدادي (ت285هـ)<sup>3</sup>.

- كتاب الجمل للزجاجي (ت339هـ): وهو كتاب أفرده مؤلفه لقواعد النحو والصرف، وألحق به فصلاً عن الخط والإملاء، وقد حضي بشهرة واسعة لدقته واستيعابه لدقائق النحو التي يحتاجها أي دارس،

<sup>1</sup> - جودي بن عثمان مولى لآل طلحة رجل من المشرق فلقى الكسائي والفراء وأخذ عنهما له تأليف في النحو بعنوان: منبه الحجاره. (ينظر طبقات النحويين والبلاغيين للزبيدي، ص256).

<sup>2</sup> - ينظر طبقات النحويين والكوفيين، ص257.

<sup>3</sup> - جداين سميرة، الاحتجاج بالحديث الشريف عند الأندلسيين، مقال في مجلة اللغة العربية، العدد34، 2015، ص34.

إلا أنّ المصادر الأندلسية لم تشر إلى تاريخ محدد لدخول هذا الكتاب إلى قرطبة، غير أن هناك عالم من أنطاكية هو علي بن محمد بن اسماعيل الأنطاكي الذي دخل قرطبة سنة (352هـ) فحدّث بهذا الكتاب وأخذه عنه أبو عثمان سعيد ابن محمد النحوي القرطبي<sup>1</sup>.

- كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت255هـ) أدخله إلى قرطبة فرج بن سلّام أبوبكر القرطبي الذي أخذه رواية عن صاحبه.
- كتاب الكامل للمبرد (ت280هـ) أدخله إلى قرطبة عالمها محمد بن علاق البواب (ت325هـ) وقد سمعه عن الأخفش.
- كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة (ت276هـ) الذي رواه أبو علي القالي البغدادي المهاجر إلى الأندلس ضمن الكتب التي رواها ونشرها في قرطبة<sup>2</sup>.
- الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد: ومنها كتب الأصمعي عبد الملك بن قريب (ت216هـ) وفيها كتاب الوحوش والإبل، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه.
- كتب أبي حاتم سهل بن محمد السّجستاني البصري (ت250هـ) منها كتاب الحشرات، كتاب الفرق، وكتاب الطير، وكتاب فعلت وأفعلت<sup>3</sup>.
- معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) وقد حمله أبو علي القالي، وذكر الزبيدي أن أول من أدخل معجم العين إلى الأندلس هو ثابت بن عبد العزيز السّرّقُسطي عام(313هـ)<sup>4</sup>.

## 5- الحركة اللغوية في الأندلس:

<sup>1</sup> - ينظر ابن عبد الله المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح إحسان عباس، السفر4، دار الثقافة، بيروت، دط، دت، ص44.  
<sup>2</sup> - طه عبد الحميد، الحضارة الإسلامية، ص580.  
<sup>3</sup> - طه عبد الحميد، الحضارة الإسلامية، ص584.  
<sup>4</sup> - نفسه، ص590.

بدأ الاهتمام باللُّغة في الأندلس انطلاقاً من القراءات نظراً لارتباطها بالقرآن الكريم الذي كان يومئذ مهد الحركة الفكرية وانطلاق الحياة الثقافية الجديدة، فقد اهتم الأندلسيون اهتماماً بالغاً بعلم القراءات، فكانت البداية مع عبد الرحمن بن موسى الهواري (ت226هـ)، الذي دخل الأندلس في فترة إمارة عبد الرحمن الداخل (ت172هـ)، ونُسب إلى أهل الأندلس إضافاتٍ كثيرة في ميدان القراءات يمكن أن نعدّها مدرسة لها علماءؤها وأسسها، وقد بدأت مع بداية القرن الخامس الهجري، ومن روادها نذكر:

- 1- أبا محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) قيرواني الأصل، نزل قرطبة، وعمل مدرّساً فكان أستاذ المجودين له كتاب التبصرة والتذكرة في القراءات السبع<sup>1</sup>.
- 2- أبا عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي (ت444هـ) كان شيخ المشايخ المقرئين من كتبه جامع البيان في القراءات السبع وطرقها المشهورة والغريبة.
- 3- أبا القاسم الشاطبي (ت590هـ) كان إماماً كبيراً يتميز بذكاء عجيب كثير الفن آية من آيات الله تعالى، حافظاً للحديث بصيراً بالعربية، وإماماً في اللُّغة والأدب مع الزهد والعبادة<sup>2</sup>، من مؤلفاته: حرز الأمانى المعروف بالشاطبية، اختصر فيها كتاب التيسير في القراءات وهو عبارة عن منظومة يحتوي ألفاً ومئة وثلاث وسبعين بيتاً<sup>3</sup>، يقول ابن خلكان: «أبدع فيها كل الإبداع، ومن يشغل بالقراءات يلزم عليه حفظها في بادئ الأمر لأنها تمثل عمدة القراءة وهي تشتمل على

<sup>1</sup> - طه عبد المقصور، الحضارة الإسلامية، ص850.

<sup>2</sup> - ابن خلكان، وفيات الأعيان، 283/2.

<sup>3</sup> - أبو القاسم الشاطبي، متن الشاطبية، 122/2.

رموز عجيبة وإشارات لطيفة»<sup>1</sup>، وقال فيها ابن الجزري: «عجز  
البلغاء من بعده عن معارضتها وعرف هذا الكتاب شهرة وقبولاً»<sup>2</sup>.

## 6- نحاة الأندلس:

يتفق الدارسون أن الأندلسيين عرفوا نحو الكوفة قبل أن يعرفوا نحو  
البصرة، وذلك لأن كتاب الكسائي وصل الأندلس قبل كتاب سيبويه وبذلك  
يكون:

1- جودي بن عثمان (ت198هـ) من أوائل نحاة الأندلس فقد رحل إلى

بغداد وأخذ النحو بها عن الإمام الكسائي والفرّاء<sup>3</sup>.

2- الأفسنيق محمد بن موسى بن هشام (ت307هـ) هو أول من أدخل

كتاب سيبويه إلى الأندلس وعلمه لطلبة قرطبة<sup>4</sup>.

3- عبد الله بن حرشن، ذكره الزبيدي ضمن الطبقة الثانية من نحاة

الأندلس وقال عنه: «كان عالماً باللّغة العربية وأخذ النحو عن جودي

بن عثمان»<sup>5</sup>.

4- عبد الله بن سوار بن طارق القرطبي (ت275هـ) رحل إلى المشرق

وتلقى العلم عن أبي حاتم الرياشي وعن الحسن بن عرفة، روى عنه

محمد بن حباد الإشبيلي<sup>6</sup>.

5- عبد الملك القرطبي المالكي (ت289هـ) جمع علم النحو علم الفقه

والحديث والأدب، له كتاب في إعراب القرآن الكريم وفي شرح

الحديث<sup>1</sup>.

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 283/2.

2- ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، 47/1.

3- محمد بن عمار، تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، 43/1.

4- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص262.

5- نفسه، ص259.

6- نفسه، ص260.

6- دَرَوْدُ بن المنذر بن عبد الله بن سالم القرطبي (ت324هـ) كان كفيًا،

شرح كتاب الكسائي وكان من أهل الشعر والحديث والنحو<sup>2</sup>.

7- الربّاحي محمد بن يحيى بن عبد السلام (ت358هـ) كان عالمًا بالعربية

مطلعًا على علم الكلام والمنطق، رحل إلى المشرق، ولقي أبا جعفر

بن النحاس فأخذ عنه كتاب سيبويه مشافهة، قام بتعليم أبناء ملوك

الأندلس، وتولّى ديوان الاستفتاء.

8- أبو بكر بكر الزبيدي النحوي (ت380هـ) صاحب معجم طبقات

النحويين واللّغويين، كان واحد عصره في علم النحو تتلمذ على أبي

علي القالي وأخذ عنه العربية، صنّف العديد من المصنفات أهمها

مختصر العين، وأبنية سيبويه، وما يلحن فيه عوام الأندلس، وطبقات

النحويين واللّغويين<sup>3</sup>.

9- مكّي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) كان من أهل التبّخر في علوم

القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، مجودًا للقرآن، أقرأ الناس بجامع

قرطبة وخطب به، من تأليفه: إعراب القرآن، والموجز في القراءات،

والهداية في التفسير<sup>4</sup>.

10- الأعم الشنتمري يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي

(ت476هـ) من أهل شنتمرية العرب، كان عالمًا باللّغة ومعاني

الأشعار، صنّف العديد من المصنفات منها: شرح الجمل، شرح ديوان

المتنبي<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 82/2.

<sup>2</sup> - نفسه، 83/2.

<sup>3</sup> - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 85/2.

<sup>4</sup> - نفسه، 298/2.

<sup>5</sup> - نفسه، 349/2.

11- ابن سيدة الأندلسي (ت448هـ) كان إماماً في اللّغة، نادرة وقته لم يعرف في زمانه من هم أعلم منه في اللّغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها، من مؤلفاته الخالدة المحكم الذي يقارب العشرين مجلداً والمخصّص وكتاب الأنيق في شرح الحماسة، وكتاب شرح إصلاح المنطق<sup>1</sup>.

12- أبو القاسم السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله (ت581هـ) كان عالماً فاضلاً كبير القدر في علم العربية، بارعاً في اللّغة والقراءات يجمع بين الرواية والدراية، عارفاً بعلم الأنساب وعلم الكلام والأصول، ترك تصانيف جليلة من بينها: الروض الأنف، وكتاب نتائج الفكر، وكتاب التعريف والأعلام بما أبهم في القرآن من الأعلام<sup>2</sup>.

13- ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) أخذ كتاب سيبويه عن ابن الرماك كان متقدماً في علم العربية تولى القضاء فأحسن السيرة وعدل، فعظم قدره فصار ذا شأن كبير، من تصانيفه التي بلغت الآفاق كتاب الرد على النحاة، والمشرق في النحو<sup>3</sup>، شنّ ابن مضاء القرطبي ثورة على نحاة المشرق فيما يتعلق بنظرية العامل والعلل والقياس متأثراً بظاهره الفقهية التي أخذها عن شيخه ابن حزم الأندلسي الظاهري.

14- ابن عصفور الإشبيلي (ت699هـ) حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، قال عنه ابن الزبير: أخذ العربية عن الشّلوبيين وعن الدّباح

<sup>1</sup>- القفطي، أنباء الرواة على أنباه النحاة، 225/2.

<sup>2</sup>- الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللّغة، ص106.

<sup>3</sup>- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 266/1.

وأقبل عليه الطلبة من تصانيفه: المقرَّب في النَّحو، والممتع في التصريف، ومختصر المحتسب<sup>1</sup>.

15- ابن مالك الأندلسي (ت672هـ) عالم نحوي جليل بلغت شهرته الآفاق بما ألف من نظم في النحو ممثلاً في الألفية المسماة ألفية لابن مالك<sup>2</sup>.

16- أبو حيان الأندلسي الغرناطي (ت745هـ) أخذ القراءات عن أبي جعفر بن الطباع والعربية عن ابن أبي الأحوص، وابن الصائغ. كانت لأبي حيان مكانة مرموقة بين علماء اللُّغة وذلك راجع لمكوناته الذاتية واستعداده الفطري ولمواظبته وحرصه على التلقّي ولقاء الشيوخ والأئمة.

## 7- إسهام الترجمة في إنكاء روح الحضارة الأندلسية:

### 7-1- مفهوم الترجمة:

الترجمة في اللُّغة من الفعل الرباعي تَرَجَّمَ بمعنى بيان الكلام وتوضيح معانيه وتفسير مقاصده، وترجم كلام غيره نقله من لغة إلى لغة أخرى والترجمان هو المفسّر للسان وجمعه تراجم<sup>3</sup> قال المتنبي:

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ \*\*\* فَمَا يُفْهَمُ الْحَدَاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ<sup>4</sup>

وترجمة حياة علم من الأعلام ذكر سيرته الذاتية.

<sup>1</sup> - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 222/2.

<sup>2</sup> - نفسه، 112/1.

<sup>3</sup> - الفيروزآبادي، تاج العروس (مادة ترجم).

<sup>4</sup> - المتنبي، الديوان.

والترجمة في الاصطلاح تعني نقل كلام من لغة إلى لغة نصوصًا وكتبًا وعلومًا<sup>1</sup>.

### 7-2- فائدة الترجمة:

الترجمة عمل ثقافي ينتج عنه إحداث ثقاف طويل الأمد عند الجماعات والأمم والأفراد، تساهم في نقل العلوم والمعارف من حضارة إلى حضارة ومن أمة إلى أمة، وتساهم في تقارب الشعوب، وتكامل الحضارات، وهي قديمة قدم المجتمعات الانسانية فقد احتاج الإنسان إلى الاطلاع على ما في أيدي الغير وإلى ما أنتجه من فكر وثقافة، فحدثت الترجمة وتواصلت الشعوب مع بعضها البعض، وهي ليست وليدة عصر معيّن بل إنها ظاهرة إنسانية.

تساهم الترجمة في تطوير اللّغة بذاتها سواء كانت عربية أم أجنبية بما تكسبه من مفردات وتعابير وأبنية تفرضها عملية البحث عن إيصال المعنى وتحقيق الفهم، كما تسهم في تفعيل الحوار بين الأمم والشعوب فيحدث التلاقح الفكري ويتم تبادل الآراء والأفكار والرؤى والمشاريع العلمية، وتعمل على توحيد المعايير العلمية والعقود التجارية والمصطلحات العلمية المتداولة في مختلف التخصصات ومن شأنها أيضًا أن تضيّق هوة الخلاف بين الأمم والشعوب.

### 7-3- نشأة حركة الترجمة عند المسلمين:

برزت حركة الترجمة بقوة في المجتمع العربي أوائل العصر الأموي حيث ذكر في بعض المصادر أن خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بحكيم آل مروان أرسل إلى الإسكندرية في طلب بعض الكتب في الطبّ والكيمياء لترجمتها إلى العربية بعد أن أقصي من الخلافة عن طواعية واستقدم لذلك

<sup>1</sup> - محمد الحاج يعقوب، مقدمة في فن الترجمة، ص05.

بعض الفلاسفة من مصر، وكان هذا أول نقل في الإسلام للعلوم من لغة أجنبية إلى اللغة العربية<sup>1</sup>، واستكمل الخلفاء جهود خالد بن يزيد فقد اصطحب الخليفة عمر بن عبد العزيز أحد علماء مدرسة الإسكندرية بعد أن أسلم على يده فاعتمد عليه في صناعة الطب<sup>2</sup>.

ثم تطورت حركة الترجمة واتسعت دائرتها في العصر العباسي بفضل تشجيع الخلفاء ورعايتهم للعلماء فقد فتحوا أبواب بغداد لعلماء الدنيا وأجزلوا العطاء لهم وقربوهم، وغدت الترجمة ركنًا من أركان السياسة العباسية، فترجمت علوم اليونان والفرس والهنود والصينيين، فنقل اسحاق بن حنين كتب أبقراط وجالينوس في الطب والفلسفة، ونقل ابن المقفع كتاب كليلة ودمنة، ولما كثر العلماء أنشأ لهم الخليفة هارون الرشيد في بغداد بيت الحكمة وأصبحت بمثابة أكاديمية علمية يجتمع في رحابها العلماء والمعلمون والمتعلمون، وتضاعف نشاط بيت الحكمة بتولي المأمون الخلافة بعد وفاة هارون الرشيد.

وبذلك حدث تأثير كبير للحضارات العالمية في الحضارة الإسلامية فقد كان تأثير الحضارة الفارسية قويًا في مجال الأدب والحكمة والفلسفة والفلك والهندسة والجغرافيا، وكان لليونان تأثير بالغ في العلوم العقلية تمثل في نقل علوم المنطق والرياضيات والفلسفة، وأخذ العرب عن الهنود علم الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والصيدلة والرياضيات.

#### 4-7- مظاهر الترجمة في بلاد الأندلس:

نشطت الترجمة في الأندلس بعد أن انتقلت إليها علوم بغداد من جهة وبعد أن أقيم جسر التواصل مع أوروبا نظرًا للموقع الجغرافي والتقارب العرقي للدخول في الإسلام من شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط، فانتشرت

<sup>1</sup>- ابن النديم، الفهرست، 94/1.

<sup>2</sup>- طه عبد الحميد، الحضارة الإسلامية، ص231.

المؤلفات المترجمة النافعة في العلوم المختلفة وتنافس الناس على اقتنائها ودراستها وساعد على هذه الحركة العلمية وازدهارها عدة عوامل أهمها:

- 1- اعتناء الملوك والولاة بالعلم وتشجيعهم وإكرامهم للعلماء.
- 2- تولي العلماء المناصب المهمة والعالية في الدولة واحترام الناس لهم وتقديرهم كما هو الحال في أمر ابن حزم صاحب التصانيف الذي تقلد منصب الوزارة وكابن رشد القرطبي الذي تولى منصب قاضي القضاة.
- 3- الاحتكاك الديني بين المسلمين والمسيحيين والجدل الذي دار بين رجال المسيحية وفقهاء الإسلام، الأمر الذي أدى إلى ترجمة المؤلفات الدينية المسيحية المقدسة.
- 4- استقرار الوضع السياسي والتحرر من سلطة الكنيسة.

وقد نهض بعبء الترجمة أصناف عدة من المجتمع الأندلسي فكان العرب المسلمون يترجمون من العربية وإليها، وكان اليهود يترجمون من العربية إلى العبرية، وكان المسيحيون يترجمون من اللاتينية إلى العربية ومن العربية إلى مختلف اللغات الأوربية.

لقد اندهش الأوربيون حين كانوا يفدون إلى مدن الأندلس مما كان يدور في حلقات العلم الإسلامية من تعليم مختلف مجالات العلم والفكر والفنون، ولما لم تف الترجمة بالغرض أمام الزخم العلمي الهائل للمسلمين راح الأوربيون يتعلمون اللغة العربية وظهرت عندهم فكرة الاستعراب (الاستشراق) وبرز مستشرقون درسوا علوم الحضارة العربية الإسلامية وتاريخ العرب المسلمين.

وعلى غرار بيت الحكمة في بغداد نشأت في الأندلس مدرسة طليطلة للترجمة في القرن الثاني عشر الميلادي وضمت مجموعة من المترجمين

العظماء وضعوا شروحا لفلسفة أرسطو كما فعل ابن رشد، وقام رديرنالشُستري بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة، كما ترجمت كتب كثيرة من العربية في علوم الفلك والرياضيات خصوصا كتب الخوارزمي وجابر بن حيان وغيرهما.

مرت حركة الترجمة في الأندلس بدورين:

- الدور الأول/ تمت فيه ترجمة المؤلفات الأوربية إلى العربية من ذلك كتاب الزراعة لكولومبلا، وكتاب التاريخ العام لأوروسيس، وكتاب الاشتقاق لايزدور، وكتاب التقويم (لمنازل القمر) لكنسي، وترجم حفص القومي المزامير<sup>1</sup> وكتاب إقليدس.
- الدور الثاني/ وتمت فيه الترجمة من العربية إلى اللاتينية فقد كانت أوربا لا تملك من الفلسفة اليونانية إلا القليل، فاعتمدوا على ما ترجم من أفكار الفارابي وابن سينا والرازي وابن رشد، الذي وضع ثلاثة مستويات من الشروح والتعليقات على جميع مصنفات أرسطو، وأضاف إليها فيما بعد تعليق على جمهورية أفلاطون، وقد ترجمت هذه الأعمال إلى اللاتينية على يد مايكل سكوت ثم ترجمت إلى العبرية.

وكان لابن طفيل التأثير البالغ في الفكر الأوربي عند ترجمة روايته الفلسفية حي بن يقظان<sup>2</sup>.

ويتفق الدارسون أن الغرب مدين للحضارة العربية الإسلامية بمعرفة الأرقام ومن ضمنها الصفر الذي حل المشكل العويص الذي كانت تواجهه العمليات الرياضية ويعد جريرت دي أورياك أول من أدخل الأرقام العربية إلى

<sup>1</sup>- شاكور نوري، منفي اللغة، نشر دبي للثقافة، ط1، 2011، ص357.

<sup>2</sup>- نفسه، ص358.

أوروبا ثم تبنت أوروبا الأرقام العربية (1-2-3-4-5-6-7-8-9-10) رسمياً وتخلت على الأرقام الرومانية المعقدة رسمياً عام 1202م على يد العالم ليوناردو دي بيزا المتوفي عام 1240م والذي درس الرياضيات على يد معلم عربي في المغرب العربي بمدينة بجاية<sup>1</sup>.

أما في الكيمياء فقد كانت مؤلفات جابر بن حيان أشهر ما تداوله الأوربيون في علم الكيمياء حتى القرن الثامن عشر الميلادي ومن خلال هذه المؤلفات عرفت أوروبا عمليات التكليس، والتبخير، والتقطير، والتبلور، وتحضير الكثير من المواد الكيماوية مثل الشبّ وأكسيد الزرنيخ وغيرها، كما كانت لمؤلفات الرازي شهرتها مثل سر الأسرار الذي نقله جيرار الكريمونيلي اللاتينية<sup>2</sup>.

وأما في الفلسفة فقد اهتم الأوربيون بما وصل إليه العلماء العرب في الأندلس على يد ابن باجة وابن طفيل وابن حزم وابن رشد الذي قام بشرح منطق أرسطو اعتماداً على النسخة اللاتينية التي نقلت عن اليونانية وكانت ترجمتها قلقة وغامضة، وبذلك عرف الأوربيون عن طريق العرب معالم الفلسفة اليونانية.

«وأما أثر التصوف الإسلامي في نشأة التصوف الأوربي فجاء عبر ترجمة مؤلفات الصوفي الغزالي، فقد تم ترجمة كتاب التهافت والنفس الإنسانية خلال القرن الثاني عشر، وترجم كتاب المقاصد من قبل المترجم جند يسالبة إلى اللاتينية، وقد أثر الغزالي في فكر العالم الفرنسي المشهور باسكال صاحب الحجة المشهورة في إثبات وجود الآخرة والتي تسمى رهان باسكال حيث حاول

<sup>1</sup> - نفسه، ص359.

<sup>2</sup> - عالم المعرفة، العدد16، ص112.

إقناع المنكرين للآخرة الإيمان بوجودها وهذه الحجة ذكرها الغزالي في معظم كتبه»<sup>1</sup>.

وكان لابن عربي تأثير في عقول المتصوفة من النصارى فقد دعا إلى وحدة الأديان ووحدة حقائق الوجود وتأثر به الفيلسوف الألماني جوهان اكهارث والشاعر الإيطالي دانتي في الكوميديا الإلهية التي ألقت على غرار رسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

أما في الأدب فقد تأثر الشعر الأوربي تأثيرًا بالغًا بالموشحات والأزجال التي جاء بها مقدم بن معافي القبري والأعمى<sup>2</sup>التطيلي وأبو بكر بن اللبانة ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم، وأثرت القصص العربية على نشأة الأدب القصصي في أوربا فقد ترجم بدور الفونسو ثلاثين قصة من العربية إلى اللاتينية تحت عنوان "تعليم العلماء" وترجمت كليلة ودمنة إلى الإسبانية<sup>3</sup>.

والخلاصة التي ننهي بها كلامنا هي أن الكتابات العربية كان لها الدور الفعال في إذكاء روح الحضارة الغربية ولولا العرب لتأخرت الحضارة الغربية قرونا عديدة.

<sup>1</sup> - مجلة أفكار وأفاق، العدد 02، السنة 2012، جامعة الجزائر، ص 61.

<sup>2</sup> - زكي نجيب محفوظ، تحديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، ط6، 1980، ص 253.

<sup>3</sup> - زيغرد هونكي، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 313.

## الفصل الثاني: المباحث اللغوية عند ابن حزم (ت456هـ)

- تمهيد.

- سيرة ابن حزم الأندلسي.

المبحث الأول: نشأة اللغة عند ابن حزم.

1- التوقيف والاصطلاح.

2- ابن حزم يؤمن بالتوقيف.

3- التفاضل بين اللغات في نظر ابن حزم.

4- سرّ قوة اللغة عند ابن حزم.

المبحث الثاني: التفكير الصوتي عند ابن حزم.

1- مفهوم الصوت عند ابن حزم.

2- الصوت اللغوي عند ابن حزم.

3- التغيير الصوتي عند ابن حزم.

4- ظواهر التشكيل الصوتي عند ابن حزم.

4-1- جهاز النطق لدى الإنسان.

4-2- جهاز النطق كما وصفه ابن حزم.

4-3- التواصل في منظور ابن حزم.

4-4- أعضاء جهاز السمع في منظور ابن حزم.

المبحث الثالث: التفكير النحوي عند ابن حزم.

1- النحو العربي والمذهب الظاهري.

2- مفهوم النحو عند ابن حزم.

3- موقف ابن حزم من العلة في النحو.

4- موقف ابن حزم من القياس في النحو.

#### **المبحث الرابع: التفكير الصرفي والبلاغي عند ابن حزم.**

- 1- الدرس الصرفي عند ابن حزم.
- 2- الدرس البلاغي عند ابن حزم.
- 3- نظرية المعجم عند ابن حزم.

#### **المبحث الخامس: العلاقات الدلالية عند ابن حزم.**

- 1- مفهوم الدلالة عند ابن حزم.
- 2- أنواع الدلالة عند ابن حزم.

#### **المبحث السادس: منهج ابن حزم في العلوم العربية.**

- 1- خصائص منهجه العلمي.

قال ابن حزم:

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوِّ الْعُلُومِ مُنِيرَةٌ  
وَلَكِنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِي  
الْغَرْبُ<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل.

## - تمهيد:

لم يتعرض تاريخ ابن حزم للضياع خلافا للعديد من كتبه التي ألفتها أيادي الجهل و الأحقاد، فقد أرّخ له غير واحد من الدارسين، ونالت حياته قسطا كبيرا من العناية والاهتمام نظرا لقوة شخصيته و غزارة علمه، وأشاد الكثير بمواهبه ومواقفه.

فقد كان متعدد المعارف، صاحب موهبة وبصيرة نافذة، تنقل عبر الزمان والمكان ونال تجربة واسعة في جميع مناحي الحياة، حياة الترف والبدخ والمجد والاقصاء والحرمان والظلم، ومن كل ذلك تكونت شخصيته.

### 1- سيرة ابن حزم:

#### 1-2- مولده ونشأته:

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل<sup>1</sup>، فحزم هذا جد أبيه و إليه ينتسب وبه يعرف، فهو يبدو رأس هذه الأسرة، ولكن نسبه المدون لا يقف عند هذا الرجل، بل يمضي مطردا حتى ينتهي إلى رجل اسمه يزيد، قالوا: إنه فارسي الجنس، وإنه من موالي يزيد بن أبي سفيان، أحد رجال الفتوح الشامية، والمتوفى سنة 18 هجرية<sup>2</sup>.

وإذن فإن حزم خرج من أسرة من أهل أسبانيا الغربية، كانت تقيم في لبلبة، وكانت تدين بالنصرانية، وظلت على نصرانيتها بعد الفتح الإسلامي أمدا غير قصير، حتى إعتنق حزم الذي يحمل اسمه وينتسب إليه صاحبنا الإسلام، في منتصف القرن الثالث الهجري فيما نقدر ومنذ ذلك الوقت جعلت الأقدار

<sup>1</sup> - محمد طه الحاجري، ابن حزم صورة أندلسية: ، دار النهضة العربية، بيروت، ص ب 749، 1982، ص:14.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 15.

تهيء لهذه الأسرة مكانا جديدا في هذه الحياة الجديدة<sup>1</sup> وتدنو بها من "لبلة" إلى مركز الدولة في قرطبة، وتتيح لحفيد هذا الرجل "حزم" أن يصير أحد الوزراء النابهين المعروفين برزانة العقل وحسن التدبير في دولة العامريين، وأن تبرز منها هذه الشخصية الرائعة في تاريخ العقل الإسلامي<sup>2</sup>.

وقد علا ابن حزم بعلمه، ولم يعل بنسبه، وكان من أسرة لها شأن في الوزارة في حكم الأندلس، وكان هو وزيرا لبعض الأمراء، ولكنه رأى الشرف والسلامة والعزة في أن ينصرف إلى العلم، فعلا بالعلم، ودوى في التاريخ اسمه إماما في الفقه، ومؤرخا، وكاتبا وشاعرا، ولغويا ماهرا.

وقد ذُكرَ أنه ينتمي لأسرة فارسية، وذلك أن جده يزيد كان فارسيا وكان مولى ليزيد بن أبي سفيان أخي معاوية الذي ولّاه أبو بكر إمارة الجيش الأول الذي ذهب لفتح الشام.

فهو قرشي بالولاء، فارسي بالجنس، وإنه لذلك الولاء كان يتعصب لبني أمية، يعادي من عاداهم ويوالي من والاهم، وإن ذلك من الوفاء الذي كان في معدن ابن حزم وكان متغلغلا في صميم نفسه، حتى إنه أخص سجاياه وأشرف ما عرف به.

رحل جده الأعلى مع البيت الأموي إلى الأندلس، لما رحلوا إليها وأنشأوا ملكهم بها، ونزلت أسرته في قرية منت ليشم من إقليم الزاوية من عمل أونبة التي هي من كورة لبلة من غرب الأندلس وأول من وفد إلى الأندلس جده

<sup>1</sup> -د- محمد طه الحاجري، ابن حزم صورة أندلسية، ص: 17.

<sup>2</sup> - نفسه، ص: 18.

الأعلى خلف<sup>1</sup>، وقد كان لهم شأن من يوم أن نزلوا، حتى قال الفتح بن خاقان «بنو حزم فتية علم وأدب وثنية مجد وحسب، فلهم رفعة الجاه والمجد»<sup>2</sup>

اختلف الباحثون المحدثون في نسبه: فذهب دوزي وجولد تسيهر إلى القول بأن جده أو والد جده لم يكن عربيا ولم يولد مسلما، إنما اعتنق الإسلام،<sup>3</sup> ومثل هذا الرأي يعتمد على إشارة لابن حيان قال فيها: « فقد عهدت الناس حامل الأبوة، مؤد الأرومة، من عصم لبله، جده الأدنى حديث عهد الإسلام»، أما تلميذه الحميدي فيقول إن أصله من الفرس وجده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان، وقد رددت أكثر المصادر هذا الرأي، وسخر ابن حيان من هذه الدعوى: وذهب إلى أن والده أحمد بن سعيد مؤسس مجد يغنيه عن النسب والسابقة «ولم يكن إلا كلا ولا حتى تخطى عليّ هذا رابية لبله، فارتقى قلعة اصطر من أرض فارس، فأنه أعلم كيف ترقاها، إذ لم يكن يؤتى من خطل ولا جهالة».

وقد ذكر ابن حزم نسبه إلى الفرس، واقتخر بها في إحدى قصائده كما افتخر بولائه لبني أمية، فقال:

سَمَا بِي سَاسَانَ وَدَارًا وَبَعْدَهُمْ \*\*\* قُرَيْشُ الْعُلَى أَعْيَاصُهَا وَالْعَنَابُ  
فَمَا أَخْرَت حَرْبٌ مَرَاتِبَ سُودَ دِي \*\*\* وَلَا قَعَدَت بِي عَن ذُرَى الْمَجْدِ فَارِسُ  
كلا النسبين لا يدعيان النسبة إلى العرب، ولكن الفرق بينهما أن الثاني يمنح ابن حزم عددا كثيرا من الآباء المسلمين ويجعل لأسرته جذورا راسخة في الإسلام، أما الأول فيقصر علاقته بالإسلام على جده الأدنى، أما والد جده - على الأكثر - وقد مال لهذا الرأي عدد من الباحثين لأنه يصل إلى ابن حزم

<sup>1</sup> - الإمام محمد أبو زهرة ، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1953م، ص22.

<sup>2</sup> - الإمام محمد أبو زهرة ، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، ص23.

<sup>3</sup> - د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط2، ص303.

بالمسيحية أو بالإسبانية عموماً<sup>1</sup>، رغبة منهم في أن يدرسه على ضوء الوراثة القريبة، ولكن المؤرخين يميلون إلى ترجيح النسبة الفارسية، لأن اتهام ابن حزم في نسبه الفارسي إنما صدر عن رجل ميال للذم: هو ابن حيان المؤرخ، ولا يبعد أن يكون إنعدام السابقة والأولية قبل صعود نجم أحمد بن سعيد، والد أبي محمد، هو الذي أوحى بهذا الاعتقاد، ثم إن ابن حزم أتقى الله من أن يلفق لنفسه نسبا غير نسبه، وليست وراء هذا التلفيق غاية كبيرة لرجل يرى أن الناس يتفاضلون بأعمالهم لا بأنسابهم، وقد نسب نفسه إلى الولاء، وكان هو وأبوه كلاهما ميالا لبني أمية في عهد العامريين، ولا بد أن يكون في صدق الولاء القديم ما يدفعهما إلى مثل ذلك، وقد دهش ابن حيان نفسه من هذه الموالاتة، كما دهش من أن يكون ابن حزم مدعيا في نفسه، إذ لا يعرف عليه خطل أو جهالة<sup>2</sup>.

وقد كتب ابن حزم تاريخ ميلاده لأحد معاصريه في رسالة أرسلها إليه، فقد كتب إلى القاضي صاعد أنه ولد في آخر يوم من أيام رمضان سنة (384هـ)، وكانت ولادته في تلك الليلة بعد الفجر وقبل طلوع الشمس<sup>3</sup>.

نشأ ابن حزم في بيت علم وعز ومال وجاه عريض، وكان يعتز بأنه طلب العلم لا يبغى منه مالا ولا جاها، بل يبتغي به النور، ووصفه الفتح بن خاقان (ت535هـ) "هو سليل فتية علم وأدب وثنية مجد وحسب"<sup>4</sup>

نشأ ابن حزم ربيب النعمة فاستحفظ القرآن الكريم في بيته حفظاً إياه النساء من الجواري والقريبات، وتلقى تربيته الأولى على أيديهن كما روى هو عن نفسه، فقد كان للنسوة أثر في تكوين شخصيته، فقد علم من أسرارهن

<sup>1</sup> - د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص 304.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 305.

<sup>3</sup> - الإمام محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص 21.

<sup>4</sup> - عن مقدمة سعيد الأفغاني لكتاب المفاضلة بين الصحابة، ص 24.

الكثير مما لم يتح لغيره معرفته، فهو الذي لم يجالس سواهن إلى أن بلغ الرابعة عشر من العمر، وقد ركز آسين بلاثيوس (assinpalcios) وغازسيا غومس (gracia gomez) كلاهما على هذه النقطة رابطين سلوكه بطبيعة المصدر، فهو كثير الغضب، شديد الغيرة، يحب الحياة وعطوف مسارع إلى المخاصمة<sup>1</sup>، يقول ابن حزم عن نفسه: «لقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني ربيت في حورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وحين تفيل وجهي، وهن علمني القرآن ورويني كثيرا من الأشعار، ودربني في الخط، ولم يكن وكدي وإعمال ذهني من أول فهمي، وأنا في سن الطفولة جدا، إلا تعرف أسبابهن، والبحث عن أخبارهن، وتحصيل ذلك، وأنا لا أنسى شيئا مما أراه منهن، وأصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها، وسوء ظن في جهتهن فطرت به، فأشرفت من أسبابهن على غير قليل»<sup>2</sup>.

## 2-2- تعلمه:

تعلم ابن حزم تعلمه الأول بين النساء، ولكن أباه الذي كان قائما على تربيته معينا به العناية كلها كان لا ينسى عن مراقبته وملاحظة ميوله واتجاهاته، ولقد حكى هو تلك المراقبة وأنها كانت سبب عفته مع ملازمته للنساء والعيش الرافخ وحياة النعيم، قال: «كان السبب فيما ذكرته أنني كنت وقت تأجيج نار الصبا وشر الحدائة وتمكن غرارة الفتوة مقصورا محظرا بين رقباء ورقائب، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت أبا الحسين بن علي الفارسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن زيد الأزدي شيخنا وأستاذي رضي الله عنه، وكان أبو الحسين المذكور عاقلا، عاملا، عالما ممن تقدم في الصلاح

<sup>1</sup>- أرنديك c. vanArendank ، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، مادة ابن حزم، ص 136.

<sup>2</sup>- ابن حزم: طوق الحمامة، القاهرة، 1959، ص 50.

والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا، والاجتهاد في الآخرة، وأحسبه كان  
حصورا، لأنه لم تكن له امرأة قط، وما رأيت مثله علما وعملا، ودينا وورعا،  
فنفعني الله به كثيرا، وعلمت موضع الإساءة وقبح المعاصي، ومات أبو علي  
رحمه الله في طريق الحج»<sup>1</sup>.

درس ابن حزم على يد ابن الجصور علم الحديث، وعلى يد ابن الكتاني  
علم المنطق، وكان طبيبا من مدرسة مسلمة المجريطي، ودرس الأدب على يد  
أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد، وفي الفقه كان أستاذه عبد الله بن يحيى بن  
دحون، الذي عرض عليه موطأ مالك (ض)، كما تتلمذ للشيخ أبي الوليد يونس  
بن الصفار (ت426هـ) وفي سن الثلاثين، ظهرت إحاطته بضروب العلوم  
القديمة، من فلسفة ومنطق وأديان وتحققه - بخاصة - كتابات اليهود وروايات  
التلمود، كما قرأ تاريخ الطبري (ت310هـ)، فأصاب منه إدراكا طيبا لتاريخ  
البشر وأديانهم.

أما في كتاب طوق الحمامة، فإنه يثبت مشيخة أستاذه الأزدي عبد الرحمن  
بن أبي يزيد الذي غادر الأندلس إبان حروب الفتنة الطائفية حولي(400هـ)،  
والذي تعلم على يده الأدب والنحو والشعر وفقه اللغة<sup>2</sup>.

### 2-3- وفاته:

قال صاعد: «ونقلت من خط ابنه أبي رافع، أن أباه علي ابن حزم، توفي  
عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مائة  
(20/08/456هـ) فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرها رحمه الله تعالى

<sup>1</sup> - الإمام محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، آراؤه وفقهه، ص27.

<sup>2</sup> - د. نعمان بوقرة: النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي، ص15.

وأسكنه فسيح جناته، ويوافق التاريخ الميلادي، اليوم الرابع عشر من شهر أغسطس عام ألف وأربع وستين (1064/08/14م)». <sup>1</sup>

## المبحث الأول: نشأة اللّغة عند ابن حزم.

### تمهيد:

شغلت اللّغة عقول العلماء منذ القدم، وما زالت كذلك، وحيرت بالمتكلمين والفقهاء والفلاسفة والمتأدبين، ونالت مساحات واسعة ضمن حقول النتاجات الفكرية والفلسفية والأدبية، وأنجزت فيها أبحاث عديدة ودراسات كثيرة مختلفة المشارب متنوعة الاتجاهات، تتفاوت في مستوياتها بين الجودة وعدمها، ومن هنا فقد أحاطت بها هالة من التخبط في قضية النشأة أهي توقيف أم إصطلاح، أم محاكاة؟ ومنذ زمن بعيد كان الباحث مسكوناً بقضية نشأتها.

يرى الفيلسوف اليوناني هيرقليط (576ق م- 480 ق م) أن الأسماء صادرة عن قوة إلهية أما هرموجين (القرن الخامس قبل الميلاد) فقد رأى أن وضع اللّغة هي مسألة إتفاق بين الناس ولا دخل فيها للقوة الإلهية<sup>2</sup>. ولعل هذا الاهتمام بقضية اللّغة إنما يرجع لأهميتها البالغة بالنسبة للأفراد وللمجتمعات، فاللّغة هي الأداة الكاشفة لدروب الفكر، وهي الوسيلة الأساسية في التواصل وهي الصورة الخارجية للمشاعر والأحاسيس وما أبشع الحياة بدون لغة وقد قالوا: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، وقال الشاعر العربي:

عَوَى ذَنْبٌ فَاِسْتَأْنَسْتُ بِالذَّنْبِ إِذَا عَوَى \*\*\* وَصَوَّتْ إِنْسَانٌ فَكَدْتُ أَطِيرُ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير، تحقيق عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، ط1، 1408، 1988م، ج1، ص02.

<sup>2</sup> - نفسه، ص03.

<sup>3</sup> - الأحيمر السعدي، الديوان، عن (أشعار اللصوص و أخبارهم)، جمع و تحقيق عبدالمعين الملوحى، منشورات دار أسامة. دمشق، دط، دت، ص48.

ويأتي ابن حزم الظاهري وقد حمل زمانه لواء البحث والحديث في مقاصد اللّغة ويلج بدوره هذا العراك فسجل لنفسه آراءً ومواقف يُحمدُ عليها وشكلت إسهامًا متقدمًا في قضايا اللّغة.

**1- التوقيف والاصطلاح:** انشغل جمهور العلماء منذ القدم بقضية نشأة اللّغة وميلادها، وتفرقوا في ذلك، ففريق يؤمن بالتوقيف ومفاده أن الله تعالى أوقف اللّغة على أبي البشرية آدم عليه السلام، ومنه انتشرت في نسله وتداولتها الألسن، ولما وقع الطوفان وتفرق أبناء نوح. كان هذا الأمر مدعاة للتعدد اللّغوي، وخير من يمثل هذا الاتجاه في حضارتنا العربية الإسلامية أبو علي الفارسي الذي استدل بالآية الكريمة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>1</sup>، ويؤمن من الفريق الثاني العالم الكبير ابن جنّي (ت392هـ) بمبدأ الاصطلاح وفحواه أن الجماعة البشرية في منطقة جغرافية ما اتفقت على تسمية الأشياء بمسميات معينة فشاعت هذه التسميات وتم تداول هذا الاصطلاح في كل تجمع بشري وبذلك تعددت اللّغات.

وقد تعرضت النظريتان (التوقيفية والاصطلاحية) للنقد وكثرت فيهما الآراء واختلفت كثيرا حتى غدا أمر نشأة اللّغة قضية فلسفية ليس من السهل الفصل فيها والأمر الذي دفع مفكري القرن السابع عشر والثامن عشر يهتمون كثيرا بالموضوع، وهكذا نجد المفكر الفرنسي روسو J.J. Rousseau (1712 - 1778م) «يفترض أن الرجال الأوائل الذين عاشوا على سطح المعمورة اجتمعوا فيما بينهم، قصدا أو عرضا، ليصطلحوا على تسمية الموجودات، وليس من المستغرب أن ينتهي روسو إلى مثل هذا الرأي المتعلق باتفاق الناس واجتماع كلمتهم لوضع المصطلحات، لأن هذا الرأي ينسجم تماما

<sup>1</sup> - - البقرة / 31.

مع نظريته الشهيرة التي تعرف بالعقد الاجتماعي<sup>1</sup> على أنه من الصَّعب علينا اليوم أن نتصور كيف كان أولئك الرجال لا ينطقون، ثم شعروا ذات يوم بالحاجة إلى الكلام، فاتفقوا فيما بينهم على أن صوتا معيناً يتلفظون به، ويؤمن الفيلسوف الفرنسي كونديال (1715 - 1780م) بالاصطلاح ويعلّل رأيه بقوله: «نتصور حالة امرأة ورجل لا ينطقان وأن الظروف أدت بهما بصورة طبيعية إلى ما يشبه الكلام: فإذا شعر أحدهما بهيجان أو عاطفة أو حاجة قوية أو غير ذلك من الدوافع فإنه يأخذ في الصراخ والقيام بحركات وإشارات مختلفة، فإذا تكررت نفس الحركات والأصوات وارتبطت في ذهن المستمع بالأشياء الموماً إليها، فإن الأصوات لن تلبث أن تحل محل الإيماء باليد أو تُغني عنه. ولئن كانت قدرة هذين الشخصين على تنويع أصوات محدودة فإن أولادهما لا شك أقدر منهما على الإتيان بمختلف الأصوات اللغوية، وهكذا فبالترجيح تتألف مفردات وبتزايد رصيدها جيلا بعد جيل إلى أن تتشكل من مجموعها اللّغة»<sup>2</sup>، ولعل أعمق دراسة ظهرت في القرن الثامن عشر هي التي قام بها المفكر الألماني هيردر (1774 - 1803م) عندما صدر كتاب له تناول فيه موضوع أصل اللّغة وتصدى للقول القائل من أن اللّغة هبة من عند الله، فدحض حجج من يرى هذا الرأي قائلاً بأن اللّغة لو كانت من عند الله لكانت أقرب إلى المنطق وقوانين العقل مما هي عليه، فاللغات لا يتحكم فيها قانون الاطراد بل إن الأمثلة التي تشدُّ فيها عن القاعدة أكثر من أن تحصى، وهذا دليل على أنها من وضع الإنسان، وقد طال الجدل بين الفريقين حتى غدا أن لا فائدة من البحث في أصل اللّغة لأنه لا يمكن الوصول إلى نتيجة قطعية في هذا الموضوع، فاللّغة قديمة قدم الانسانية، ضاربة في أعماق التاريخ،

<sup>1</sup> - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 1981م، ص25

<sup>2</sup> - حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص25.

ونحن لا نعرف من ذلك التاريخ إلا الجزء اليسير لذا تم توقيف البحث في هذه القضية.

## 2- ابن حزم يؤمن بالتوقيف:

مما لاشك فيه أن ابن حزم يكون قد عايش الطرح الذي تناولته الكتب القديمة وتحدث فيه معاصرون له بشأن نشأة اللّغة، ولذلك نجده يتحدث بإسهاب في الأمر ويحاول أن يجد موقفاً انطلقاً من ثقافته اللّغوية وقناعته الفكرية.

فتسمية الأشياء إنما حدث الأمر فيه بإيعاز ولذلك «صح أنه توقيف من أمر الله عزّ وجلّ وتعليم منه تعالى، إلا أننا لا ننكر اصطلاح الناس على إحداث لغات شتّى بعد أن كانت لغة واحدة وقّفوا عليها بما علموا ماهية الأشياء وكيفياتها وحدودها، ولا ندري أيّ لغة هي التي وقّف آدم عليه السلام عليها أولاً، إلا أننا نقطع على أنها أتمّ اللّغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلّها إشكالاً، وأشدّها اختصاراً، وأكثرها وقوع أسماء مختلفة على المسميات كلها مختلفة من كل ما في العالم من جوهر أو عرض لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>1</sup> فهذا التأكيد يرفع الإشكال ويقطع الشغب فيما قلنا، وقد قال قوم: هي السريانية، وقال قوم: هي اليونانية، وقال قوم: هي العبرانية، وقال قوم: هي العربية، والله أعلم»<sup>2</sup>.

إنها نظرة علمية عميقة هاته التي طرحها ابن حزم، تتماشى مع طرح العلم الحديث الذي يؤمن بأن لا لغة أحسن من لغة وأن اللّغات البشرية تفرعت عن اللّغة الأم أو اللّغات الأمهات، ويصرح بأن إجتهاده أوصله إلى حكم مفاده أن العربية - والعبرية - والسريانية هي لغة واحدة حدث فيها تبديل وتغيير

<sup>1</sup> - البقرة/ 31.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (دط)، (دت)ص31.

فتفرعت إلى هذه اللغات فقال: «إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريالية والعبرانية والعربية التي هي لغة مُضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت لتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ومن الخراساني إذا رام نغمتها»<sup>1</sup>.

فكما احتار ابن حزم في مشكل أم اللغات في عصره، عاد المحدثون وطرحوا القضية نفسها وبقي الأمر محيراً جداً، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: «كما اختلف العلماء في الموطن الأول للأمم السامية اختلفوا كذلك في اللّغة الأولى التي كان يتكلم بها الشعب السّامي أيام كان أبناؤه مجتمعين في وطن واحد فكان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن العبرية هي أقدم لغة انسانية... وذهب بعضهم إلى أن الآشورية البابلية هي اللّغة السّامية، وذهبت طائفة أخرى وعلى رأسهم أولسهوزن إلى أن اللّغة العربية هي الأقرب إلى اللّغة السّامية الأولى»<sup>2</sup>.

ويوافق جرجي زيدان موقف ابن حزم فيقول: «من الحقائق المقررة أن العربية، والعبرانية والسريانية كانت في قديم الزمن لغة واحدة كما كانت لغات عرب الشام ومصر والعراق والحجاز في صدر الإسلام، فلما تفرق الشعب السّامي أخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتّجدد على مقتضيات أحوالها فتولدت منها لغات عديدة... أشهرها اليوم العربية والعبرانية والسريانية كما

<sup>1</sup> - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ص31.

<sup>2</sup> - جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تقديم إبراهيم صحراوي، موفم للنشر، وحدة الرغاية - الجزائر، 1993م،

تفرعت عربية قريش بعد الإسلام إلى لغات الشام ومصر والعراق والحجاز وغيرها<sup>1</sup>.

لقد حسم ابن حزم موقفه في شأن نشأة اللّغة بقوله: «أكثر الناس في هذا، والصحيح من ذلك أن أصل الكلام توقيف من الله عز وجل بحجة سمع وبرهان ضروري، فأما السمع فقوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>2</sup> وأما الضروري بالبرهان: فهو أن الكلام لو كان اصطلاحاً لما جاز أن يصطلح عليه إلا قوم قد كملت أذهانهم وتدربت عقولهم، وتمت علومهم، ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة في العالم، وعرفوا حدودها، واتفاقها، واختلافها وطبائعها، وبالضرورة نعلم أن بين أول وجود الإنسان وبين بلوغه هذه الصفة سنين كثيرة جداً يقتضي في ذلك تربية وحيطة وكفالة من غيره، إذ المرء لا يقوم بنفسه إلا بعد سنين من ولادته، ولا سبيل إلى تعايش الوالدين والمتكفلين والحضان إلا بكلام يتفاهمون به مراداتهم فيما لا بد لهم منه فيما يقوم معايشهم من حدث أو ماشية أو غراس، ومن معاناة ما يطرد به الحرُّ والبردُ والسباعُ، ويعاني به الأمراض، ولا بد لكل هذا من أسماء يتعارفون بها ما يعانونه من ذلك، وكل إنسان فقد كان في حالة الصغر التي ذكرنا من امتناع الفهم والاحتياج إلى كافل، والاصطلاح يقتضي وقتاً لم يكن موجوداً قبله لأنه من عمل المصطلحين، وكل عمل لا بد أن يكون له أول، فكيف كانت حال

<sup>1</sup> - البقرة/ 31.

<sup>2</sup> - عبد الجليل مرتاض، دراسات لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومة الجزائر، ص16.

المصطلحيين على وضع اللّغة قبل اصطلاحهم عليها، فهذا من الممتنع المحال ضرورة»<sup>1</sup>.

وقد أفضى الاستقصاء بابن حزم إلى حكم مفاده أن العربية تعود إلى السريانية وأنها لغة اسماعيل عليه السلام، يقول: «وإذا قد تيقنا ذلك فالسريانية أصل العربية والعبرانية معا والمستقيض أن أول من تكلم بهذه العربية إسماعيل عليه السلام فهي لغة ولده، والعبرانية لغة اسحاق ولغة ولده والسريانية بلا شك هي كانت لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلّم بنقل الاستفاضة الموجبة لصحة العلم، فالسريانية أصل لها»<sup>2</sup>.

### 3- التفاضل بين اللّغات في نظر ابن حزم:

نال هذا الطرح الكثير من النقاش بين الدارسين القدماء والمحدثين، وأفضى كل فيه برأيه، وقد ذهب قوم إلى أن لغتهم أحسن اللّغات، بذلك قال اليهود، وقال العرب أفضل اللّغات العربية، وقد وصل الأمر بجالينوس أن عدّ لغة اليونانيين أفضل اللّغات لأن سائر اللّغات إنما هي تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع<sup>3</sup>، قال ابن حزم: «وهذا جهل شديد لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق، وقد قال العربية أفضل اللّغات لأنه بها نزل كلام الله تعالى»، ثم أبدى رأيه في هذا الزعم فقال: «وهذا لا معنى له لأن الله عز وجل قد اخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>4</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي

<sup>1</sup> - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 1/ 30 - 31.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 1/ 32.

<sup>3</sup> - نفسه، 1/ 32.

<sup>4</sup> - فاطر / 24.

زُبُرِ الْأَوَّلِينَ<sup>1</sup>، فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التوراة والإنجيل والزابور، وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا. وأمّا لغة أهل الجنّة وأهل النار فلا علم عندنا إلا ما جاء في النص والإجماع، ولا نص ولا إجماع في ذلك إلا أنه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها ضرورة ولا يخلو ذلك من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها: إما أن تكون لهم لغة واحدة من اللغات القائمة بيننا الآن: وإما أن تكون لهم لغة غير جميع هذه اللغات، وإما أن تكون لغات شتى لكن هذه المحاورة التي وصفها الله تعالى توجب القطع بأنهم يتفاهمون بلغة إما بالعربية المختلفة في القرآن عنهم أو بغيرها مما الله أعلم به، وقد ادعى بعضهم أن اللغة العربية هي لغتهم واحتج بقول الله عز وجل ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْهَا لِقَاءَ رَبِّهَا ذَاتَ الْوَجْهِ الْعَظِيمِ﴾<sup>2</sup>، فقلت له: فقل عنها لغة أهل النار لقوله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سِوَاءَ مَا عَلَّمْنَاكُمْ مَا لَا نَعْلَمُ وَلَا نَفْقَهُ﴾<sup>3</sup> ولأنهم قالوا: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾<sup>4</sup>... فإن قلنا أن موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام كانت لغتهم العربية لأن كلامهم محكى في القرآن عنهم بالعربية، فإن قلت هذا كذبت ربك، وكذبك ربك في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾<sup>5</sup> فصحّ أن الله تعالى إنما يحكي لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي بها نتفاهم لبيّن لنا عز وجل فقط، وحروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها ولا قبح ولا حسن في

<sup>1</sup> - الشعراء/ 196.

<sup>2</sup> - يونس/ 10.

<sup>3</sup> - إبراهيم/ 21.

<sup>4</sup> - الأعراف/ 50.

<sup>5</sup> - إبراهيم/ 04.

بعضها دون بعض، وهي تلك بإعيانها في كل لغة فبطلت هذه الدعاوي الزائغة الهجينة وبالله تعالى التوفيق، وقد أدى هذا الوسواس العامي اليهود إلى أن استجازوا الكذب والحلف على الباطل بغير العبرانية، وادعوا أن الملائكة الذين يرفعون الأعمال لا يفهمون إلا العبرانية فلا يكتبون عليهم غيرها، وفي هذا من السخف ما ترى، وعالم الخفيات وما في الضمائر عالم بكل لسان ومعانيه عز وجل لا إله إلا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل»<sup>1</sup>.

#### 4- سرّ قوة اللّغة في نظر ابن حزم:

انشغل القدماء والمحدثون بقضية علو شأن اللّغة وقوتها وقابليتها لاستيعاب المدّ الحضاري، ودخل هذا الأمر في الحروب والصراعات بين الأمم، ولا داعي لاستعراض الأحداث التاريخية، وإنما نشير فقط لما تعرضت له اللّغة العربية حديثاً من اتهامات بالضعف والقصور عن مسابرة الركب الحضاري والتطور العلمي، وقد أدى ذلك بضعاف العقول الذين استفحل فيهم الغزو الفكري على الترويج لهذا الزعم.

ولعل ابن حزم قد عاش الأمر في زمانه وهاله ذلك فعبر عنه بقوله: «وقد قال قوم: إن اليونانية أبسط اللغات ولعل هذا إنما هو الآن فإن اللّغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم، وأما تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذلّ وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة، ولدولة السريانيين مذ ذهبت وبادت

<sup>1</sup>- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام 1/ 34، 35 .

آلاف من الأعوام في أقل منها ينسى جميع اللّغة فكيف تفلت أكثرها والله تعالى أعلم»<sup>1</sup>.

إن هذا الرأي متقدم جدا في الطرح فقيمة اللّغة من قيمة حاملها فبقدر ما يكون أصحاب اللّغة جادين في العلم وحاملين فكرة التقدم والتحضر بقدر ما تكون لغتهم كذلك، وهو أمر تؤكده الوقائع ويصدق بالمشاهدة فإنما تقدمت اللّغات بتقدم شعوبها.

### المبحث الثاني: التفكير الصوتي عند ابن حزم.

#### 1- مفهوم الصوت عند ابن حزم:

##### - تمهيد:

يبدأ ابن حزم في حديثه عن الصوت البشري بتطبيق منهجه الذي يعتمد على ملاحظة الظاهر، ووصف الظاهرة كما هي، فهو يقسم الصوت قسمين.

الصوت الذي يؤدي وظيفة وهو الذي يدل على معنى وهذا ما ينبغي الاهتمام به والإشتغال به والصوت الذي لا يحصل لنا منه فائدة نفهمها، وهذا ما لا ينبغي العناية به، وقد راح يفسر ذلك، في حديث مبثوث ضمن رسائله.

لقد انطلق ابن حزم في تعريفه للصوت من معارفه الفلسفية حول طبيعة اللّغة عند الإنسان، أهي وقف أم مواضعة أم تقليد لأصوات الطبيعة، وبعد أن ذكر جميع أعضاء النطق، مثل الفم والشفيتين والأسنان واللّسان والرئة وهي معروفة للجميع ولذلك فإنها يمكن أن تدرس وتوصف ويتحدث عن نشاطها.

شرع في ترسيم مشاهداته وملاحظاته فجاء حديثه عن الصوت البشري ملامسا لما يعرف عند الدارسين المحدثين بعلم الصوت النطقي (الفسولوجي)

<sup>1</sup>- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام 1/ 32.

الذي يعني بدراسة أعضاء النطق من أجل إنتاج أصوات الكلام أي أنه يهتم بعملية إنتاج الأصوات، وطريقة هذا الإنتاج.

ويعدُّ علم الأصوات النطقي من أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدمًا وأكثرها حظًا من الانتشار في البيئات اللغوية كلها، فهو يدرس نشاط المتكلم بالنظر إلى أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الأعضاء، وما يعرض لها من حركات، ويحدد وظائفها ودور كل منها في عملية النطق<sup>1</sup>.

وقد كانت هذه الدراسات الصوتية في القديم مبنية في أساسها على هذا الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة المتاحة، التي يمكن الإعتماد عليها في زمن لم تتوفر فيه الآلة و الأجهزة الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي<sup>2</sup>.

### 1-1- الصوت السمعي عند ابن حزم:

عبر ابن حزم عن الصوت السمعي بعد أن صدر من المرسل بقوله: «وهيأ لها الهواء المندفع بقرع اللسان إلى صمغ الأذان فتوصل بذلك نفس المتكلم مثل ما قد استبانته واستقرَّ فيها إلى نفس المخاطب وتنقله إليها بصوت مفهوم بقبول الطبع منها للغة إتفقا عليها فتستبين من ذلك ما قد استبانته نفس المتكلم، ويخرج إليها بذلك مثل ما عندها لطفًا من اللطيف الخبير»<sup>3</sup>.

واضح أن ابن حزم رسم القناة التواصلية التي تربط بين:

المرسل ← المرسل إليه ثم تحدُّث الأصوات الصادرة عن جهاز النطق صوب جهاز السمع، والرسالة التي هي محور العملية التواصلية، وهذا تقدُّم في الفهم نلاحظه عند ابن حزم وقد استعمل مصطلح "الصمغ" ليعبر به عن جهاز

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، لقاها، 1976، ص79.

<sup>2</sup> - حسام البهنساوي، الدّراسات الصوتية عند العلماء العرب، ص16.

<sup>3</sup> - الرسائل 96 / 4.

السمع ومعلوم أن الصمغ في الأذن هو الموطن الحقيقي الذي يستقبل الصوت ويوجهه إلى المخ لتفسيره.

لقد اعتمد ابن حزم على الملاحظة الذاتية المباشرة في الحديث عن علاقة النطق بالسمع، فتوصل إلى تحقيق نتائج ملموسة والفضل يرجع إلى حسنه المرهف فحدد العلاقة العلمية بين المرسل والمتلقي وقد طبقت أراؤه ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة شأنه في ذلك شأن العلماء العرب القدامى.

## 2-1- الكلمة صوت عند ابن حزم:

انطلق ابن حزم في تعريفه للكلمة من الجانب المنطوق للغة إيماناً منه بأن الجانب الصوتي قبل الرسم الإملائي، فالكتابة سلوك حضاري أعقب الجانب الشفهي للغة، يقول في تعريفه للاسم والفعل: «الإسم صوت موضوع باتفاق لا يدل على زمان معين، وإن فرقت أجزاؤه لم تدل على شيء معين»<sup>1</sup>، وبهذا التعريف يكون قد ربط الصوت بالدلالة وميّزه عن الفعل والحرف وأوضح أنه مركب من أصوات وهاته الأصوات التي سماها أجزاء فإنها لا تحمل دلالة، وبذلك يكون قد لامس تعريف المحدثين إلى حد بعيد.

وقال في شأن الفعل: «وقال الأوائل، إنه يدل على زمن مقيم لأنك تقول صحّ يصحّ وهذه الكلمة صوت موضوع باتفاق أيضاً على ما قدمنا في الاسم لا يدل بعض أجزائها على معناها إلا أنها تدل على زمان مقيم كما ذكرنا»<sup>2</sup>، واضح أن ابن حزم كان مطلعاً على تعاريف النحاة الأوائل للفعل وقد صرح بكامل العبارة دون أن يذكر عالماً من علماء العربية، وبين أنهم ربطوا الفعل بالزمن خلافاً للاسم، وقد أكد هذا الرأي في النهاية.

<sup>1</sup> - نفسه، 4 / 187.

<sup>2</sup> - الرسائل 4 / 141.

إن الفعل عند ابن حزم صوت جاء بالاتفاق ليحمل دلالة وإن قسمت أجزاءه أي فونيماته فإنها لا تحمل دلالة، وقدم لذلك أمثلة.

## 2- الصوت اللغوي عند ابن حزم:

### 2-1- مصطلح الصوت اللغوي:

أ- الصوت لغة: الجرس، والجمع أصوات، قال ابن السكيت الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صييت أي شديد الصوت، وقد يؤنث الصوت كما في قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّكْبُ الْمُزْجِيُّ مَطِيَّتُهُ \*\*\* سَأَلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ؟

فإنما أنثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة على معنى الصيحة، وصات الرجل يصوت صوتاً، وصوت يصوت تصويماً فهو مصوت، وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه.

والصيت الذكر يقال ذهب صيته، وكل ضرب من الغناء صوت<sup>1</sup>، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾<sup>2</sup>، وقال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾<sup>3</sup> فيما يؤمر بخفض الصوت أثناء الحديث من باب التأدب وإلا فهو شبيه بالحيوان الذي لا وازع له.

ب- وأما في الاصطلاح: فقد ثبت علمياً أن الصوت إهتزاز محسوس في موجات الهواء تنطلق من جهة الصوت، فتسبح في الفضاء ويستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها فتوحي بدلائلها؛ فرحاً أو حزناً، نهياً أو أمراً، خبراً أو إنشأً، صدى أو موسيقى، أو شيئاً آخر

<sup>1</sup> - الرسائل 141/4.

<sup>2</sup> - الإسراء/ 64.

<sup>3</sup> - لقمان/ 19.

عاديا مما يفسره التشابك العصبي في الدماغ أو يترجمه الحس المتوافر في أجهزة المخ بكل دقائقها وفي ذلك قال ابن سينا (ت427هـ) «الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان»<sup>1</sup>

### 3- التغيير الصوتي عند ابن حزم:

إن الدارس لجهود ابن حزم الأندلسي في قضية التغييرات الصوتية لا يعثر على دراسات وتحاليل لغوية تخص أسباب وطبيعة هذه التغييرات ولا لعواملها وإنما يجد ملاحظات شدت انتباهه في بيئته الأندلسية، وهو العالم والفقير واللغوي ورجل السياسة الذي ينتبه أكثر من غيره لما يخالف المألوف في المجتمع.

فقد اكتسب ابن حزم لغة فصيحة ووقف على أسرار اللغة العربية وتشبع بالفصحى لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتمرس في الأداء الصوتي والاستعمال الكتابي لذلك نجده يعرض في مؤلفاته بعض الوقفات التي كان إما مستغربا لها أو معجبا بها.

لقد عرض ابن حزم تحليلا وافيا في قضية نشأة اللغة وتحدث بإسهاب عن تعدد اللغات، وما أصاب اللغة الأم من تغيرات جعلها تنفرع إلى لغات - كنا قد شرحنا ذلك سابقا في أمر نشأة اللغة - ثم استعرض ما أصاب العربية من تغيير بفعل إتساع رقعة استعمالها وخروجها من شبه الجزيرة العربية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فقال: «والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش<sup>2</sup> كالذي يحدث من الأندلسي، ومن الخرساني إذا رام نغمتها، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد فإنه

<sup>1</sup> - ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص7.

<sup>2</sup> - الجرش: الحك يقصد الاحتكاك الذي يحدث بين اللغات.

بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى يتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله. ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللّغة العربية تبديلا وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون: العنب العَيْنَب، وفي السوط أسطوط، وفي ثلاثة دنانير تَلْتَد. وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال السَّجْرة، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمداً إذا أراد أن يقول محمداً. ومثل هذا كثير، فمن تدبّر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن إختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، وإختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل»<sup>1</sup>.

إن هذا النص يمثل قيمة علمية كبيرة فإن ابن حزم ينتهج المنهج الوصفي القائم على الملاحظة والتدبر والاستنتاج، فقد أهله علمه وساعده عقله الراجح على القيام بعملية وصف للغة بيئته التي كانت تجمع العربي المفتخر بفصاحته والذي يرى في عربيته كمال رجولته، والأندلسي الذي يرغب في تعلم العربية وإتيانها في العبادات والتعلم والمجالس فتعيقه عجمته، والبربري الذي لم يتحرر بعد من رطانته، والجليقي الذي يحتفظ لسانه بطبائع لهجته، فهذا الخليط من المجتمع يتحدث العربية وكل يروم نغمتها ولكن الألسن لا تطاوعها جميع الأصوات، إن ابن حزم وهو يلاحظ الاستعمال اللّغوي في بيئته الأندلسية ويصف ما حدث للعربية من تبديل لبعض أصواتها توصل إلى نتيجة حسب رأيه مفادها أن اللّغة قد تتفرع إلى لغات عديدة بفعل هذا التعبير الذي يمسه عبر الحقب الزمانية ولعل ذلك ما حدث للغة الأم التي كانت تجمع العربية والعبرانية والسريانية، فإنما هذه اللّغات نشأت في بيئة واحدة ثم تفرعت بفعل عوامل الإستعمال والممارسة لدى مستعملها الأصليين عبر الأجيال والوافدين

<sup>1</sup>- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 32/1.

إلى بيئتها والداخلين في ملتها، وهو طرح فيه من الوجاهة والموضوعية ما يجعلنا نقدر في ابن حزم مقدرته على التحليل وشجاعته في خوض غمار البحث والأداء بما أوصله إليه عقله.

### - التغيير بالإبدال:

حدث التبدّل وطراً على الألسن تبديل صوت بصوت من ذلك إجتماع صوتي الشين والجيم في كلمة شجرة، فالشين والجيم من مخرج واحد فهما صوتان شجريان ولذلك يصعب اتیانهما حتى على العربي، وابن جنّي يرى أن الصوتين إذا تجاوزا وكانا من مخرج واحد سيؤدي تجاوزهما إلى ثقل في النطق ولذا فإبدال صوت بصوت آخر قريب منه في المخرج والصفات يؤدي إلى تسهيل اللفظ، وهذا ما حدث في كلمة شجرة فالبربري المتعرب نطقها سجرة<sup>1</sup> حيث لجأ إلى ما يعرف بقانون المخالفة فأبدل الشين سينا ذلك أن صوتي الشين والجيم من مخرج واحد فهما من الأصوات الغارية، فالشين مهموس إحتكاكي مرقق فموي ينطق برفع مقدمة اللسان إتجاه الغار، ويرفع الطبقة ليسدّ المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق مع عدم اهتزاز الأوتار الصوتية فيمر الهواء في الفراغ الضيق بين مقدمة اللسان والغار مسبباً نوعاً من الإحتكاك، والجيم صوت مجهور متوسط مرقق مزدوج يتم نطقه بأن ترتفع مقدمة اللسان في إتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم ينفصل العضوان فيحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين<sup>2</sup>، وقد ذكر القدماء أن الجيم صوت شديد عدّه سيبيويه من الأصوات الشجرية مع الشين والياء وتابعه على هذا ابن جنّي أما عند المحدثين فهي صوت مجهور متوسط مزدوج (أي بين الشدة والرخاوة)، وعدّ الخليل الجيم

<sup>1</sup>- ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، 31/1.

<sup>2</sup>- د. علي حسن مزيان، علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، ص 65.

والشين والضاد من مخرج واحد فقال: «ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد»<sup>1</sup>.

وإبدال الشين سينا في كلمة شجرة يحقق خفة ويبعث على الراحة في النطق فالسين من الأصوات الأسلية مخرجه من طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى ونسبت إلى أسلة اللسان وهو ما دق منه.

ونجد هذا الإبدال بكثرة في لهجتنا الحالية في الجزائر فالكثير ينطق مقولة: "جيش التحرير": "زيش التحرير" بإبدال الجيم زايا والزاي أخت السين في المخرج، ويقول آخرون السّجاعة عوض الشجاعة بإبدال الشين سينا، ويقول السمش عوض الشمس...، وإنما ذلك من باب إبعاد الأصوات عن بعضها البعض مخرجا حتى تتحقق الخفة والسهولة في النطق، وهذا ليس معناه أن في جمع الشين والجيم مخالفة ولكنها ألسن غير العرب وجدت في الأمر ثقلا، وقد ألفت في لغاتها أصواتا أخرى.

#### - التغيير بالزيادة:

ثم يورد ابن حزم عينة أخرى في إبدال العامة صوتا بصوت فيقول: «ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللّغة العربية تبديلا وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى لا فرق فنجدهم يقولون في العنب العَيْب»<sup>2</sup> فالتغيير هنا حدث بالزيادة فتم زيادة الياء الساكنة بين حركتين كسرة العين وفتحة النون، وفي تتابع الحركات مشقة لذلك جيء بالساكن لتحقيق الراحة التّنفسية فقالوا "عَيْب"، وهذا الاستعمال كثير في لغة العرب فمنهم من يحذف الياء كقول بعضهم "عيب عليك" عوض "عَيْبُ عليك" و "الشَّيبُ عوض الشَّيبُ"، و "الزَّيْتُ عوض الزَّيْتُ" و "الطَّيْرُ عوض الطَّيْرُ".

<sup>1</sup> - الخليل، العين 1 / 64.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 32/1.

ويتطرق أيضا إلى عجمة بعض سكان الأندلس فقال: «وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهممًا إذا أراد أن يقول محمداً»<sup>1</sup> فصوت الحاء غير موجود في العديد من اللغات اللاتينية والكثير من سكان أوربا لا يحققه نطقاً لذلك كانوا إذا نطقوا محمداً قالوا مهممًا أو "مومداً" كما سمعناه عند الفرنسيين مثلاً، فبحة الحاء متعبة لدى كثير من سكان الأندلس لذلك أبدلوا هاء من باب الصعوبة في النطق.

إلا أن هذا النطق إن عولج على المستوى البلاغي فقد يعد من العيوب النطقية، ذلك أن نيل صفة الفصاحة تفرض أن يكون متعلم العربية من غير العرب سالماً في آلة النطق، وبالتالي يكون بليغاً، حتى يتسنى للسامع معرفة كنه ما يقصده الناطق من نطقه.

وعدَّ العرب الأثغ والتمتام بغير الفصيحين لنقصان ألتهما عن إقامة أصوات العربية، وسمي زياد بالأعجم فقيل "زياد الأعجم" لأنه كان لا يقيم أصوات العربية فكان يعبر عن الحمار: الهمار<sup>2</sup> فعد ذلك عيباً، إلا أن ابن حزم إكتفى بطرح الظاهرة لأن مقام الحديث كان يدور في تأثير اللغات في بعضها البعض، وصعوبة التحرر من اللغة الأولى بالنسبة للبرابرة والأوربيين على عهده، والذين كانوا يسكنون في بيئة بعيدة عن البيئة العربية التي تحقق أصوات العربية تركيباً كما تحققها مفردة.

إن ابن حزم لم يستنكر هذا النطق بالرغم من أنه فطن له بفعل الذوق الذي شب عليه وإنما أرادته شاهداً على التداخل اللغوي بين العربية والعبرية والسريانية، وما يمكن أن يحدث لأي تداخل لغوي في أي بيئة اجتماعية.

<sup>1</sup> - نفسه، 32/1.

<sup>2</sup> - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 16.

ثم يقول: « وفي السَّوْط أسطوط، وفي ثلاثة دنانير ثلثًا»<sup>1</sup>

إن التغيير الحادث في الكلمتين هو تغيير لهجي فوضوي لا ضابط له ولا يدخل فيما قَنَّنَه علماء العربية وإنما اللسان الأندلسي المحلي لم يطوِّعه الإدغام في كلمة السَّوْط وتوالي هذه الأصوات فنطقها "أسطوط" حيث بدأ الكلمة بمتحرك وهي الهمزة وسكن الصوت الثاني نازعا عنه الإدغام وأضاف طاء ثانية، ويدخل هذا في العادة الصوتية المحلية.

ونجد أهل الأندلس ينحتون عبارة ثلاثة دنانير بقولهم ثلثًا وهو نحت يخالف ما شاع عند العرب كقولهم عبشمي من عبد شمس، وبسمل من بسم الله، وحوقل من لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنما دفعهم إلى ذلك التداخل اللغوي عندهم وعسر تحقيق النطق العربي.

ولا يجد ابن حزم تعليلا لذلك اللهم إلا تداخل اللغات وتأثرها المتبادل فيقول: «ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى يتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله»<sup>2</sup>.

إن الإبدال الذي تحدث عنه ابن حزم هو سلوك لغوي استعان به الناطقون في بلاد الأندلس لتحقيق النطق الموافق لهجتهم ومحاولة منهم تجنب المركبات الصوتية المجهددة، وللفرار من الثقل وعسر النطق، وإن مثل هذه الحالات في الإبدال هي حالات سماعية تحدث عنها النحاة كثيرا فابن جنِّي يعلل إبدال السين تاء في ست وأصلها سدسة لانعدام التجانس الصوتي وطلب التخفيف، فالسين والدال متقاربان في المخرج ومتباعدان في الصيغة، يقول: «ومن ذلك قولهم

<sup>1</sup>- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 32/1.

<sup>2</sup>- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 31/1.

ست أصلها سدس فقربوا السين من الدال بأن قلبوها تاء فصارت سدت فهذا تقريب لغير إدغام الآن فقالوا ست»<sup>1</sup>، وكما هو الحال في جميع اللهجات التي جاءت بعد اللغة الفصحى فقد عرفت العربية في الأندلس على عهد ابن حزم تأثراً باللهجات المحلية وبقايا اللغة الرومانية فقد كان يصعب على العديد من الناطقين تحقيق بعض الأصوات العربية فصوت الحاء الموجود في العربية كانوا ينطقونه هاءً فاسم محمد كما أسلفنا الذكر كان ينطق مهمداء، ويقولون في الحوت الهوت تأثراً بالرصيد اللّهي في الأندلس، كما كانوا يحققون السكون في بداية الكلمة فيقولون في عجل: عَجَلٌ - في أبيض: بِيِضٌ - وأحمر: حَمَرٌ وكانوا يدغمون حرف العلة الياء وسط الكلمة فيقولون في كَيْفَ الحال: كَيْفَ الحال - وفي لَيْسَ: لَيْسَ.

ومجمل القول: إن ابن حزم بهذه الالتفاتة الطيبة كان قد وضع الأسس الأولى لأطلس لهجي في بلاد الأندلس فقد سمى أماكن معلومة فذكر قرطبة، وفحص البلوط، وإشبيلية، وعدّد أعرافاً بشرية فذكر الأندلسي، والخرساني، والبربري، والعربي والجويلقي والرومي كما سمى قبائل عربية فذكر مُضَر - وقريش وربيعة، وتميم، وتناول بالحديث المسافات بين المناطق فقال: «وهي على ليلة واحدة من قرطبة» وكل هذه العناصر تدخل ضمن ما يسمّى اليوم بالجغرافية اللسانية<sup>2</sup>.

إن الدارس لهذه العينات يسجل لابن حزم تقدمه في طرح قضايا صوتية تنضاف إلى مجهودات العرب القدامى وتعكس القيمة العلمية لاجتهاد العلماء الأندلسيين في الحديث عن بيئاتهم وعن علوم عصرهم، وبذلك كان ابن حزم من الذين أسسوا للنهضة الفكرية والعلمية في الأندلس التي أبهرت العالم،

<sup>1</sup>- ابن جني، الخصائص 145/2.

<sup>2</sup>- ينظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 1/ 32، 33، 34، 35.

ونشير بأن المستشرقة الألمانية زيغريدهونكي كانت قد أشادت كثيرا بفضل العلماء العرب الأندلسيين وخصت غيرها مرة ابن حزم بالذكر في كتابها ضمن جهوده الفلسفية والفكرية واللغوية والدينية.<sup>1</sup>

#### 4- ظواهر التشكيل الصوتي عند ابن حزم:

##### 4-1- جهاز النطق لدى الإنسان:

###### - تمهيد:

إنَّ أراء ابن حزم في مجال الدراسات الصوتية مرتبطة بالجانب الوظيفي للغة، وقد كان على وعي تام بطبيعة الأصوات اللغوية ذات الطابع الوظيفي، وقد بذل جهدا في تقسيم الصوت إلى أصوات دالة وأصوات غير دالة، وجرَّه حديث تشكيل الأصوات إلى إستعراض للأجهزة المنتجة للأصوات، فتحدث عن مكونات جهاز التصويت وقد أسماها "آلة النطق"، فجاء إجهاده مميذا فخص في كتاب "مراتب البيان" حديثا مطولا ضمن باب: "التقريب لحدِّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية"<sup>2</sup>، فبعد أن تحدث عن مضمون هذا الباب مبينا فضل الله تعالى على الإنسان، فأكسبه العقل الذي به يميز طبائع الأشياء وكُنه الموجودات وأسرار الأشياء، راح يعدد الآيات الكريمة التي بينت فضل البيان من مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>3</sup>. ثم أشاد بفضل اللغة والبيان وعدّ ذلك من النعم الكبيرة التي أنعم الله بها على الإنسان وفضَّله على بقية المخلوقات، وحثَّ على

<sup>1</sup> - ينظر: زيغريدهونكي، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، لبنان، ط3، 1970م.

<sup>2</sup> - الرسائل 93 / 4

<sup>3</sup> - الرحمن 1 إلى 4.

الاعتراف بهذا الفضل العظيم فقال: «فمن جهل مقدار هذه النعمة عند نفسه، وسائر نوعه ولم يعرف موقعها لديه لم يكذب يَفْضُلُ البهائم إلا بالصورة»<sup>1</sup>.

بيّن ابن حزم أن مراتب معرفة الأشياء في وجوه البيان أربعة لا خامس لها أصلاً ومتى نقص منها جزء واحد اختل من البيان بمقدار ذلك النقص.

فأولى المراتب: أحقية وجود الأشياء في نفسها.

وثاني المراتب: بيانها بواسطة العقل.

وثالث المراتب: هو البيان المعتمد على المستوى الصوتي وهو المنطوق الذي يقدم هذه الأشياء.

وإن المرتبة الرابعة هي مدار بحثنا فيما يخص هذا الفصل الذي يتناول مكونات جهاز التصويت عند ابن حزم.

#### 2-4- جهاز النطق كما وصفه ابن حزم:<sup>2</sup>

أدرك ابن حزم أنّ الكلام المنطوق الشفهي هو أصل اللّغة وما الكتابة إلا اختراع بعد ذلك بأزمان طويلة، ولذلك نراه يهتم بالأصوات كلما همّ بالحديث عن اللّغة، وقد عبر عن ذلك بقوله: «والوجه الثالث: إيقاع كلمات مؤلفات من حروف مقطعات، مكنّ الحكيم القادر لها المخارج من الصدر، والحلق، وأنابيب الرئة، والحنك، واللسان، والشفيتين، والأسنان، وهياً لها الهواء المندفع بقرع اللسان إلى صُغ الآذان، فتوصل بذلك نفس المتكلم مثل ما قد استبانته واستقر فيها إلى نفس المخاطب، وتنقله إليها بصوت مفهوم بقبول الطبع منها

<sup>1</sup> - الرسائل 4 / 94.

<sup>2</sup> - هناك فرق بين الجهاز النطقي والجهاز الصوتي، فالجهاز الصوتي عام مشترك بين كل جهاز يحدث صوتاً سواء كان الجهاز آلة كالمنبهات والمحركات والأدوات الموسيقية، أم كان فيزيولوجياً عضوياً على ما هو عليه جميع المخلوقات، أما الجهاز النطقي فيحدث بالأعضاء التي تحدث نطق الأصوات وبين الصوت والنطق فروق فليس كل صوت نطقاً فالنطق مميز يعمل الفكر فيه أما الصوت فلا ( ينظر مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية ص 34 )

للغة إتقفا عليها، فتستبين من ذلك ما قد إستبانته نفس المتكلم، ويخرج إليها بذلك مثل ما عندها لظفا من اللطيف الخبير، لينتج لها ما وهبنا من هذه الخاصة الشريفة والقوة الرفيعة، والطبيعة الفاضلة، المقربة لمن استعملها في طاعته، إلى فوز الأبد برضاه والخلود في جنته نتيجة يبين بها من البهائم التي لا ثواب ولا عقاب عليها والتي سخرها لنا في جملة ما سخر، ودلّها لحكمنا مع ما دلّ إذ خلق لنا ما في السماوات والأرض إلا ما حمى عنا، واستثنى بالتحريم علينا فله الحمد والشكر منا، والسمع والطاعة علينا ومن فضله تتميم ذلك لنا بمنه وطوله قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾<sup>1</sup> فهذه المرتبة الثالثة من مراتب البيان»<sup>2</sup>.

إن المتمعن في هذا النص يصل إلى حكم مفاده أن ابن حزم كان على دراية كبيرة بطبيعة اللغة الوظيفية التي حققت إيصال المعارف بين الأمم والأجيال، وحملت الأفكار وحققت أفضلية الإنسان على بقية المخلوقات ومكنته من الإستبانة عن العواطف والوجدان وعبرت عن الأشياء المحيطة به.

لقد عدّ ابن حزم اللغة إيقاعا وفي ذلك إشارة إلى النطق فاللغة في حقيقة أمرها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>3</sup>، وفي مصطلح الإيقاع إشارة إلى النغم الموسيقي وإلى الحسن والطرب والتأثر بالصوت، واللغة على زنة فُعلة من لَعَوْتُ إذا تكلمتُ ونطقتُ وأصلها لُغَوَةٌ، وفي الأصوات اللغوية جمال، وكثيرا ما يتم الإعجاب بالإنسان حين ينطق فتحدث المتعة الفنية لدى

<sup>1</sup>- إبراهيم / 4.

<sup>2</sup>- ابن حزم، الرسائل، 4 / 96.

<sup>3</sup>- ابن جني، الخصائص، 4 / 138.

السامع، فالإيقاع من اللّحن ومن الغناء وهو «أن يوقع الألحان ويبينها وسمّى الخليل رحمه الله كتاباً من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع»<sup>1</sup>.

وينتج الإيقاع اللّغوي بفضل تآلف الكلمات من حروف مقطعات بتعبير ابن حزم وفي ذلك إشارة إلى "الكلمة" وهي مدار البحث في علوم اللّسان أو كما أصبحت تسمى الدليل اللّساني المتكون من الدال والمدلول، فالكلمة إذن هي لفظة دالة على معنى مفرد بالوضع وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف<sup>2</sup>، وتتألف الكلمة من حروف وصفها ابن حزم بأنها مقطعات إشارة إلى الحروف الهجائية حين تأتلف مع بعضها البعض وفق الأنساق العربية، فإذا تفحصنا الكلمة وحاولنا أن نضعها تحت المجهر فسنجد أنها تتألف من الحروف الهجائية التي يتفاوت عددها بحسب اللّغات والألسن «فالحروف إذن هي أصغر الوحدات في الكلمة ولا شك أن اللّغة التي ليس لها إلا عدد محدود من الحروف الهجائية سيكون رصيدها من المفردات ضئيلاً جداً»<sup>3</sup>. ثم قال بأن هذه الحروف مكنّ الحكيم القادر لها المخارج<sup>4</sup>، ثم راح يعدد كل مخرج على حدة اعتماداً على ملاحظاته الذاتية ومعارفه التي يكون قد أخذها عن سابقه من العرب وغيرهم.

#### 3-4- التوصل من منظور ابن حزم:

إن هذا النص يشرح العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب، أي

بين

<sup>1</sup> - ابن منظور، اللسان، (وقع).

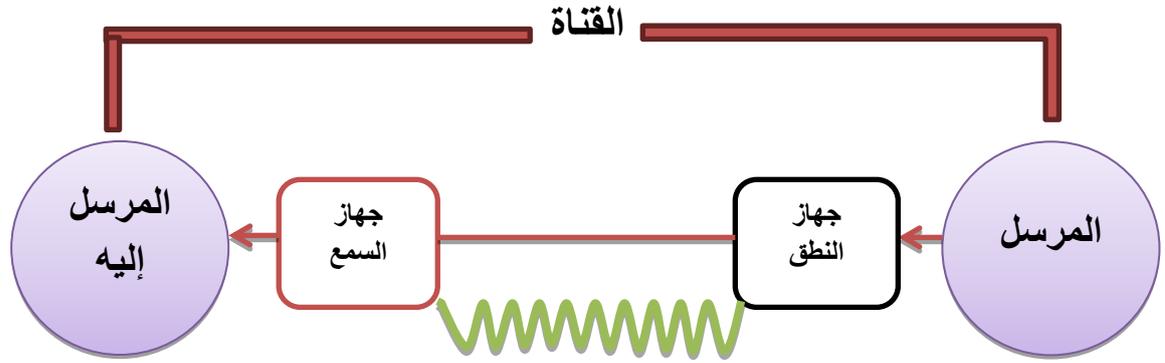
<sup>2</sup> - الرسائل، 4 / 96.

<sup>3</sup> - د. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، السنة 1981، ص58.

<sup>4</sup> - ينظر: الرسائل، 4 / 96.

المرسل الذي وظف أعضاء جهاز النطق في تشكيل كلمات وفق الأنساق اللغوية المتفق عليها، والمرسل إليه الذي استعد وهياً أعضاء جهاز السمع لإستقبال الأصوات المتنقلة عن طريق الهواء مشكلة قناة مستقيمة لتصل إلى صمغ الأذن والذي يحيلها إلى الدماغ، وهو وصف علمي اهتدى له ابن حزم أكدته الدراسات الحديثة.

وبذلك يكون ابن حزم قد شرح العملية الفيزيائية لانتقال الصوت في شكل ذبذبات هوائية من المنتج إلى المستقبل، وهي عملية شغلت بال القدماء العرب من أمثال ابن سينا، والفارابي، والمحدثين من الذين راحوا يفسرون طريقة انتقال الأصوات في إطار عملية التلقي والتواصل التي تحدث عنها سوسيروجاكسون، ويلمسليف وغيرهم، وفق المخطط الآتي:



لقد أراد ابن حزم أن يوضح أن اللغة أكثر طرق الإتصال الانساني استعمالاً وأعظمها تطوراً، تقوم بنقل المعلومات بطريقة تلقائية منظمة أراد لها الله سبحانه وتعالى ذلك وتدخل في تكريم الإنسان الذي فضله الله بهذه اللغة وبهاته الأجهزة النطقية والسمعية والعصبية.

إن ما اهتدى إليه ابن حزم وهو يتحدث عن مراتب العلوم وما جرّه إليه فكره رغم أنه لم يكن يقصد أن يتخصص في هذا الجانب، قد أشار إليه حديثاً جاكبسون

عند حديثه عن وظائف اللّغة فقال: «إن كل عملية لغوية تقوم على أطراف هي:

- 1- الباث أو المرسل
- 2- المتلقي أو المرسل إليه.
- 3- الرسالة أو الخطاب.
- 4- عملية البث وهي عملية تركيب الرموز.
- 5- عملية التلقي وهي تفكيك الرموز.
- 6- القناة المشتركة بين الباث والمتلقي، فوظيفة المتلقي هنا هي الوظيفة الإفهامية وتتعلق بالباث الوظيفة الإنفعالية»<sup>1</sup>.

لقد تحدث ابن حزم جيداً عن عملية التخاطب فقال: «فتوصل بذلك نفس المتكلم مثل ما قد استبانته واستقر فيها إلى نفس المخاطب وتنقله إليها بصوت مفهوم بقبول الطبع منها للغة إتفاً عليها، فتستبين من ذلك ما قد استبانته نفس المتكلم ويستقر في نفس المخاطب مثل ما قد استقر في نفس المتكلم»<sup>2</sup>، فهو يرسم لعملية الإتصال قطبين هما المرسل (الذي سماه المتكلم) والمرسل إليه (الذي سماه المخاطب) وأن الخطاب ينتقل من نقطة البداية إلى نقطة الوصول ولذلك يسلك ممراً سماه العديد من العلماء القناة، وهاته العملية تستعين كما أشار الدكتور التواتي بن التواتي بجهازين: «جهاز الإرسال وهو هنا الجهاز

<sup>1</sup> - محمد عزام، الأسلوبية (منهجاً نقدياً)، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1989، ص117.

<sup>2</sup> - الرسائل، 4 / 96.

الصوتي، وعندما يبلغ الخطاب المنتهي يوجد جهاز لاقط يتلقى تلك الرموز ويترجمها ويعيدها إلى الصيغة التي إنطلق بها الخطاب من المصدر»<sup>1</sup>.

#### 4-4- أعضاء جهاز السمع في نظر ابن حزم:

##### - تمهيد:

لقد تحدث ابن حزم عن الجوانب الوظيفية للصوت وتطرق إلى الأعضاء المنتجة له، ولم يقف عند هذا الحد بل توسع في شرحه إلى الجهاز المستقبل المتمثل في حاسة السمع لدى الإنسان وبين كيفية الاستقبال والتحويل، حتى يحصل الفهم والإدراك لما بثه المتكلم كما عبر عنه. وقد سُميَ هذا الجانب من الدراسة بعلم الأصوات السمعي، وهو «علم يهتم بدراسة عملية إدراك الفروق لأصوات الكلام والاختلافات في النطق»<sup>2</sup>.

لقد عبر ابن حزم عن مرحلة استقبال الأصوات بقوله: «وهيأ لها الهواء المندفع بقرع اللسان إلى صمخ الأذان فتوصل بذلك نفس المتكلم... إلى نفس المخاطب» وهو إنما عبر عنه بصمغ الأذان لأن الصمغ أو الصماغ كما يسميه آخرون هو العضو الأساسي الذي يقوم بالدور الأكبر في عملية استقبال الصوت ونقله إلى الدماغ.

##### أ- الإدراك الصوتي:

إن حاسة الاستقبال الصوتي هي الأذن، وخصّها ابن حزم بالذكر، وهي العضو الأساسي في جهاز السمع، وهي التي تسهم في عملية الإنصات والسمع وإحداث الطرب والنشوة في النفس وتغنّي بها الشعراء حتى إنهم قالوا: والأذن تعشق قبل العين أحياناً.

<sup>1</sup>- التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 58.

<sup>2</sup>- مكي درار وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية، منشورات دار الأديب، ص31.

إن الأذن تنقل التموجات الصوتية وتحولها عبر أعضاء أخرى إلى الدماغ لتتم عملية التحليل ويتحقق الفهم ويتم الإدراك، وهي عملية معقدة متكاملة بين أجهزة التصوير والسمع والإدراك وقد يصعب تمثيلها.

### ب- وظيفة الأذن:

- **تعريف:** الأذن هي عضو يستخدم من قبل الكائنات الحية لإستشعار الصوت ضمن ما يعرف بحاسة السمع، ويستخدم المصطلح إما للإشارة للعضو الخارجي الظاهر من الجهاز السمعي وكذلك للعضو الداخلي المسؤول عن المعالجة الأولية للصوت.

### - أقسام الأذن:

يتكون عضو الأذن من ثلاثة أجزاء هي:

● الأذن الخارجية، والأذن الوسطى والأذن الداخلية «ومما هو معروف أن للإنسان أذنين يمينى ويسرى، وأن الوظيفة السمعية للأذن تختلف عن أختها فيستطيع الانسان أن يتعرف على اللحن إذا سمعه من أذنه اليسرى ووصل مباشرة إلى نصف دماغه الأيمن، كما يتعرف الإنسان جيّداً على الخطاب إذا سمعه من أذنه اليمنى وصبّ مباشرة في نصف دماغه الأيسر، ويفهم من هذا أن الجزء الأيسر من الدماغ يكون تعلم الأنظمة والجزء الأيمن للدماغ مخصّص للتعرف على الألحان»<sup>1</sup>.

إن الأذن الخارجية تلتقط الذبذبات الهوائية، والأذن الوسطى تحول الضغط الصوتي إلى ذبذبات ميكانيكية وأما الأذن الداخلية فإنها تحول الذبذبات إلى واقع عصبي ترسله نحو الدماغ<sup>2</sup>، وما يهمنا في هذا هو إشارة ابن حزم إلى عملية التقاط الصوت اللغوي عن طريق الأذن الخارجية التي يكمن دورها

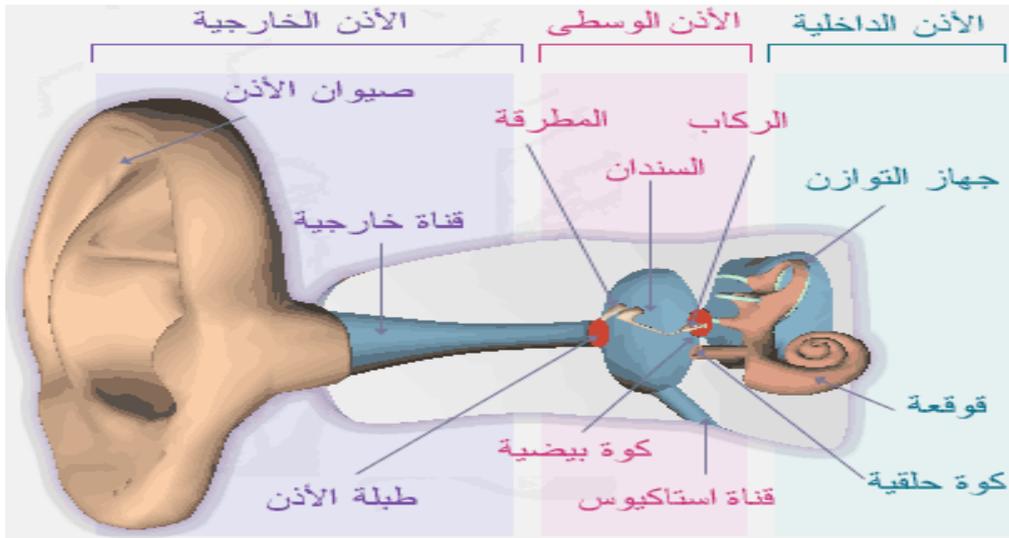
<sup>1</sup>- عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992.

<sup>2</sup>- ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الانماء القوني، لبنان، ط1، 1988، ص 51.

في تجميع ونقل الأمواج الصوتية من البيئة المحيطة وتوصيلها إلى الدماغ، وقد إقتصر في ذكره لأعضاء جهاز السمع على الصماخ فقال: «وهيأ لها الهواء المندفع بقرع اللسان إلى صمخ الأذان فتوصل بذلك نفس المتكلم إلى نفس المخاطب»<sup>1</sup>، ولم يكن هذا من باب جهله لبقية الأعضاء وإنما كان يعرف جيدا أهمية هذا العضو في العملية السمعية.

فالصماخ ويسمى الممر السَّمعي أو قناة الأذن «هو ذو شكل أسطواناني مفتوح من جهة الصوان، ومغلق النهاية من جهة الطبلية، طوله حوالي 25 ميلمترا وقطره ما بين (12 و 8 ميلمترا)، يقوم بعملية تضخيم الموجات الصوتية التي تصل إليه من ضعفين إلى أربعة أضعاف ويساعده شكله الأسطواناني على أن يقوم بدور فراغ رنان ومن بعده تأتي طبلية الأذن»<sup>2</sup>.

والشكل الآتي يوضح أعضاء جهاز السمع.



## الشكل رقم 05

<sup>1</sup>- الرسائل 4 / 96.

<sup>2</sup>- مكي درار وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية، ص 72.

## المبحث الثالث: التفكير النحوي عند ابن حزم.

### 1- النحو العربي والمذهب الظاهري:

#### 1-1- الظاهرية:

المتفق عليه لدى جمهور العلماء أن الظاهرية مذهب فقهي، نشأ في بغداد منتصف القرن الثالث الهجري على يد داود بن علي الظاهري (ت 270هـ)، إلا أن أمرها ذاع وانتشر في بلاد المغرب والأندلس على يد ابن حزم الأندلسي وبعدها البعض أنها المذهب السني الخامس، وتعتمد الظاهرية على:

5- التمسك بالقرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

6- الاهتداء بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

7- الاستصحاب ويقصد به حكم المبنى على النص وحتى يوجد دليل من النصوص يغيره وطرح كل ما عدا ذلك ومنها القياس والرأي والاستحسان والمصالح المرسلة.<sup>1</sup>

ولذلك عدّها البعض منهجاً فكرياً لا ترقى إلى درجة المذهب. سارت الظاهرية على الأخذ بظاهر النص، فلا اجتهاد ولا رأي في النص، ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع، وقد قرر الظاهريون أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما جاء به نص يثبت تحريمه، وبذلك أراحوا العقل من اختلاف الناس في المسائل الدينية، ويردون على من قال بالقياس بأن الإسلام فصلّ للناس ما حرم عليهم فقالوا إن من قاس النبيذ على الخمر بجامع السكر غير مطلع على النص فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «كل مسكر خمر وكل

<sup>1</sup> - أنور الزعبي، ظاهرية ابن حزم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط2، 2009، ص79.

خمر حرام» وبذلك ما بقي لهذا القياس حاجة خصوصاً وأن الله تعالى قال:  
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>1</sup>

## 2-1- المعارضون للظاهرية:

عارض العديد من العلماء دعوة الظاهرية ورأوا أن محاولة ابن حزم التجديدية وثورته على القياس والاجتهاد هي مخالفة للدين، وهي أبعد ما يكون عن الإسلام، لذا فقد حرصوا الخلفاء والأمراء في عهده عليه ففرضوا الحظر على أفكاره ومنعوه من التدريس بجامع قرطبة ونددوا به في المجالس والندوات وحذروا الناس من الاستماع إليه فقد قال ابن العريف في شأنه:  
«لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان»<sup>2</sup>

## 3-1- عناية الظاهرية بالنحو:

جاءت عناية الظاهرية بالنحو العربي انطلاقاً من عقيدتها في تقديس النص والاعتماد على الظاهر الذي هو اللغة طبعاً، إن اللغة في مذهب الظاهرية هي الأداة الأساسية لتوضيح وتبسيط المعاني وتسهيلها على البشر لبلوغ غاياتهم وأغراضهم ولذلك تجمع الآراء على أن لغة ابن حزم كانت من أجمل ما كتب وأوضح ما ألف بها»<sup>3</sup>. زد على ذلك أن الظاهرية وظفت العديد من العلوم لفهم الشرع فكان ابن حزم يستعين بالفلسفة والمنطق وبقية العلوم غير الشرعية لتفسير النصوص وشرحها ولذلك سار على جميع مستويات اللغة في نشأتها وتطورها وقضية أفضلية لغة على لغة وفي نطقها ثم كانت

<sup>1</sup> - المائدة، 03.

<sup>2</sup> - نقلاً عن الذهبي سير أعلام النبلاء 199/18، ابن العريف هو أحمد بن محمد الصنهاجي كان أحد أقطاب الصوفية في الأندلس.

<sup>3</sup> - أنور الزعبي، ظاهرية ابن حزم، ص108.

للظاهرية وقفة جادة سجلها التاريخ في قضايا النحو العربي وفق أركان الظاهرية وهذا ما لا نجده في أي مذهب من المذاهب الفقهية الأخرى.

فلم نسمع أن أحداً قال سآبسط النحو وفق المذهب المالكي ولا على الشافعية أو الحنبلية والحنفية، أما أهل الظاهر فقد اقتحموا هذا الميدان بكل قوة وجرأة ودعوا إلى:

1- إبطال القياسات النحوية.

2- إلغاء نظرية العامل والعلل الثواني والثالث النحوية.

3- إلغاء باب التنازع وهو من باب الزيادات في اللّغة.

وقالوا لا زيادة في الشرع ولا زيادة في اللّغة كذلك

**2- مفهوم النحو عند ابن حزم:**

يعرف ابن حزم النحو بقوله: «معنى النحو هو تنقل هجاء اللّفظ وتنقل حركاته الذي يدل على ذلك على اختلاف المعاني، كرفع الفاعل ونصب المفعول وخفض المضاف إليه وجزم الأمر والنهي كالياء في التثنية والجمع، وفي النصب وخفضها، وكالألف في رفع التثنية والواو في رفع الجماعة وما أشبه ذلك، فإن جهل هذا العلم عسر عليه علم ما يقرأ من العلم»<sup>1</sup>.

يظهر من هذا التعريف أن ابن حزم يؤمن بالوظيفة التعليمية للنحو فالهدف من النحو إنما هو امتلاك سلامة اللّغة لمن لم يسبق له النطق بها أو لمن فقد فصاحتها وذلك ما صرح به ابن جنّي (ت 392هـ) «النحو هو انتحاء سمّت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتّحقيق، والتّكسير، والإضافة والنّسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل، ص64.

اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها»<sup>1</sup>.

ويشترك ابن حزم مع ابن خلدون حين عدَّ النحو وسيلة وحذر من تعقيد النحو ودعا إلى تجنب الصبيان عويص النحو ودعا إلى التدرج في تعليمه فقال: «فالغرض منه في الأصل تعلم أصول المخاطبة والمحادثة والقراءة لكتب العلوم والفنون، أما ما زاد على ذلك كالإغراق في تتبع المسائل العويصة كالتي نجدها عند علماء أصول النحو، أو ما يعرض له سيبويه فليس من اختصاص العامة أو من موجبات تعلم اللغة»<sup>2</sup>، ويبدو أن هذا التوجه كان ابن حزم قد انطلق فيه من قناعاته المذهبية التي بناها على الظاهر فكان يتعامل مع الأحكام والنصوص من خلال معانيها الظاهرية.

### 3- موقف ابن حزم من العلة في النحو:

اعتمد النحاة العرب في استنباط قواعد اللغة على القياس، ولجؤوا إلى تعليل الحكم النحوي للرتب النحوية ضمن أسبقية الكلام فقالوا المبتدأ مرفوع وعلته رفعه الابتداء، وقالوا علة رفع الفاعل هي عامل الفعل، وتكاد الدراسات الحديثة تجمع أن من تصدى لنفي العلة هو ابن مضاء القرطبي، والحقيقة أن ابن مضاء أخذ ذلك عن شيخه ولي نمته ابن حزم الذي تطرق في كتابه التقريب إلى نفي العلة فقال: «وأما علم النحو فعلى مقدمات محفوظة عن العرب الذين تزيد معرفة فهمهم للمعاني بلغتهم وأما العلل ففاسدة جدًّا»<sup>3</sup>، ثم يضيف بشأن ما يذهب إليه النحاة العرب من تعليل لجوئهم إلى المسموع بعد أن كرهوا الاستثقال فيه فيقول: «ومثل ما يستعمله النحويون في علمهم فإنها

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، ص 34/1.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الرسائل، ص 65.

<sup>3</sup> - ابن حزم، التقريب، ص 202.

كلها فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة البتة، وإنما ألحق من ذلك أن هذا سمع من أهل اللّغة الذين يرجع إليهم في ضبطها ونقلها، وما عدا هذا فهو مع أنّه تحكم فاسد متناقض، فهو أيضاً كذب، ذي حس أنه كذب، لم يكن قط ولا كانت العرب عليه مرة، ثم انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك»<sup>1</sup>.

إن الرفع والنصب والجر في كلام العرب لا علة له وإنما ثبت بالمشاهدة أن المتكلم هو الذي يحدث الرفع والنصب والجر والجزم وإن شاء لم يفعل ذلك فهو المحدث للأصوات والحروف والكلمات من جانب حركاتها وهيئاتها، وقد ذهب هذا المذهب ابن جني قديماً<sup>2</sup>، إلا أنه لا يمكن الاعتقاد بأن النحاة الذين علّوا الرفع والنصب والجر لم يكونوا يدركون إرادة المتكلم في إحداث هذه الأصوات، وإن ما يمكن تقديمه من تبرير في اعتقاد النحاة هو أن اللّغة تسلك هذا المسلك وإن اختلفت الحركات.

#### 4- موقف ابن حزم من القياس في النحو:

القياس باب مشترك أسس عليه الفقه الإسلامي والمنطق، وتأثر به النحاة ولا سيما المتأخرون منهم فاعتمدوه ومزجوا بين القياس العقلي المنطقي والقياس النحوي.

وقد رفض العديد من الفقهاء القياس وأبطلوا العمل به ويأتي في مقدمة هؤلاء داود بن خلف المؤسس الأول للمذهب الظاهري، ثم تبعه مريده ابن حزم الأندلسي الذي يرجع إليه الفضل الكبير في نشر المذهب الظاهري الذي رفض القياس جملة وتفصيلاً ثم أبطل الرأي والاستحسان والتقليد والتعليل<sup>3</sup>، يرى ابن حزم «أن القياس بدعة حدثت في القرن الثاني ثم فشا وظهر في القرن الثالث

<sup>1</sup>- ابن حزم، التقريب، ص168.

<sup>2</sup>- ينظر الخصائص، 46/2.

<sup>3</sup>- ابن حزم، الاحكام في أصول الاحكام، 177/7.

وعده باطلاً لأن الدين كله منصوب عليه، ولا علة لشيء من أحكام الله تعالى»<sup>1</sup>، وتبعه ابن مضاء القرطبي وهي رؤية المذهب الظاهري، وتبعه في ذلك دعاة التيسير النحوي المعاصرون وغيرهم من الدارسين الذين تأثروا بالمناهج الغربية الحديثة ومن الفلاسفة الذين رفضوا القياس نجد أبا العلاء المعري (ت 449هـ) الذي كان يضيق ذرعا بالقياس لدى النحاة الذين قوّلوا العرب ما لا يقولون بأقيستهم<sup>2</sup> إلا أنه لم يرفض القياس كلية إنما دعا إلى التخفيف منه، وهذا موقف وسط من القياس مثل ما دعا إليه بعض المعاصرين وأثنوا عليه، ذلك أن «التوسط في القياس خير من المبالغة فيه بفتحه على مصراعيه وخير من سدّه إلى الأبد إذ هو وسيلة من وسائل نمو اللّغة»<sup>3</sup>

#### المبحث الرابع: التفكير الصّرفي والبلاغي عند ابن حزم.

##### 1- الدرس الصّرفي عند ابن حزم:

##### 1-1- مفهوم الصّرف:

عادة ما يجعل اللّغويون باب الصرف بعد باب الصوت فالكلمة تبني اعتماداً على الوحدات الصوتية فتنشكّل الكلمة ثم يتم تحديد طبيعتها ضمن أقسام الكلمة أي اسم أم فعل، أم حرف، لذلك جاء تعريفهم مناسباً لهذه التشكيل فقالوا: «الصّرف علم تعرف به أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب»<sup>4</sup>، ويقوم الصرف بدراسة نوات الأبنية فيتناول أبنية المصادر، السماعية منها والقياسية والأفعال المجردة والمزيدة واشتقاق الأسماء، وقواعد الإبدال والقلب والإعلال والإدغام، ويرى الدكتور عبده الراجحي أننا نستطيع فهم علم الصرف من خلال الترتيب الآتي:

<sup>1</sup> - ابن حزم، ملخص إبطال القياس، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت، ص 07.

<sup>2</sup> - أبو علي الفارسي، الصاحب، تح السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة، دت، ص 67.

<sup>3</sup> - المعري والنحو، ص 76.

<sup>4</sup> - ابن الحاجب، الشافية، ص 216.

8- علم الأصوات اللغوية يدرس العنصر الأول الذي تتكون منه اللغة، أي يدرس الصوت المفرد في ذاته أو في علاقته في غيره.

9- علم الصّرف يدرس الكلمة.

10- علم النحو يدرس الجملة.

ومن هذا الترتيب نستطيع أن ندرك أن كثيراً من مسائل الصرف لا يمكن فهمها دون دراسة الأصوات وبخاصة في موضوع الإعلال والإبدال والقلب والإدغام<sup>1</sup>.

وقد نشأ علم الصرف والإعراب معاً بعدما شعر العرب بحاجتهم إليهما وذلك لمقاومة اللحن وفساد الألسن وفهم القرآن الكريم ولم يفصل العرب بين المستويات اللغوية حتى إن ابن جنّي جمع بينهما في تعريفه للنحو فقال: «النحو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها».

## 1-2- نظرة ابن حزم إلى الصّرف:

يعد علم الصرف في مفهوم ابن حزم قسماً من أقسام الكلام، وهو المفرد الذي دلت ألفاظه على معنى في نفسها، ولا فائدة فيه أكثر من نفسه<sup>2</sup>، فهو لا يكلف نفسه عناءً بهذا المستوى لأنه في رأيه لا يفيد شيئاً أكثر من نفسه ومع ذلك يورد العديد من الإشارات الصرفية، وهو في ذلك يسير على درب النحاة

<sup>1</sup> - عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص 07-08.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الرسائل، 136/4.

الذين عاصرهم والذين سبقوه فقد كانوا يقدمون لأبوابهم النحوية بباب يسمونه "الكلام وما يتألف منه"<sup>1</sup>.

لقد عالج ابن حزم قضايا صرفية في رسائله حين كان يتحدث عن النحو وعلوم اللّغة والأدب من ذلك:  
1/ تعريف للاسم:

فقال: «هو صوت موضوع باتفاق يدل على زمان معين، وإن فرقت أجزاءه لم يدل على شيء من معناه»<sup>2</sup>، ويقصد بالاتفاق اصطلاح اللّغويين على تسمية الشيء المعين بالاسم المعين ويقصد بقوله إن فرقت أجزاءه أي إن أخذ من داله بعضاً وترك بعضاً كقولنا بَعِي، فلا يدل على معنى اسم بغير، وصاروخ فلا يدل على معنى صاروخ..

وصنّف هذه الأسماء إلى صنفين:

الصنف الأول: ما دل على الخصوصية وهو ما يعرف بالاسم المعرفة كاسم العلم مثل زيد وعمرو والمعرف بالأداة كالرجل والمضاف كغلامي وما ينبو عن الاسم من ضمائر، وأسماء الإشارة والموصول، وما إلى ذلك من المعارف.

الصنف الثاني: ما دل على العموم وهو ما يعرف بالاسم النكرة مثل: رجل، وحمار<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - فسيوييه إمام النحاة يقدم لكتابه بباب عنوانه: هذا باب ما الكلم من العربية يشرح فيه أقسام الكلم، ينظر الكتاب 1/

<sup>2</sup> - ابن حزم، الرسائل، 187/4.

<sup>3</sup> - ابن حزم، الرسائل، 188/4.

ولم يذكر ابن حزم ما صنفه العلماء من الأسماء التي دلت على الذات وعلى الحدث من مصادر نحو: الجري- واللعب -والأكل، وأسماء الزمان والمكان نحو مطلع، ومغرب، ومشرق والأسماء المبهمة التي تدل على الجهات والأوقات والموازيين والمكاييل والأسماء الدالة على الجنس.

## 2/ تعريفه للفعل:

هو صوت دال بتواطؤ على الوجه الذي ذكر في الاسم غير أنهما يتباينان في كون الكلمة أو الفعل تدل على معنى وقوعه في زمان كقولنا: قام يقوم، وليس يكفي في كونه فعلاً أن يدلّ على الزمان فحسب، فإن قلنا: أمس واليوم وغدا وعام أول، ومضرب الناقة، ومقدم الحاج، دل ذلك على الزمن<sup>1</sup>.

يكمن الجانب الصرفي للفعل في تحوله من الماضي إلى المضارع إلى المستقبل، وقد تناول ابن حزم هذا الجانب اللغوي عند الفصل بين الزمنين: المضارع والمستقبل ورفع الأشكال بينهما حين أشار إلى إدخال السين وسوف على الزمن المضارع أو بزيادة لفظ: غداً أو بعد ساعة، وما أشبه ذلك من الألفاظ الدالة على معنى الاستقبال<sup>2</sup>.

## 3/ تعريفه للحرف:

لابن حزم إشارات قليلة حول طبيعة الحرف في اللغة العربية فقد أشار إليه حين قسم الكلام إلى مفرد ومركب فتحدث عن زيادة الألف واللام للدلالة على التعريف وتحدث عن الضمائر الخاصة بالذكر أو المؤنث وتحدث أيضاً عن حرفي الاستفهام (هل والهمزة) الدالة على طلب المعرفة.

<sup>1</sup> - نفسه، 4/189.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الرسائل ، 4/166-167.

وتطرق إلى الروابط واللواحق وهي مجموعة القرائن السياقية التي تفيد في الزيادة معنى جديداً أو تقوية معنى قديماً وغيابها في القول يؤثر على بناء الخبر في جملته<sup>1</sup> فاللواحق ما يسمى حروف المباني كألف ولام التعريف أما الروابط فما سميت حروف المعاني ووظيفتها الربط بين جزئي الكلام كالاسم والاسم، أو الاسم والفعل أو المبتدأ والخبر وهي تشمل حروف الجر والاستفهام والضمائر وغيرها، ولهذه الحروف وظيفة كبيرة ومنفعة عظيمة «إذ لا يتم البيان إلا بها وتنب عن تطويل كثير»<sup>2</sup>.

## 2- الدرس البلاغي عند ابن حزم:

نالت البلاغة اهتمام العلماء وعنايتهم في وقت مبكر فقد بهرتهم لغة القرآن الكريم، فراحوا يجتهدون في إيجاد تخريجات لهذه الآية ولتلك على حسب موروثهم البلاغي وأذواقهم الفنية، وقد تصدر الجاحظ (ت 255هـ) الحديث عن البلاغة بما أفاضه من حديث عن جدلية اللفظ والمعنى، أطلب الجانب الفني أكثر في أحدهما دون الآخر أم فيهما معاً، وقد كان يقول: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي القروي والبدوي...»<sup>3</sup> وعلى غرار علماء البلاغة السابقين أورد ابن حزم تعريف للبلاغة مفاده «البلاغة ما فهمه العامي كفهم الخاصي، وملاك ذلك الاختصار لمن يفهم، والشرح لمن لا يفهم»<sup>4</sup>.

وهو يقصد بهذا التعريف أن البلاغة ما استوى في فهمها العام والخاص إذ ينتبه إلى ألفاظها كلا منهما، حتى وإن لم يتعود على مثل ذلك النظم والمعنى فيستوعب المراد كله دون زيادة أو نقصان، ونظراً لوضوحه وتقريبه ما بعد

<sup>1</sup> - نفسه، 206/4.

<sup>2</sup> - نفسه، 190 / 4.

<sup>3</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، 87/1.

<sup>4</sup> - ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص 204.

وكثير من المعاني، سهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه وسهل عليه أيضاً تقريب الفهم إلى المخاطب به<sup>1</sup>.

وهذا الفهم والإفهام في باب البلاغة لا يتأتى للشخص إلا بتوفر شرطين هما: الشرح والاختصار، يقول في ذلك: «وملاك ذلك الاختصار لمن يفهم والشرح لمن لا يفهم، وترك التكرار لمن قبل ولم يغفل، وإدمان التكرار لمن لم يقبل أو غفل»<sup>2</sup> وفي هذا إشارة إلى مقولة الجاحظ: «وأنه لكل مقام مقال»<sup>3</sup>.

## 2-1- أقسام البلاغة عند ابن حزم:

قسّم ابن حزم البلاغة إلى ثلاثة أقسام رئيسية يقع تحته تصنيف البلغاء هي:

- أ- قسم مائل إلى الألفاظ المعهودة عند العامة كبلاغة الجاحظ.
- ب- قسم مائل إلى الألفاظ غير المعهودة عند العامة كبلاغة الحسن البصري، وسهل بن هارون.
- ت- قسم يجمع بين الوجهين وذلك كبلاغة ابن المقفع<sup>4</sup>.

ثم أطلعنا على نوع من البلاغة أحدثه ابن درّاج في الأندلس: ما بين الخطب والرسائل<sup>5</sup> «ومن أتى من بعد هؤلاء من المتأخرين محكمه منهم أنهم

<sup>1</sup> - ابن حزم، الرسائل، 352/4.

<sup>2</sup> - نفسه، 352/4.

<sup>3</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين،

<sup>4</sup> - فتحة باريك، الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم الأندلسي، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008-2009، ص121.

<sup>5</sup> - سعيد الأفغاني، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط3، 1969، ص50.

بعيدون عن البلاغة ومقربون من الصلّف والتّزديد، حاشا الحاتمي وبديع الزمان فهما مائلان إلى طريقة سهل بن هارون»<sup>1</sup>.

يرى ابن حزم أن امتلاك ناصية البلاغة يتطلب الملكة زائد الثقافة العامة التي تتمثل في الإكثار من ممارسة كلام البلغاء، وسمى ذلك بالطبع والتوسّع في العلوم، وعلى هذا الأساس يجب على طالب البلاغة أن يجمع بين الأمرين، فقال: «ولابد لمن أراد علم البلاغة من أن يضربَ في جميع العلوم التي قدمنا قبل هذا بنصيب، وأكثر هذا القرآن والحديث والأخبار، وكتب عمرو بن بحر ويكون مع ذلك مطبوعاً فيه وإلا لم يكن بليغاً»<sup>2</sup>.

ألحّ ابن حزم على التوسع في العلوم لمريدي البلاغة ويرى أن الطبع وحده غير كاف، فهو يرى في موطن آخر «أن البلاغة أحد العلمين الذّين لا ينبغي طلبهما إلا عن نتيجة اجتماع العلوم الأخرى<sup>3</sup>، أو اجتماع علمين منهما على الأقل، وهما علم البلاغة وعلم العبارة»<sup>4</sup>.

وفي حديثه عن بلاغة القرآن الكريم ذهب فيه برأي المعتزلة فأنكر أن يكون معجزاً لكونه أعلى درجات البلاغة، ولأنه إذا كان كذلك لما اختلف منزلة عن أقوال البلغاء ككلام الحسن وسهل بن هارون والجاحظ، ولكن إعجازه في نظمه لأن مُنزلَهُ تعالى مُنِحَ من القدرة على مثله وحال بين البلغاء وبين المجيء بما يشبهه<sup>5</sup>.

## 2-2- مفاهيم بلاغية عند ابن حزم:

<sup>1</sup> - ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص205.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الرسائل، 353/4.

<sup>3</sup> - يقصد بها: علم القرآن وعلم الحديث وعلم المذاهب وعلم المنطق وعلم الفتيا وعلم اللغة وعلم الشعر وعلم الخبر وعلم العدد وعلم النجوم وعلم البلاغة وعلم العبارة، ينظر التقريب لحد المنطق، ص205.

<sup>4</sup> - ابن حزم، الرسائل، 80/4.

<sup>5</sup> - نفسه، 352/4.

أورد ابن حزم بعض المفاهيم البلاغية إلى جانب نظرتة الخاصة إليها  
نذكر منها:

1- المجاز: ينطلق ابن حزم في حديثه عن المجاز من قناعاته المذهبية فهو يرى أن المجاز في اللغة هو ما سلكت عليه من مكان إلى آخر، كما يقال هذا المجاز من مكان كذا إلى مكان كذا، ثم استعمل فيما نقل عن موضعه في اللغة إلى معنى آخر، وذلك لا يعلم إلا بدليل من اتفاق أو مشاهدة، وهو في الدين كل ما نقله الله تعالى أو رسوله عليه السلام عن موضعه في اللغة ولا يقبل من أحدٍ في شيء من النصوص أنها مجاز إلا ببرهان يأتي به من نص آخر، أو إجماع متيقن، أو ضرورة حس، وهو حينئذ حقيقة لأن التسمية لله تعالى، فإذا سُمي شيء ما باسم ما، فهو اسم ذلك الشيء على الحقيقة في ذلك المكان، وليس ذلك لغيره تعالى في الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾<sup>1</sup>

2- الكناية: هو لفظ يُقام مقام الاسم كالضمانر المعهودة في اللغات، وكالتعريض بما يفهم منه المراد وإن لم يصرح بالاسم، ومنه قيل للكناية كناية<sup>2</sup>.

3- التشبيه: هو أن يشبه شيء بشيء في بعض صفاته، وهذا يوجب حكماً في الدين أصلاً، وهو أصل القياس، لأن كل ما في العالم دون الله عز وجل، فمُشَبَّه بعضه لبعض من وجه أو وجوه، ومخالف له أيضاً في وجه من الوجوه وهو التمثيل.

4- البيان: كون الشيء في ذاته ممكناً أن يعرف بحقيقة من أراد علمه<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>- سورة النجم 23.

<sup>2</sup>- ابن حزم، الرسائل، 410/4.

وخلاصة الرأي فيما أورده ابن حزم من حديث عن البلاغة إنما ينحصر في مفاهيم انطلق فيها من قناعاته الظاهرية ولم يغص في البعد الجمالي للمستوى البلاغي ثم نجده يقتصر في ذكر أساطين البلاغة مثل الجاحظ، وسهل بن هارون، وابن المقفع دون أن يتطرق إلى ما أورده الشعراء والكتّاب من إبداع فني كان محط دراسة واهتمام لدى المنظرين، وقد وقف على بعض المصطلحات البلاغية دون الغوص في تحديد دلالاتها ولم يمثل لها بالشواهد واكتفى بتحديد مفاهيمها حسب الحقل الدلالي.

### 3- نظرية المعجم عند ابن حزم:

تمثل الكلمة الوحدة الأساسية في اللّغة وتحمل في ذاتها دلالة سماها اللّغويون الدلالة المعجمية، فإن هي وظفت في السياق صار لها دلالة سياقية قد تقترب وقد تبعد عن الدلالية الأصلية لها تبعاً لطبيعة اللّغة، ولذلك نال مصطلح الكلمة اهتماماً بالغاً لدى القدماء والمحدثين.

عرفها العالم اللّغوي بلومفيد فقال: «الكلمة هي أصغر صيغة حرة»<sup>2</sup> ولذلك عدت العامل الرئيسي في الاتصال اللّغوي وفي الممارسة اللّغوية وهي صميم العملية المعجمية، وقد أدرك ابن حزم أهمية الكلمة في تحقيق الدلالة، فراح يجتهد في استعمال الكلمات الأنسب في إبداعه الفكري، والمتمعن في مدونته الأدبية والعلمية يلاحظ توافقاً بين كلماته ومعانيه<sup>3</sup>. كما نجده يقف في العديد من المواقف لتحديد معاني بعض الكلمات اعتماداً على ما اكتسبه من

<sup>1</sup> - نفسه، 410/4.

<sup>2</sup> - بلومفيد، كتاب اللّغة، ص111.

<sup>3</sup> - جاءت الكلمات التي وظفها في كتابه الشهير طوق الحمامة بين الألفة والألاف رقيقة عذبة موحية ذات أبعاد نفسية مؤثرة مناسبة للمشاعر التي انتابت عواطفه.

ثقافة معجمية وما وعاه من رصيد لغوي ودراية علمية، فقال وهو يعرف الكلمة: الحُبُّ: «الحبُّ - أعزك الله- أوله هزل وآخره جدٌّ»<sup>1</sup>.

وإن أهم ما يمكن إدراجه ضمن العمل المعجمي عند ابن حزم ما أورده في فصل خاص جمع فيه ألفاظا كانت تدور بين المتكلمين وكان الخلاف بشأنها قائماً، فأراد شرح معانيها لتفادي الخلط في دلالتها عند الاستعمال، فاجتهد حتى يعطي لكل كلمة مفهومها الخاص بها شرحاً وتفسيراً لأنه كان يرى أن الأحكام الفقهية والحقائق العلمية يتوقف أولاً على تحديد الدلالة المعجمية للكلمات المستعملة وقد وسم فصله: "تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين في الأصول"<sup>2</sup>.

يمثل هذا الفصل تجربة معجمية لدى ابن حزم وإن لم يكن له منهج واضح لأن الدافع من وراء هذا العمل لم يكن معجمياً وإنما حاجته إلى توخي الوضوح والفهم للعديد من الآراء الفقهية والفلسفية التي كان يقتنع بها.

لقد حصر ابن حزم في هذا الفصل مجموعة من الألفاظ بلغ عددها ستة وسبعين لفظاً في صورة رسالة مصغرة يكثر تداولها لدى أهل النظر من دون ترتيب ألبائى، وزعها على تسعة عشر حرفاً بحسب أوائل الأصول وهي:

الألف والباء والتاء والجيم والحاء والخاء والذال والراء والسين والشين والصاد والطاء والعين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون، ولعل السبب في عدم اعتماد جميع الحروف المعجمية راجع كما أسلفنا أن القصد لم يكن صناعة معجم ولا الإلمام بالمادة اللغوية وإنما شرح ما اعترض الدراسة التي كان ابن حزم بصدد التعرض لها.

أ- والمتفحص لهذا الجهد المعجمي يجده سار وفق قسمين هما:

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل، 90/1.

<sup>2</sup>- ابن حزم، الرسائل، 108/1.

أولاً/ الألفاظ المفردة التي تمثل أعلى نسبة فقد بلغ عددها أربعة وستين لفظاً نحو: الإجماع- السُّنة- الرسالة...

ثانياً/ الألفاظ المركبة تجمع لفظين أو أكثر جمع ترادف نحو: الفرض/الواجب واللازم والحتم أو جمع تضاد نحو: اسم المعصية والطاعة، ويبلغ عددها اثني عشر لفظاً<sup>1</sup>.

#### ب- طريقة شرح الألفاظ:

يتبع ابن حزم طريقة العلاقات الدلالية بين الألفاظ في شرحه للوحدات اللغوية التي أوردتها ممثلة في:

- طريقة الحقل الدلالي، يذكر الكلمة ومرادفها نحو: الخلاف والإجماع والسُّنة<sup>2</sup>.
- طريقة الضد يذكر الكلمة وضدها نحو: الإيمان/الكفر<sup>3</sup>، الفور/التراخي.
- طريقة المشتقات: نحو: البيان/ التبيين والإبانة<sup>4</sup>.

وبالنظر إلى طريقة الحقول الدلالية المتبعة حديثاً في تصنيف الألفاظ حسب انتمائها إلى حقلها يمكننا تصنيف الحقول وفق الآتي:

1/ الحقل الدلالي: ومن ألفاظه: الدلالة- الدال- الدليل- الإشارة.

2/ الحقل اللغوي: ومن ألفاظه: اللّغة- اللفظ- الخصوص- العموم...

3/ الحقل البلاغي: ومن ألفاظه: التشبيه- الكناية- المجاز..

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل، 415/4.

<sup>2</sup>- ابن حزم، الرسائل، 409/4.

<sup>3</sup>- نفسه، 410/4.

<sup>4</sup>- نفسه، 411/4.

4/ الحقل الفلسفي: ومن ألفاظه: البرهان- العقل- الرسن- الحد.

5/ الحقل الأخلاقي: ومن ألفاظه: الصدق- الكذب- الحق- الباطل.

6/ الحقل الفقهي: ومن ألفاظه: الإجماع- السنة- الخلاف- البدعة- القياس.

7/ الحقل القرآني: ومن ألفاظه: الأمر- النهي- التأويل- النص.

8/ الحقل الديني: ومن ألفاظه: النبوة- الرسالة- الإيمان- الكفر- الشريعة.

### 3-1- منهج ابن حزم في شرح الوحدات المعجمية:

تنوع شرح ابن حزم للألفاظ بين الإطالة والاختصار فكما كانت اللفظة ذات أهمية في الاستعمال كانت مادتها التفسيرية أغزر، وإن كانت أقل استعمالاً فهي أقل شرحاً. من ذلك أنه شرح المتشابه في القرآن فقال فيه: «المتشابه في القرآن هو الذي نهينا عن اتباع تأويله وعن طلبه، وأمرنا بالإيمان به جملة، وليس هو شيئاً غير الأقسام في السور والحروف المقطعة التي في أوائلها، وكل ما عدا هذا من القرآن فمحكم ومنه قوله في المفصل: هو ما بنيت أقسامه، وهو في أصل اللغة ما فُرق بعضه عن بعض، تقول فصلت اللحم ونحو ذلك، ومنه أيضاً الاستنباط إخراج الشيء المغيب من شيء آخر كان فيه، وهو في الدين إن كان منصوصاً على معناه فهو حق، وإن كان غير منصوص على معناه فهو باطل»<sup>1</sup>.

وقد يفسر بالسياق اللغوي، إما من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو من الشعر العربي.

• فمن أمثلة السياق القرآني قوله في شرح مصطلح الخلاف:

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل، 4/411.

«الخلاف في أي شيء كان هو أن يأخذ الإنسان مسلماً من القول أو الفعل، ويأخذ غيره مسلماً آخر وهو التنازع قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾<sup>1</sup> وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>2</sup> وهو التفرق قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾<sup>3</sup>»<sup>4</sup>.

• ومن أمثلة الحديث الشريف قال في شرح كلمة البدعة:

«البدعة كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل في ما نسب إليه، وهو في الدين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا منها ما يؤجر عليه صاحبه ويقدر في ما قصد به الخير، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه جملةً ويكون حسناً كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «نِعَمَتُ الْبِدْعَةُ هَذِهِ»، ومنها ما يكون مذموماً ولا يغدر صاحبه، وهو ما قامت عليه الحجة على فساده، فتمادى عليه القائل به»<sup>5</sup>.

• ومن أمثلة الشعر العربي قال في شرح لفظ الشريعة:

«الشريعة هو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم في الديانات أو على السنة أنبيائه عليهم السلام، والحكم منها للناسخ، وأصلها في اللغة الموضوع الذي يتمكن فيه ورود الماء للراكب الشارب من النهر، قال امرؤ القيس:

ولمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمَّهَا \*\*\* وَأَنَّ الْبِيَاضَ مِنْ فَرَائِضِهَا دَامِي

<sup>1</sup> - الأنفال 46.

<sup>2</sup> - النساء 82.

<sup>3</sup> - آل عمران 103.

<sup>4</sup> - ابن حزم، الرسائل، 4/409.

<sup>5</sup> - نفسه، 4/410.

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنُ عِنْدَ ضَارِحٍ \*\*\* يَفِي عَلَيْهَا الظُّلُّ عَرْمُضَهَا الطَّامِي<sup>1</sup>

وقد استدلَّ على هذا اللفظ كذلك بالقرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ

مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا<sup>2</sup>﴾<sup>3</sup>.

• وهناك تفسير أورده ابن حزم لبعض الألفاظ لجأ فيه إلى شرح معاني هذه الألفاظ باستعمال ضد وخلاف ونقيض فقال في «دليل الخطاب معناه ضد القياس وهو أن يحكم للمسكوت بخلاف حكم المنصوص عليه»<sup>4</sup>.

• وهناك تفسير بالكلمة الواحدة في قوله: «التفسير والشرح هما التبيين»<sup>5</sup>.

## المبحث الخامس: العلاقات الدلالية عند ابن حزم.

### 1- مفهوم الدلالة عند ابن حزم:

نال المستوى الدلالي عند ابن حزم عناية قصوى، فلا يخلو حديثه عن اللُّغة أو المنطق، أو الفلسفة، أو الفقه، والشريعة من إشارات إلى معاني الألفاظ والتراكيب وإلى مقاصدها ودلائلها.

وقد تنوعت آراؤه تبعاً للقضايا التي ناقشها وتبقى قناعته الظاهرية بادية في كل مواقفه ونظراته، فقد انطلق في دراسته للمعنى حين استعرض نشأة اللُّغة الإنسانية وكيفية حدوث الألفاظ وعلاقتها بمعانيها، ثم بحث في المعاني

<sup>1</sup> - امرؤ القيس، الديوان شرح وتحقيق د محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2002، ص373.

<sup>2</sup> - الشورى 13.

<sup>3</sup> - ابن حزم، الرسائل، 4/410.

<sup>4</sup> - نفسه، 4/411.

<sup>5</sup> - نفسه، 4/411.

الوظيفية التي تحققها المستويات الصوتية والصرفية والنحوية بالإضافة إلى ما تضيفه البلاغة من مسحة فنية ودلالية على اللّغة.

وتتمثل جهوده الدلالية في العديد من الجوانب التي راجت لدى العلماء الذين سبقوه في مختلف التخصصات ولدى معاصريه من الأصوليين والفقهاء واللّغويين والنحاة والفلاسفة، وتتجلى عنايته في المجالات الآتية:

تفطن ابن حزم مبكراً لطبيعة الدليل اللّساني الذي يقوم على ركنيه الأساسيين وهما الدال والمدلول، فأورد تعريفاً له جاء فيه: «الدليل ما استدل به، وقد يكون برهاناً، وقد يقع اسماً لكل شيءٍ ذلك على معنى كرجلٍ ذلك على طريق، ونحو ذلك»<sup>1</sup>، وقد أسبق هذا التعريف بتعريف اصطلاحى لمفهوم الدلالة قال فيه: «هي كون الشّيء بحالة يلزم مع العلم به، العلم بشيءٍ آخر، والأول هو الدال والثاني هو المدلول»<sup>2</sup>.

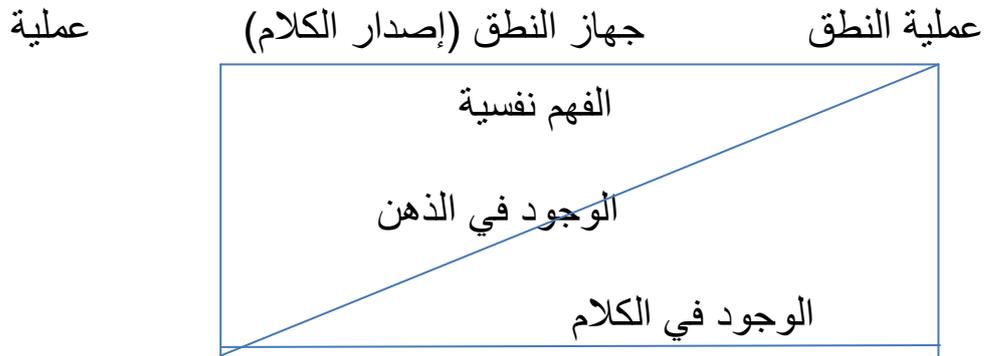
لقد نظر ابن حزم إلى ما يحيط بالعالم ورأى أنه يتألف من ظواهر تتداول على أجسام لها دلالتها مصنفاً أيها إلى مراتب أو وجوه، أولها الوجه الواقعي الذي يتشكل بالأجسام وكيفياتها، والوجه الثاني هو الذي يتم بعد التقاط العقل لأشكال الموجودات وصفاتها ثم استقرارها بمادة العقل على ما هي عليه، ليقوم العقل بمعابنتها وتمييز بعضها عن بعض باشتراك العقل وأوائل الحواس، فالتصور الذهني الذي استقر في العقل هو مدلول ذلك الشيء الموجود في الواقع، وهو -أي المدلول- حاصل إجماع الشكل والصفة المُميّزة، ليظهر الوجه الثالث، وهو الوجه اللغوي حاملاً المعاني التي حلت في النفس<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن حزم، الرسائل، 413/4.

<sup>2</sup> - نفسه، 50/4.

<sup>3</sup> - ابن حزم، الرسائل، 96-95/4.

أما الوجه الرَّابِع فنصبي يتمثل في النصوص المكتوبة يقول فيها: «والوجه الرابع إشارات تقع باتفاق، عمدتها ما استقر في النفس من البيان المذكور بخطوط متباينة متفق عليها بالصَّوت فتبلغ به نفس المخطط ما قد استبانته إلى النفس التي تريد أن تشاركها في استبانة ما قد استبانته»<sup>1</sup>، والملاحظ أن ابن حزم كان له نظر ثاقب في نظرية الكلام حيث «تعد هذه النظرة التي استقر عندها في تصويره للعملية الكلامية بين المتكلم والسامع نظرة علمية دقيقة سبق فيها علماء اللسانيات المحدثين، فقد أبان عن طبيعة الدال الصوتية، والمدلول النفسية، فالدال من جهة يمثل أثرًا نفسيًا وذهنيًا لما يدركه العقل من صور الأشياء الموجودة في الواقع المادي، ومن جهة أخرى يبين كيفية حصول التواصل اللساني بين طرفين في جملة من العمليات المنطقية والنفسية والسمعية والإدراكية، والتصور التالي يصف العملية التواصلية عنده»<sup>2</sup>



نظام الترميز

(صوت مفهوم بقبول الطبع)

منها اللغة اتفاقا عليها)

<sup>1</sup> - نفسه، 97/4.

<sup>2</sup> - نعمان بوقرة، التصور اللساني، ص104.

يمثل هذا المخطط:

- 1- الجانب الفيزيائي: عملية النطق.
- 2- الجانب النفسي (الربط بين الشيء واللفظ الدال عليه).
- 3- نظام الترميز (اللغة المتفق عليها).

«إن هذا الربط الذي جاء به ابن حزم ما هو إلا صورة سابقة لما تبناه دي سوسير في وصف نظام التواصل وإن كان سوسير قد ركز على الجانب الأول والثاني فقط إذ وصفه بأنه ليس مجرد متوالية صوتية، ولكنه تأليف وتركيب يخضع لقوانين خاصة باللغة المتفق عليها كما أنه أثر نفسي سمعي»<sup>1</sup>.

## 2- أنواع الدلالة عند ابن حزم:

**2-1- الدلالة اللفظية:** يقابلها في المفهوم الدلالي الدلالة المعجمية وهي ما يحمله اللفظ المفرد من معنى عرفها الجرجاني بقوله: «هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه»<sup>2</sup>.

لم يشر ابن حزم إلى تعريفها وإنما ذكر أقسامها في علاقتها بمسمياتها عند وقوعها على الأشخاص وهي قسمان:

1/ ذاتي: وهو ما دلّ على جماعة أشخاص دلالة لا تفارقها البتة ولا ترتفع عنها إلا بفسادها، ويضم اسم الجنس نحو: حيوان- حي، والنوع نحو قولنا الجن، الناس، الملائكة، والفصل وهو لفظ تسمى به أشخاص كثيرة نحو قولنا: إنسان أبيض، وثوب وأخضر.

<sup>1</sup>- فتحة باريك، الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2009/2008، ص133.

<sup>2</sup>- الجرجاني، التعريفات، الدار التونسية للنشر والتوزيع، دط، 1911، ص51.

2/ غيري: وهو ما دلَّ على جماعة أشخاص دلالة لا تفارق ما هي فيه وينقسم إلى نوعين: عرض عام وهو لفظ يدل على كثيرين مختلفين بأشخاصهم<sup>1</sup>، ويبدو أن في هذا التقسيم تداخل فابن حزم يكون قد اطلع على النحو الهندي فراح يسقط ذلك على هذا التقسيم<sup>2</sup>.

2-2-1/ المشترك اللفظي: وهو ما دل على معنيين مختلفين فأكثر في لفظ واحد نحو: عين ماء، العين: العضو الخاص بالبصر، وذهب ابن حزم إلى أنه لا يراد بالاسم الواحد إلا معنى واحدًا أو أكثر من واحد<sup>3</sup>، وقد مثل ذلك بكلمة "الروح" التي حملت دلالات كثيرة في القرآن الكريم، ففي قوله عز وجل ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾<sup>4</sup> يخاطب الروح المرسل إلى العذراء مريم عليها السلام وهو سيدنا جبريل عليه السلام، وفي قوله ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾<sup>5</sup> فهذا العلم، وفي قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾<sup>6</sup>، فذلك الروح المنفوخ في عيسى عليه السلام، والأصل في هذه المعاني واحد وهو الروح الأعلى، ولكنه يختلف معناه باختلاف صفاته وحركاته، فإن ألقى في القلوب، فهو علمٌ، وإن كان نسيماً فهو روحٌ، وإن كان شديد الحركة فهو ريح، وإن كان قويا في القلب مفصلاً راسخاً فهو يقينٌ وإن كان حياة للجسم فهو روح الجسم<sup>7</sup>.

يتبع ابن حزم منهجاً قائماً على التحليل والمقارنة فيدرس التشابه في استعمالات هذه الألفاظ، ثم يشير إلى ما يمكن أن يقع فيه القارئ من الغلط،

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل، 277/4-278-279.

<sup>2</sup>- السيوطي، المزهري، 90/1.

<sup>3</sup>- ابن حزم، الرسائل، 174/4.

<sup>4</sup>- النبأ 38.

<sup>5</sup>- الشورى 52.

<sup>6</sup>- النساء 171.

<sup>7</sup>- ابن حزم، الرسائل، 404/4-405.

فيرى أن «الجاهل مغدور لجهله بالأمر، وأما العامد فملوم، ومن ذلك ما قاله بعض الأكابر حين سئل عن اللفظ بالقرآن فقال: «هذا السؤال محال، واللفظ بالقرآن لا يجوز لأنه لا يلفظ، فأضرب عن اللفظ الذي هو القول والكلام، وتعداه إلى اللفظ الذي هو القذف، كلفظ الرجل لقمةً من فيه، ومثله قولهم: "راعنا" التي من المراعاة، بأنها من الرعونة»<sup>1</sup>.

2-3/ الترادف: وهو ما اختلف لفظه واتفق معناه نحو: الأسد والليث، والسبع، والسيف، والبتار، أولاه ابن فارس اهتماما بالغاً فذكر مؤيديه ومعارضيه<sup>2</sup>، وتحدث عنه الغزالي وعدّه من الأسماء المختلفة الدالة على معنى يتدرج تحت حدٍّ واحدٍ كالخمر والراح، والعقار، فإن المسمى بهذه يجمعه حدٌّ واحدٌ، وهو المانع المسكر المعتصر من العنب، والأسامي مترادفة عليه<sup>3</sup>.

تناول ابن حزم الترادف من جانب المفردات والجمل فأقحم مفهومًا منطقيًا، فأما من جانب الأفراد فقال إنه يراد بالاسمين معنىً واحدًا وأما جانب التركيب فيقول: «إنه قضايا مختلفة الألفاظ متفقة المعاني، وإن كان ظاهر لفظ بعضها، وحقيقة معناها النفي، وظاهر بعضها وحقيقة معناها الايجاب، وهي مع ذلك متفقة المعاني اتفاقًا صحيحًا لا اختلاف بينها»<sup>4</sup>، وقد سمى الترادف في هذه الحالة بالمتلائمات، وهي أخبار وقضايا واردة بألفاظ شتى معناها واحد. وكثيرا ما يغلط فيها الجاهل حيث يظن أنها مختلفة المعاني بسبب ما يرى من اختلاف ألفاظها، ومثال ذلك قولك: بعض ما ليس من لحم خنزير ليس

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل، 310/4-311.

<sup>2</sup>- ينظر الصاحبى، ص 207.

<sup>3</sup>- الغزالي، معيار العلوم، ص 52.

<sup>4</sup>- ابن حزم، الرسائل، 213/4.

حلالاً، قولك: ليس كل ما ليس لحم خنزير حلالاً فهذان لفظان مختلفان ومعنيان متفقان<sup>1</sup>.

2-4/الفروق الدلالية: رأينا سابقاً أن ابن حزم أقر بالترادف ومع ذلك يحاول أن يجد فروقا خصوصا عندما تحدث عن الروح والنفس، فقال بأن هناك فرقا بين روح أهل الأرض وروح الملائكة، حين ذكر أن عدم تسمية المولى عز وجل الشهداء أرواحا في قوله: «وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»<sup>2</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما نسمة المؤمن...» ولم يقل روحه، لأن الروح تحفظ كل ما فعل ابن آدم ولا تنسى شيئاً، وإنما النسيان آفة النفس أو الجسد، فإذا انكشفت الآفات ذكر الروح لأنها في الآخرة تحكي كل ما شاهده في الدنيا<sup>3</sup>.

2-5/التضاد: عرّف اللغويون التضاد بأنه كلُّ شيء ضادٌّ فالبياض ضد السواد والموت ضد الحياة، والكرم ضد البخل والشجاعة ضد الجبن، وبذلك يصبح «كل ضد ما نفاه»<sup>4</sup>، وهو من الظواهر اللغوية التي أحدثها التقابل بين الدال والمدلول، وهو نوع من العلاقة بين المعاني فبمجرد ذكر معنى معين يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، فعلاقة الضدية أوضح الأشياء في تداعي المعاني<sup>5</sup>.

والتضاد نوع من الدلالة وهو قسمان:

<sup>1</sup> - نفسه، 214/4.

<sup>2</sup> - آل عمران 169.

<sup>3</sup> - ابن حزم، الرسائل، 404/4.

<sup>4</sup> - أبو الطيب اللغوي، الأضداد في كلام العرب، 01/1.

<sup>5</sup> - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965، ص207.

- لفظ واحد يدل على معنيين متضادين وهو قليل في العربية نحو لفظ الجلل الذي يستعمل للعظيم والحقير.
- لفظان يختلفان نطقاً ويتضادان معنى وهو المشهور: نحو الأبيض/الأسود وهو ما أشار إليه ابن السكيت في قوله: «والضدُّ خلاف الشيء»<sup>1</sup> وقد تطرَّق ابن حزم للقسمين معاً مقلداً سابقيه فجعل التضاد في باب المشترك اللفظي في نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾<sup>2</sup> فالخيط هنا يقصد به الظلمة والنور وهو ما يفهم من لفظتي الأبيض والأسود، وإن كان عدي بن حاتم قد غلط في فهم المعنى عند سماعه الآية للاشتباه في اللفظ<sup>3</sup>.

وفي الوقت نفسه أخذ برأي المحدثين فيما يخص المعنى، حين أخذ باللفظتين المتضادتين معاً ويتجلى ذلك في تعريفه للتضاد على أنه «كل نقطتين اقتسم معنيهما طرفي البعد، وكانا واقعين تحت مقولة واحدة، وكان بينهما وسائط، فالسواد، والبياض ضدان تحت جنس واحد وهو اللون، والجود والشح ضدان تحت جنسين هما الفضيلة والرذيلة وكل ضدين يدركان بحاسة واحدة، وكل ضدين إن كان أحدهما في النفس فالآخر فيها أيضاً»<sup>4</sup>. وحقيقة التضاد عنده أنه «إذا ما وقع أحدهما ارتفع الآخر»<sup>5</sup> فإذا حضر السواد ارتفع البياض.

البياض.

<sup>1</sup> - إصلاح المنطق، ص79.

<sup>2</sup> - البقرة 187.

<sup>3</sup> - ابن حزم، الرسائل، 310/4.

<sup>4</sup> - نفسه، 90/1.

<sup>5</sup> - نفسه، 396/4.

ونكر ابن حزم أن الله عز وجل خلق الدنيا دار محنة وبلوى، فجعلها أصدقاءً وأزواجاً لتقع المحنة وتحقق الدلالة، لأن الأشياء لا تعرف حقيقتها إلا بأضدادها، فبالظلمة يعرف النور وبالمكروه يعرف المحبوب وبالشر يعرف الخير... وكل شيء يعرف بصاحبه ويهتدي إليه بزوجه وضده لتتم في آخر المطاف الدلالة الحقيقية من هذه الأضداد وهي الاهتداء إلى وحدانية المولى عز وجل.

## 2-6- دلالة العلامة (الإشارة):

تشكل العلامة في حياة الناس صفة يتفق عليها طرفان أو أطراف، فإذا رآها طرف عرف القصد وأدرك المراد الذي تم الاتفاق عليه، وبذلك نالت هذه العلامة والتي يسميها الناس كذلك الإشارة اهتماماً بالغاً، وكثيراً ما تستعمل الحواس في التعبير بالإشارة وبذلك قال الشاعر:

أَشَارَتْ بِعَيْنَيْهَا مِنَ الْهُودَجِ \*\*\* لَوْلَاكَ ذَا الْعَامِ لِنَ أَحْجَحُ<sup>1</sup>

ويرى ابن حزم أنها تنبيه على المشار إليه أو تنبيه له، ويكون ذلك باللفظ أو ببعض الجوارح<sup>2</sup>. وهذا يعني أن الإشارة لغة خاصة بالحركات الجسمية، والتي تستخدم فيها كل أعضاء الحواس لخلق هذه اللغة<sup>3</sup>، لأن الحواس موصلات إلى النفس ما قد أدركته، فهي إلى النفس كالأبواب والأزقة والمنافذ والطرق<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - هذا البيت شاهد نحوي في حذف الخبر وجوباً بعد لولا وهو للشاعر: جميل بن معمر ينظر كتاب قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام، ص58.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الرسائل، 410/4.

<sup>3</sup> - الرديني محمد علي، فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1-2002، ص119.

<sup>4</sup> - ابن حزم، الرسائل، 157/4.

لقد حفلت كتب ابن حزم بالحديث عن الإشارة فأشار بأن علامة غير لغوية يتفق عليها شخصان من ذلك ما ذكره في خبر الجارية وصاحبها في اتفاقهما على علامة وصل بينها وبينه، اتخذها إشارة لهما حتى لا يكشف أمرهما، وكانت بلفّ يدها في قميصها إذا أرادت أن تسلّم عليه<sup>1</sup>.

فهذه علامة اختيارية تتم عن طريق الاصطلاح بين الأفراد لأغراض متعددة، ومثله ما يحدث اليوم في الحروب، وفي نظام العسس والحراسة، وهناك علامات اضطرارية تحدث بفعل الغريزة النفسية أو المشاعر العاطفية والانفعالات النفسية، كتقطب الوجه من الغضب والحزن والابتسام عند الفرح والسرور، وهذا ما لاحظته ابن حزم عند المحبين فعرضه بقوله: «فمن علاماته وشواهد الظاهرة لكل بصر الانبساط الكثير الزائد في المكان الضيق، والتضايق في المكان الواسع والمجازبة على الشيء يأخذه أحدهما وكثرة الغمز الخفي والميل بالاتكاء والتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء وتحري المكان الذي يقابله فيه»<sup>2</sup>.

## 2-7- الدلالة الإشارية بالجوارح (الحواس):

تحدث ابن حزم عن الإشارة بالجوارح في حال إخفاء ما تضرره النفس وينوب عن اللفظ في كثير من الأحيان، فالمتكلم يريد الكناية عن مقاصده دون التصريح في العديد من المقامات، وهذا ما طرحه في باب السفير إلى المحبوب، فأشار بأن صورة المرسل إلى المحبوب أن يتمتع بهيئة لائقة ويكون حاذقا يكتفي بالإشارة ويحقق الغرض الذي بعث عليه عن طريق الإشارة بالعين، «وإنه ليقوم في هذا المعنى المقام المحمود، ويبلغ المبلغ

<sup>1</sup>- نفسه، 189/1.

<sup>2</sup>- ابن حزم، الرسائل، 106/1.

العجيب، ويقطع به، ويتواصل، ويوعد، ويهدد، ويقبض، ويُبسط، ويُؤمر،  
وينهى، وتضرب به الوعود، وينبّه على الرقيب، ويضحك، ويحزن ويسأل  
ويُجاب ويمنع ويعطي»<sup>1</sup>.

رتب ابن حزم الحواس الخمس حسب أهميتها في إيصال الرسالة إلى  
المرسل إليه وشرح أداء كل حاسة حسب الترتيب الآتي:

أ- البصر: ويمثله العين فهي تنوب عن إيصال المشاعر والأحاسيس  
ولذلك يقول في شأنها: «ولو لم يكن من فضل العين إلا أن جوهرها  
أرفع الجواهر وأعلاها مكاناً، لأنها نورية لا تُدرك الألوان سواها، ولا  
شيء أبعد مرمى ولا أنأى غاية منها، بها نقف على الحقائق ونميز  
الصفات، ونفهم الأحاسيس، وكذلك هي الحواس الأربع أبواب إلى  
القلب، ونوافذ نحو النفس، إلا أن العين أبلغها، وأصحها دلالة وأوعاها  
عملاً»<sup>2</sup>

ب- الشم: ويُدرك عن طريق الأنف؛ إذ تعمل الإفرازات المخاطية على  
حلّ أجزاء الرائحة وتحويلها إلى مركب قابل للذوبان، وهو ما يؤثّر  
بدوره على الأعصاب الشمية التي تحول الخبر إلى المراكز العصبية  
الدماعية الخاصة بالشمّ وفي ذلك قال ابن حزم: «وأما المحسوس  
بالشمّ فهي الأرائح من الطيب والنّتن وما بينهما من الوسائط، كروائح  
بعض المعادن وما أشبه ذلك، هو إدراك النّفس بتوسّط الشمّ من الأنف  
تغيّراً يحدث في الهواء الذي بينهما وبين المشموم، وقد تدرك النّفس

<sup>1</sup> - نفسه، 138/1.

<sup>2</sup> - ابن حزم، الرسائل، 137/1.

أيضاً بتوسط العقل والشَّم معرفة مائة المشموم الرائحة، كمعرفتنا المسك بتمييزنا رائحته، والنَّتن كذلك، وكذلك سائر المشمومات»<sup>1</sup>.

ت-الذوق: وحاسته اللسان وما ينحلُّ من الطعوم في بقية أعضاء الفم فيصل إلى العقل ويؤثر على الأعصاب الخاصة بالذوق والتي تحول الخبر إلى المراكز العصبية المكلفة بالذوق، فيتمكن الشخص من تمييز مختلف الأطعمة وتصنيفها «ومن ثمة يتسنى له العلم بلذاتها أو نقائضها وهكذا تتحدد قيمة العلامة في حياة الإنسان»<sup>2</sup>.

ث-اللمس: وهو المحسوس باللمس قال فيه ابن حزم: «وأما المحسوس باللمس فهو ينقسم قسمين أحدهما ما تدركه النفس بملاقة بشرة الجسد السليم لسطح الملموس بلا توسط شيء بينهما، إما من استواء أجزاء سطحية ويُسمى ذلك إملاساً، وإما من ثباتة فيسمى صلابة وإما من تفرقها فيسمى تهيلاً\* أو تهولاً»<sup>3</sup>.

والمخطط الآتي يلخص طبيعة هذه الحاسة وأهميتها:

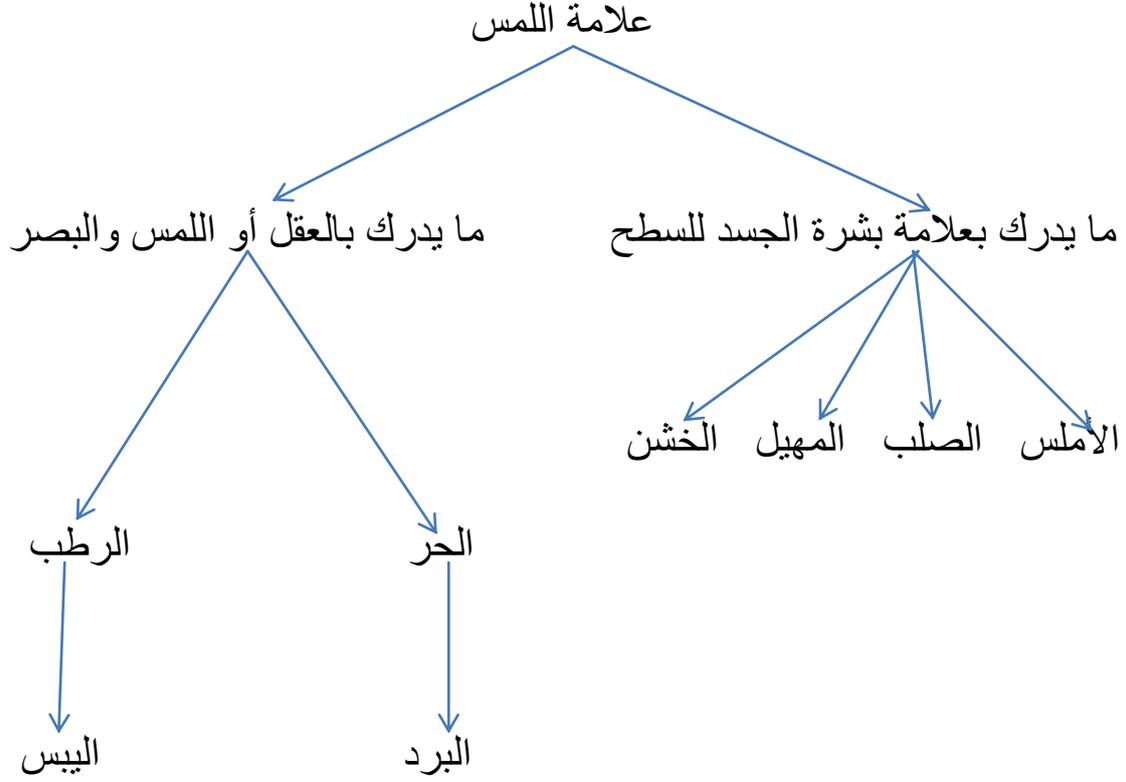
---

<sup>1</sup> - نفسه، 160/4.

<sup>2</sup> - نعمان بوقرة، مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد 11، ديسمبر 2003، ص71.

<sup>3</sup> - ابن حزم، الرسائل، 161/4.

\* هال عليه التراب يهيل هيلاً وأهال فانها، وهَيْلُه فتهَيْلُ: صبَّه فانصبَّ والهيل السحاب، والهيلان ما انهال من الرمل، الفيروزبادي، القاموس المحيط، (هَيْل).



ج- السمع: وسماه ابن حزم المحسوس بالسمع وقال إنه: «ينقسم قسمين أحدهما الإدراك بسمع الأذن نفسه بذاته بلا واسطة، ولكن بملاقة الهواء المندفع ما بين المصوت... وما يقرع أو ما يقرعه وهكذا في الرعود الحادثة مع البروق، والقسم الثاني هو ما تدركه النفس بالعقل والعلم بتوسط الصوت مثل تأليف اللّحون وتركيب النّغم، ومعاني الكلام المسموع وما أشبه ذلك»<sup>1</sup>.

## 8-2- دلالة الخط:

تنوب الكتابة عن المنطوق في إيصال المعنى والتعبير عن المقاصد وقد تكون الكتابة أبلغ في العديد من المقامات والمواقف، وهذا ما أشار إليه ابن

<sup>1</sup>- ابن حزم، الرسائل، 160/4.

حزم في باب المراسلة من حال العاشق والمعشوق فيقول: «وينبغي أن يكون شكل الكتاب ألطف الأشكال وجنسه أملح الأجناس، ولعمري إن الكتاب للسان في بعض الأحيان»<sup>1</sup>. فما الكتابة إذن إلا وجه من أوجه الدلالة.

## 9-2- دلالة السياق:

اهتم ابن حزم بدلالة السياق اهتمام علماء التفسير والفقهاء الذين اعتمدوا في تحديد المعنى على الظروف المحيطة بالنص من جوانب نفسية واجتماعية وتاريخية، ومما جاء عنده في الاحتكام إلى السياق رده على المالكية الذين اتهموه بالاكْتفاء بظاهر اللفظ في النص قوله: «وأما تغليبنا الظاهر وإعماله على مفهوم خطابه، فكلام لا يعقل لاستعمال الظاهر دالاً بمفهوم خطابه، وهو نفسه الذي يبدو للسامع منه لا معنى للظاهر غير ذلك»<sup>2</sup>، فحقيقة المذهب الظاهري أكبر من ذلك يهدف إلى ربط النص بالواقع المعيشي<sup>3</sup>.

## المبحث السادس: منهج ابن حزم في العلوم العربية

### - تمهيد:

يعد ابن حزم مفكراً تأثر كثيراً بالثقافة العربية الإسلامية، وبتقافة عصره، شأنه في ذلك شأن كثير من المفكرين الذين يدورون في فلك ذلك الإطار الإسلامي السائد في زمانهم، وقد نجحوا في الوصول إلى طرح آراء وأفكار كان من نتائجها إحداث قفزة نوعية إلى الأمام في الفكر الحضاري العربي.

وانطلاقاً من واقع التراث الذي خلفه ابن حزم في مختلف مناحي الحياة الفكرية نستطيع أن نقرر أن الفكر اللغوي عند ابن حزم انطلق من قناعاته

<sup>1</sup> - نفسه، 139/4.

<sup>2</sup> - نفسه، 80/3.

<sup>3</sup> - نعمان بوقرة، النظرية اللسانية عند ابن حزم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2004، ص52.

المذهبية فهو فيلسوف وفقه مسلم له منهجه الظاهري في فهم النصوص، وهو مفكر مثقف عاش تجارب اجتماعية وسياسية لها سلبياتها وإيجابياتها، ورأى عن كثب الآثار التي أحدثتها الأحداث والوقائع كل ذلك كان له الأثر البالغ في منهجه الفكري.

## 1- خصائص منهجه العلمي:

كانت لابن حزم جهود متفرقة في مجالات اللّغة والأدب وقد طبق في هذه المجالات ظاهريته، ولم يقصد الوصول إلى مستوى التخصص على غرار سيبويه والمبرد والزمخشري وغيرهم ومنافسة أرباب التفوق في الدرس اللّغوي، وإنما دفعته موسوعيته إلى الاهتمام باللّغة نظرًا لضرورتها في أبحاثه وثقافته وأصناف علومه.

لقد كان ابن حزم يرى أن اللّغة ترتبط بالثقافات والعلوم بل إنه كان يرى أن اللّغة العربية فرضٌ على الفقيه لأنها وسيلته الأولى «في فهم معاني الكلام يعبر عنها باختلاف الحركات وبقاء الألفاظ - فمن جهل اللّغة وهي الألفاظ الواقعة على المسميات، وجعل النحو الذي هو علم اختلاف الحركات لاختلاف المعاني، فلم يعرف اللّسان الذي به خاطبنا الله تعالى ونبيّنا عليه الصلاة والسلام، ومن لم يعرف ذلك اللّسان لم يحل الفتيا له، لأنه يفتي بما لا يدري»<sup>1</sup>.

كما يلح ابن حزم على إنزال اللّغة المكانة العليا في النشاط الإنساني فهي فزيادة على وظائفها المعتادة التي يألفها العقل فإنها تعد عدة الفقيه، ويبدو أن عصره قد حفل بكثير من الفقهاء الذين لم يتقنوا اللّغة، ولهذا نجده يؤكد بحدة

<sup>1</sup> - ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، 693/5.

على ضرورة اللّغة للفقهاء المفتي فيقول: «ولهذا لزم لمن طلب الفقه أن يتعلم النحو واللّغة، وإلا فهو ناقص منحط لا تجوز له الفتيا في دين الله عز وجل»<sup>1</sup>.

يقوم منهج ابن حزم في اللّغة على ألاّ ينصاع متعلموها وراء المزيد من التعمق النحوي الذي يجنح إلى الافتراضات والتقديرات والتأويلات وهو ما يسمى بالعوامل والعلل فهي كلها فاسدة<sup>2</sup> لأنها تخالف منهجه الظاهري وبالتالي فلا فائدة فيها، ويقول في ذلك: «لا منفعة للتزّيد على المقدار الذي ذكرنا إلا لمن أراد أن يجعله -أي النحو- معاشاً فهذا وجه فاضل لأنه باب من العلم على كل حال»<sup>3</sup>.

ثم يبرز الأهداف المتوخاة من تدريس النحو فهو عنده وسيلة لا غاية في ذاته فيقول: «وأما الغرض من هذا العلم فالخاطبة، وما بالمرء حاجة إليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط»<sup>4</sup>.

كان ابن حزم يرى أن النحو لا يجوز أن يكون ترفاً فكرياً وإنما هو وظيفة اجتماعية وتربوية، «فيقضى من علم النحو على كل ما يتصرف في مخاطبات الناس، وكتبهم المؤلفة ويقضي من اللّغة المستعمل الكثير التّصرف»<sup>5</sup>.

لقد دفعه منهجه الموضوعي وهو المتعصب للعروبة والإسلام والمدافع عنهما في مناقشاته بقوة إلى تبني موقف علمي سليم من أفضلية لغة على لغة فكان يرى بأن اللّغة تابعة لأهلها في تقدمهم وتخلفهم، وقد سخر من "جالينوس" الذي فضّل اللّغة اليونانية على سائر اللّغات، ويجعل ماعدا اليونانية أصواتاً

<sup>1</sup> - نفسه، 208/2.

<sup>2</sup> - ينظر كتاب التقريب لحد المنطق، ص 167.

<sup>3</sup> - ابن حزم، رسالة مراتب العلوم، ص 65.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 65.

<sup>5</sup> - ابن حزم، رسالة مراتب العلوم، ص 64.

تشبه نباح الكلاب أو نقيق الضفادع، فقال ابن حزم: «هذا جهل شديد لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق»<sup>1</sup>.

ومن جانب آخر كان لابن حزم موقف من الأجناس الأدبية انطلق فيه من منهجه الظاهري التربوي الملتزم فهو يحبذ الشعر الملتزم لقضايا الأمة وما فيه حكمة وخير، وما ينبه النفس ويدعو إلى القول الصالح والعمل الفالح<sup>2</sup>.

كان ابن حزم ينطلق من قناعاته العقلية في كل العلوم وكان يحكم العقل في كل موقف ورأي يعترضه، وكان يتوخى الموضوعية والدقة في تبني أي موقف وقد صوّر لنا منهجه في العلوم ضمن قوله: «ولقد رأيت طوائف من الخاسرين، شاهدتهم أيام عنفوان طلبنا وقبل تمكّن قوانا في المعارف، وأول مداخلتنا صنوفاً من ذوي الآراء المختلفة، كانوا يقطعون بظنونهم الفاسدة من غير يقين أنتجه بحث موثوق به على أن الفلسفة وحدود المنطق منافية للشريعة. فعمدة غرضنا وعلما إنارة هذه الظلمة بقوة الواحد عز وجل»<sup>3</sup>.

دعامة اخرى كان ابن حزم يتبناها في منهجه وهي إبطال الرأي والقياس والتعليل على عكس العديد من العلماء الذين سبقوه أو عاصروه، فقد كان يأخذ ألفاظ القرآن الكريم بظاهرها اللغوي، ولا يحاول الغوص وإيجاد تبريرات للأحكام خارج ظاهر النص، وكان يقول: «من أفتى بالرأي فقد أفتى بغير علم، ولا علم في الدين إلا القرآن والحديث»<sup>4</sup>، وأفاض الحديث طويلا في إبطال القياس فإن القياس عنده باطلا في الأحكام الفقهية لأن الدين عند معلوم ففي

<sup>1</sup> - ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، 12/1.

<sup>2</sup> - ينظر محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأندلسي، ص311.

<sup>3</sup> - ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص115.

<sup>4</sup> - ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، 22/2.

اللغة لا يجوز قطعاً وما ينبغي أن يكون، ويبدو أن البعض لأمه على هذا التعصب للمنهج المعتمد على الظاهر فأجابهم:

قَالُوا تَحَفَّظْ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرَتْ \*\*\* أَقْوَالُهُمْ وَأَقَاوِيلُ الْعَدَى مِحْنُ

فَقُلْتُ هَلْ عَيْبُهُمْ لِي غَيْرَ أَنِّي لَا \*\*\* أَقُولُ بِالرَّأْيِ إِذْ فِي رَأْيِهِمْ أَفْنُ

وَأَنْتِي مُوَلَّعٌ بِالنَّصِّ، لَسْتُ إِلَيَّ \*\*\* سِوَاهُ أَنْحُو، وَلَا فِي نَصْرِ أَهْنُ

لَا أَنْتَنِي نَحْوَ أَرَاءِ بِهَا \*\*\* فِي الدِّينِ بَلْ حَسْبِي الْقُرْآنُ وَالسُّنَنُ<sup>1</sup>

ولا يقتصر ابن حزم على إبطال الرأي، بل يذهب أيضاً إلى إبطال القياس، فإذا كان الرأي هو الحكم في الدين بغير نص، فإن القياس هو الحكم فيما لا نص فيه، وإن كان للفقهاء تعليل إلا أن ابن حزم عدَّ القياس بدعة ظهرت في القرن الثاني الهجري وقدم أدلة منها أن الدين كله منصوص عليه فما أمر الله به فهو واجب وما نهى عنه فهو حرام وأما ما عدا ذلك فهو مباح مطلق حلال، ومن حرم من غير النص فقد نهى عما لم يَنْهَ عنه الله تعالى<sup>2</sup> ويضرب ابن حزم في تحريم القياس فيقول: «إذا كان النص قد ورد بتحريم شيء ما، فهل يكون من حقنا أن نحرم شيئاً آخر لمجرد أن يشبهه في بعض صفاته»<sup>3</sup>.

ولما كان ابن حزم قد رفض الرأي، وأبطل القياس، فليس بدعاً أن نجده يرفض أيضاً مبدأ التعليل، وهو يرى أن العلة لا تكون إلا في الطبيعيات وأما في الشرائع فإن الله قد استأثر بحكمة الأوامر والنواهي.

<sup>1</sup>- ابن حزم، حجة الوداع، تحقيق ممدوح حقي، دمشق، تذييل عن الظاهرية، ص146.

<sup>2</sup>- ابن حزم، الاحكام في أصول الأحكام، 03/8.

<sup>3</sup>- ابن حزم، التقريب لحد المنطق، ص168.

فهذا هو المنهج الذي سار عليه ابن حزم في أبحاثه وهو ما تأثر به ابن مضاء القرطبي وجسده في كتابه الشهير الرُّدُّ على النحاة، الذين تبنوا القياس والاجتهاد والعلّة.

### الفصل الثالث: المباحث اللغوية عند ابن رشد (ت595هـ)

- تمهيد.

1- قرطبة حاضنة ابن رشد.

2- سيرة ابن رشد القرطبي.

3- التفكير النحوي عند ابن رشد القرطبي.

4-1- كتاب الضّروري في صناعة النحو.

4-2- المباحث النحوية عند ابن رشد.

4-3- خلاصة رأي ابن رشد في النحو العربي.

4-4- قضايا المصطلح عند ابن رشد.

4-5- علاقة المصطلح النحوي بالمصطلح الفلسفي عند ابن رشد.

4-6- بين ابن رشد وابن مضاء القرطبي.

4-7- بين ابن رشد وسابقيه من نحاة المشرق.

4-8- المنطق والنحو عند ابن رشد القرطبي.

4-9- التوفيق بين المنطق وخصوصية النحو العربي.

4- التفكير الصوّتي عند ابن رشد.

5-1- مخرج المصوتات القصيرة.

5-2- علاقة الإعراب بالمصوتات.

5-3- أهمية المصوتات في بناء الكلمة.

5-4- المقطع الصّوتي عند ابن رشد.

5- المنهج اللّغوي عند ابن رشد.

## - تمهيد:

يمثل ابن رشد القرطبي في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية منارة إشعاع فكري كبير، فهو فيلسوف وطبيب وفقه ولغوي ومفكر، ذهب إلى أقصى مدى في الفكر والإبداع، اشتهر بلقب الشارح لأنه شرح منطق أرسطو وأزال عنه غموض المعنى وقلق العبارة، وقربه للدارسين والقراء على اختلاف أجناسهم.

كان شجاعاً في أفكاره ومقدماً في طرح آرائه، الأمر الذي جلب له المضايقات وعرضه للتنكيل والقهر والنفي من حساده ومن أصحاب النظرة الأحادية الذين لا يستطيعون المنافسة العلمية الشريفة، وكثر فيه القيل والقال وكادوا له لدى حكام عصره، زوراً وبهتاناً وتزييداً وتحريفًا لآرائه وأقواله.

إلا أنه مهما اختلفت الآراء وتضاربت الأقوال حوله في زمانه، بقي اسم ابن رشد محط نقاش في الأوساط العلمية وفي قصور الحكام حتى تم الاعتراف له بالتفوق والمقدرة العلمية والسبق في آخر أيامه، وذاع صيته وعلا شأنه واكتسبت شخصيته الهيبة والوقار بعد مماته.

اقتحم ابن رشد عالم اللغة لما شعر بالحاجة إليها وبضرورتها الكبيرة في أي مجال من مجالات التفكير التي ملأت عليه حياته فكان له حديث عميق في طبيعتها وفي بنائها النحوي والصرفي والمعجمي والصوتي حفلت به كتبه وهو يستعرض رأياً أو فكرياً أو اجتهاداً. وسنتطرق لجهوده القيمة التي حوتها مؤلفاتهن بعد أن نستعرض حديثاً عن حياته وشخصيته وبيئته التي نشأ فيها.

## 1- قرطبة حاضنة ابن رشد:

قبل استعراض حياة ابن رشد نود أن نتحدث عن كلمة "القرطبي" التي تلازم اسمه والتي أصبح يعرف بها وهي نسبة عن مدينة قرطبة.

فَقُرْطَبَةُ بضم أوّله وسكون الثاني وضم الطاء المهملة أيضا، والباء الموحدة كلمة فيها عجمة، وهي رومية لها في العربية مجال من كلمة الْقُرْطَبَةِ وتدلّ على العدو الشديد.

قال الشاعر العربي:

إِذَا رَأَيْتُ قَدَ أَتَيْتُ قُرْطَبًا\*\*\* وَجَالَ فِي جَحَاثِهِوَقُرْطَبًا<sup>1</sup>

وقال الأصمعي (ت216هـ) طَعَنَهُ فَقُرْطَبُهُ إِذَا صَرَاعُهُ، وَالْقُرْطَبُ السَّيْفُ كَأَنَّهُ مِنْ قُرْطَبِهِ. ومدينة قرطبة هي قاعدة بلاد الأندلس، وأمّ المدائن ما فتئت تعكس مدى ما بلغته المدينة الإسلامية من مجد وسؤدد.

وتمتد قرطبة على الضفة العربية لأكبر أنهار الأندلس الوادي الكبير الذي يقترب من أهمّ الطرق المائية لإسبانيا الوسطى.

ذهب البعض إلى أن قرطبة (Kattuba) تعني المدينة الجميلة أو (Korteb) التي تعني طاحونة الزيت، وسواء كان أصلها طاحونة الزيت أم

<sup>1</sup>- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 325/4.

المدينة الجميلة فإن هذا الاسم قد خلّده التاريخ، فاقترن بجلائل الأعمال وأكابر الأعلام<sup>1</sup>.

جاء في نفع الطيب: «هي مدينة عظيمة... طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب، بها الجامع المشهور، والقنطرة المعروفة بالجسر، يقول أبو محمد بن عطية المحاربي:

بَارِبِعِ فَاقَتْ الْأَمْصَارَ قُرْطُبَةُ \*\*\* مِنْهُنَّ قَنْطَرَةُ الْوَادِي وَجَامِعُهَا

هَاتَانِ اثْنَتَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ \*\*\* وَالْعِلْمُ أَعْظَمُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وقال بعضهم مادحاً قرطبة:

دَعِ عَنكَ حَضْرَةَ بَغْدَادَ وَبَهْجَتَهَا \*\*\* وَلَا تُعْظِمِ بِلَادَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ

فَمَا عَلَى الْأَرْضِ قُطْرٌ مِثْلُ قُرْطُبَةَ \*\*\* وَمَا مَشَى فَوْقَهَا مِثْلُ ابْنِ حَمْدِينَ<sup>2</sup>

فقرطبة مركز إشعاع حضاري وثقافي امتدّ سناه على الأندلس وبلاد المغرب والمشرق، ضمت علماء وشعراء وفلاسفة وأطباء وفقهاء ومفكرين كبار، وهذا ما أهلها لأن تحتل الريادة في مختلف العلوم.

سقطت قرطبة في 23 من شهر شوال سنة 633 هـ الموافق 29 يونيو سنة 1236م بعد هزيمة الموحدين سنة 609 هـ بالأندلس في معركة العقاب وتحول مسجدتها الجامع الكبير إلى كنيسة حيث مازال إلى اليوم كنيسة<sup>3</sup>.

وقد رثاها ابن شهيد (ت426هـ) وقد كان صديقاً لابن حزم الأندلسي فقال:

<sup>1</sup> - نفسه، ص326.

<sup>2</sup> - المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 08/2.

<sup>3</sup> - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1997،

ما في الطُّولِ مِنَ الأَحِبَّةِ مُخْبِرٌ \*\*\* فَمَنْ الَّذِي عن حَالِهَا نَسْتَخْبِرُ  
 جَارَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ فَتَقَرَّقُوا \*\*\* في كُلِّ نَاحِيَةٍ وَبَادَ الأَكْثَرُ  
 جَرَتِ الخُطُوبُ على مَحَلِّ دِيَارِهِمْ \*\*\* وَعَلَيْهِمْ فَتَغَيَّرَتْ وَتَغَيَّرُوا  
 فَلِمَثَلِ قُرْطُبَةٍ يَقُلُّ بُكْءًا مَن \*\*\* يَبْكِي بَعَيْنِ دَمْعِهَا مَتَفَجَّرُ  
 عَهْدِي بها وَالشَّمْلُ فِيهَا جَامِعٌ \*\*\* مِنْ أَهْلِهَا وَالعَيْشُ فِيهَا أَخْضَرُ  
 وَرِيحُ زَهْرَتِهَا تَلُوحُ عَلَيْهِمْ \*\*\* بِرَوَائِحِ يَفْتَرُّ مِنْهَا العَنْبَرُ  
 وَالقَصْرُ قَصْرُ بَنِي أُمَيَّةَ وَافِرٌ \*\*\* مِنْ كُلِّ أَمْرٍ وَالخِلاَفَةُ أَوْفَرُ  
 وَالجَامِعُ الأَعْلَى يَغْصُ بِكُلِّ مَن \*\*\* يَتْلُو وَيَسْمَعُ مَا يَشَاءُ وَيَنْظُرُ  
 يَا جَنَّةَ عَصَفَتْ بها وَبِأَهْلِهَا \*\*\* رِيحُ النُّوَى فَتَدَمَّرَتْ وَتَدَمَّرُوا  
 أَسْفَى على دَارٍ عَهْدَتْ رُبُوعَهَا \*\*\* وَظَبَاؤُهَا بِفَنَائِهَا تَتَبَخَّرُ  
 حَزَنِي على سَرَوَاتِهَا وَرُواتِهَا \*\*\* وَثِقَاتِهَا وَحُمَاتِهَا يَتَكَرَّرُ<sup>1</sup>

## 2- سيرة ابن رشد القرطبي:

### 3-1- نسبه ومولده:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد المعروف  
 بالحفيد، تمييزاً له عن جدّه الذي يحمل نفس اللقب. كان ابن رشد الحفيد  
 قاضياً وفيلسوفاً وطبيباً وفقهياً، ويكنى أبا الوليد الغرناطي الأصغر ولد  
 بقرطبة سنة (520هـ)<sup>2</sup>.

ينحدر ابن رشد من أسرة عريقة في العلم والقضاء، كان أبوه أحمد  
 (487هـ-564هـ) قاضي قرطبة وفقهياً وإمام مسجدها الأعظم، وأما جدّه

<sup>1</sup> - ابن شهيد، الديوان، تصنيف يعقوب زكي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1973، ص84.

<sup>2</sup> - خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، دت، ص2012.

محمد (450هـ-520هـ) فقد كان أحد كبار أئمة المالكية وقضاتها في الأندلس<sup>1</sup>.

### 3-2- أخلاقه:

كان ابن رشد تقيًا قوي النفس، ذا همّة، متواضعًا، وذكياً، فصيح اللسان، جاد الكلام في المجالس العلمية والسلطانية والمحافل الجمهورية، يتمتع بمكانة عالية بسبب أخلاقه الحميدة، لم يسعَ لطلب المال والجاه، ولم يستغل مكانته وجاهه في شيء يخصه شخصياً، كان ثابتاً على المبادئ القومية التي لا تغيرها الظروف، محافظاً على الأمانة العلمية في كل كتاباته وإبداعه<sup>2</sup>.

### 3-3- ثقافته:

نشأ ابن رشد في بيت علم، وتربى في جو ثقافي أبا عن جدّ، اشتهر بمحبة العلم والسهر على تحصيله منذ صغره، فلم يدع يوماً يمر إلا واستغله في القراءة حتى حُكي عنه أنه لم يترك النظر والقراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله<sup>3</sup>.

حفظ ابن رشد القرآن الكريم في صغره ثم تعلّم علوم اللّغة العربية من نحو وصرف، وبلاغة، ثم سمع موطأ الإمام مالك وحفظه، كما حفظ ديوان المتنبي وشعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، ثم تآقت نفسه إلى تعلم الطّب فمهر فيه، وغدا طبيباً ثم جمع معه الفلسفة وبذلك يكون ابن رشد قد جمع بين العلوم العقلية والعلوم النقلية، ومزج بين الثقافات

<sup>1</sup> - حنا الفاخوري، وخلييل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، لبنان، دط، 1966، ص235.

<sup>2</sup> - حنا الفاخوري، وخلييل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ص236.

<sup>3</sup> - نفسه، ص102.

العالمية، وكان الرائد في نقل الفلسفة اليونانية وشرح منطق أرسطو ولقب بالشارح.

تقلد ابن رشد مناصب رفيعة بالأندلس والمغرب أهمها منصب قاضي إشبيلية سنة 565هـ/1165م، ثم قاضي قرطبة سنة 567هـ/1171م، ثم قاضي قضاة قرطبة عام 579هـ/1183م، وعمل طبيباً للخليفة أبي يوسف بمراكش، وبذلك تكون ثلاث عواصم علمية قد تقاسمت حياته. فقرطبة عاصمة العلم والفلسفة وهي التي أنشأته وعلمته، وإشبيلية عاصمة الفن والأدب، وأما مراكش فعاصمة السياسة والأيدولوجية وكانت وراء أهم المنعطفات العلمية والسياسية في حياته وهي التي توفي بها<sup>1</sup>.

في هذه الأجواء عاش ابن رشد، ومنها اكتسب ثقافته ورسم فكره، ونهج خطه الفلسفي ونهجه السياسي، فكان صريحا قويا في طرح أفكاره، إلا أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، وهذا ما نستحضر في شهادة المستشرق دي بور الذي يقول بعبارة متألّمة عن ابن رشد: «وكان ابن رشد فيلسوفاً وفقهياً وطبيباً، فتراه في عام 1169م يتولّى القضاء في إشبيلية وفي قرطبة بعد ذلك بقليل، ولما صار أبو يعقوب خليفة اتخذ لنفسه طبيباً عام 1182م، وبعد ذلك تولّى القضاء في مسقط رأسه مرة أخرى في منصب أبيه وجدّه من قبل. غير أن الأيام تنكرت له، وحلّ السخط بالفلسفة فصارت كتبهم تُرمى في النار، ثم أمر أبو يوسف بإبعاد ابن رشد إلى إلبيسانة (قرباً من قرطبة) ومات في مراكش عاصمة المملكة في 10 دجنبر 1198» ثم يضيف بسخرية قائلاً: «ويشبه أن يكون قد قدر لفلسفة

<sup>1</sup> - المختار بن الطاهر التليلين ابن رشد وكتابه في المقدمات، ص101.

المسلمين أن تصل في شخص ابن رشد إلى فهم أرسطو ثم تفنى بعد بلوغ هذه الغاية»<sup>1</sup>

### 3-4- أقوال العلماء في ابن رشد:

قال فيه ابن الأبار (ت658هـ) «ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً، وكان على شرفه أشد الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً عني بالعلم من صغره إلى كبره حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله»<sup>2</sup>، وقال فيه أيضاً: «مال ابن رشد إلى علوم الأوائل فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره... وكان يفرغ إلى فتواه في الفقه مع الحفظ الوافر من الإعراب والأدب»<sup>3</sup>.

وقال فيه ابن أبي أصيبعة: «كان ابن رشد مشهوراً بالفضل يعتني بتحصيل العلوم، وكان متميزاً في الطب وهو جيد التصنيف حسن المعاني»<sup>4</sup>.  
وقال فيه عبد الواحد بن علي التميمي: «صحّ عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين، غالب ظني أنه البخاري، وكان سديد الملوكية، بعيد الهمة، سخياً، جواداً، استغنى الناس في أيامه وتمولوا»<sup>5</sup>.

### 3-5- محنة ابن رشد:

---

<sup>1</sup> - دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص29.  
<sup>2</sup> - ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، دط، دت، 1/ 13 (أورده المحقق).  
<sup>3</sup> - نفسه، ص13.  
<sup>4</sup> - ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق مجدي فتحي السيد، ص14.  
<sup>5</sup> - شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، 85/1.

عاش ابن رشد حياته بين الحل والترحال بحثاً عن العلم وجرياً وراء الحكمة وأخذ العلم عن مشايخ زمانه، وفاق أقرانه ودخل قصور السلاطين فقد انتقل من الأندلس إلى مراکش بدعوة من أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/1162م) فسافر إليه وعمره دون الثلاثين ليستثيره ويستعين بأرائه في إصلاح التعليم وإنشاء المعاهد بمراكش، وفي سنة (564هـ/1169م) دعاه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف إلى إشبيلية فتولى القضاء هناك، ثم عاد إلى مراکش ليشتغل منصب طبيب السلطان<sup>1</sup>. إلا أن الحال انقلب رأساً على عقب وهبّت في وجه ابن رشد عاصفة هوجاء، وتغيّر المنصور على ابن رشد وهو في سن السبعين، فاعتقله وأهانته ونفاه، ومنع تلاميذه ومريديه من الاتصال به وأمر بحرق كتبه، حدث ذلك بعد محاكمة علنية بجامع قرطبة بمحضر الفقهاء وأعيان الدولة، وقد كُتب الكثير عن أسباب هذه النكبة التي حلت بابن رشد واعتبروا أن سببها يعود بالأساس إلى قوله: إن الزهرة أحد الألهة؛ حين كان يفسر مؤلفات أرسطو وإلى قوله: لقد رأيت الزرافة عند ملك البربر، غير مبال بما يفرضه مقام السلطان من إطراء وتقديم أو ربما عندما كان يخاطب الخليفة ويتجرأ بالقول له: تسمع يا أخي<sup>2</sup>. إلا أن الباحثين المعاصرين يعزّون هذه المحنة إلى أسباب خفية تتعلق بمواقف ابن رشد الفلسفية والسياسية، وفي ذلك يقول إرنست رينان: «ومهما يكن من أمر هذه الحكايات فإنه لا يمكن الشك في أن الفلسفة كانت عامل محنة ابن رشد الحقيقة ذلك أنها صنعت له العداة فداؤوا له عند السلطان، ووجهوا له اتهامات وأصبح اعتقاده موضع شبهة، فدعا المنصور أعيان قرطبة وأمر بحضور ابن رشد وأعلن مبادئه وقضى

<sup>1</sup> - المختار بن الطاهر التليلي، ابن رشد وكتابه المقدمات، ص106.

<sup>2</sup> - محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2008، ص126.

بنفيه»<sup>1</sup> وبذلك يرى رينان بأن محنة ابن رشد ترجع إلى الصراع بين الحزب الديني والحزب الفلسفي الذي كان قائماً في القصر الموحد من أجل إثبات السلطة العلمية لكل فريق، خاصة وأن ابن رشد قد اتهم فقهاء زمانه بالجمود الفكري وعدم مقدرتهم على الاجتهاد، يقول ابن رشد في كتاب بداية المجتهد عن فقهاء زمانه: «فإنَّ هذا الكتاب إنّما وضعناه ليلبغ به المجتهد في هذه الصناعة رتبة الاجتهاد وبهذه الرتبة يسمّى فقيها لا بحفظ مسائل الفقه، ولو بلغت في العدد أقصى ما يمكن أن يحفظه إنسان، كما نجد متفكّهة زماننا يظنون أن الأفقه هو الذي حفظ المسائل، وهؤلاء عرض لهم شبيه ما يعرض لمن ظنَّ أن الخُفَّاف هو الذي عنده خُفَّافٌ كثيرة سيأتيه إنسان بقَدَمٍ لا يجد في خفافه ما يصلح لقدمه، فيلجأ إلى صانع الخفاف ضرورة فهذا مثال أكثر المتفكّهة في هذا الوقت»<sup>2</sup>، إنّ هذا النقد اللاذع للفقهاء في زمانه قد كان السبب الرئيسي للمحنة التي تعرّض لها، خاصة وأن للفقيه في ذلك الوقت دوراً مهماً في الممارسة السياسية فقد كان السلطان يسوس الناس بما ينص عليه الفقه ووفقاً لما يقترحه الفقهاء.

غير أن هذه المحنة لم تُعمر طويلاً رغم أنها كانت قاسية في حق ابن رشد ومجحفة في حق العلم والعلماء، فقد تنبّه الخليفة أو أن هناك من نبّهه، فعفا عنه، واستقدمه إليه، وأعادته إلى سالف نعمته، وترك له المجال للخوض في الفلسفة<sup>3</sup>.

### 3-6- وفاته:

<sup>1</sup> - ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1975، ص41.

<sup>2</sup> - ابن رشد، بداية المجتهد، دار الفكرة العربي، بيروت، 347/1.

<sup>3</sup> - المختار بن الطاهر التليبي، ابن رشد وكتابه المقدمات، ص108.

لقد كانت النكبة التي تعرض لها ابن رشد فوق ما يتحمّل، فأثرت فيه تأثيراً عميقاً، فأصابه المرض ولم يعمر طويلاً بعد العفو عنه إذ توفي بعد بضعة أشهر من صدور العفو عنه في مراكش يوم الخميس التاسع من صفر عام 595هـ/ 1198م ودفن في تازغوت وله من العمر اثنتان وسبعون (72) سنة ثم نقل رفاته بعد مضي ثلاثة أشهر إلى قرطبة على ظهر بعير ودفن بجوار أسلافه بمقبرة ابن عباس تنفيذاً لوصيته<sup>1</sup>.

### 3-7- آثاره:

بدأ ابن رشد التأليف مبكراً، فألف حوالي عشرة آلاف ورقة، وقد وصلت مؤلفاته ما يناهز المائة وسبعة بين كتاب ومقالة في مختلف المجالات العلمية، صنّفها الدارسون في أربعة أصناف هي:

#### 1- مصنّفات وشروح فلسفية وعلمية نذكر منها:

- جوامع كتاب أرسطو طاليس في الطبيعيات والألهيات.
- جوامع الحس والمحسوس، الذكر والتذكير النوم واليقظة.
- جوامع سياسة أفلاطون.
- مسائل الحكمة – كتاب تهافت التهافت.

#### 2- مصنّفات طبية:

- كتاب الكليات: وهو أول كتاب ألفه ابن رشد.
- شرح الأرجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب.
- تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.
- مسألة في نوائب الحمى.

<sup>1</sup> - نفسه، ص108.

### 3- مصنفات فقهية وكلامية:

- كتاب تلخيص الخطابة.
- كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وهو كتاب في الفقه ألفه ابن رشد بمنهج الفيلسوف الفقيه من أجل لفت انتباه الفقهاء إلى فلسفة الفقه داعياً إلى النظر في الأدلة، فالحكم الشرعي لا يثبت إلا بالعلم.
- كتاب المقدمات والممهّدات.

### 4- مصنفات أدبية ولغوية:

- كتاب الضّروري في صناعة النحو.
- كلام على الكلمة والاسم المشتق<sup>1</sup>.

وللإشارة فإن هذه المصنفات التي ذكرناها تعد مجرد قطرة من بحر عميق وهي دليل قاطع على ثراء علم ابن رشد وموسوعيته الفكرية، وامتلاكه لخاصية مختلف العلوم. لقد كانت لابن رشد في زمانه الرّيادة والتفوق، وبلغ علمه الآفاق واعترف له القاصي والداني، وإن ما يهمننا من أعمال ابن رشد هو جهوده اللّغوية التي تضمنها كتبه فبعض منها جاء خدمة للأغراض الفلسفية أو الفقهية أو السياسية التي كان يعالجها، والبعض الآخر كان اجتهاد منه عندما يلمس حاجة العربية إليها، ولعل أبرز مجال نال اهتمام ابن رشد هو علم النحو الذي ألف فيه كتاباً وسمه: "الضّروري في صناعة النّحو".

### 4-التفكير النحوي عند ابن رشد:

#### 4-1- كتاب الضّروري في صناعة النحو:

---

<sup>1</sup>- ماجد فخري، قادة الفكر ابن رشد فيلسوف قرطبة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دط، دت، ص15.

هو من الكتب النادرة يصعب العثور على نسخة مطبوعة منه وهو متوفر  
الالكترونيا ولاكتشافه مخطوطا قصة يرويها المحقق وهو الأستاذ سيدي ولد مناه  
من جامعة نواكشوط بموريتانيا:

### أ- قصة اكتشاف المخطوط:

قال الأستاذ المكتشف للمخطوط سيدي ولد مناه راوياً قصة اكتشاف  
المخطوط: «إنها ترجع إلى ليلة من ليالي شهر ديسمبر من عام ألف وتسع مائة  
وتسعة وتسعين (1999م) حين ذكر له صاحب مكتبة موريتانية خاصة، أنه  
توجد بحوزته نسخة من كتاب في النحو لابن رشد الجد بعنوان: الضّروري في  
صناعة النحو، فقال له الأستاذ إنه إذا كان الكتاب بهذا العنوان فهو لا محالة  
لابن رشد الحفيد وهو من كتبه المفقودة في المكتبة العالمية»<sup>1</sup>

### ب- وصف المخطوط:

المخطوطة تحمل عنوان: الضّروري في صناعة النحو للقاضي أبي الوليد  
ابن رشد رحمه الله، ويبدأ بقوله: «الغرض من هذا القول أن نذكر في علم  
النحو ما هو كالضّروري، لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم،  
ويتحرى في ذلك ما هو أقرب إلى الأمر الصّناعي، وأسهل تعليمًا، وأشدّ  
تحصيلاً للمعاني، وينبغي أن نستفتح القول في ذلك بالأشياء التي جرت العادة  
أن تستفتح بها كل صناعة يُرام تعلّمها على المجرى الصّناعي، فإن الاستفتاح  
بها نافع في التّعلم»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - مجلة فكر ونقد، العدد 29، سنة 2006 ن اكتشاف مخطوط لابن رشد، ص47.

<sup>2</sup> - ابن رشد، أبو الوليد، الضّروري في صناعة النحو، تحقيق ودراسة د. منصور على عبد  
السميع، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م، ص01.

وقد ختم ابن رشد الحفيد كتابه هذا بقوله: «تم الكتاب المسمى بالضروري في كليات صناعة النحو بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبد، وعلى آله وأصحابه الأكرمين من بعده وسلم كثيرًا»<sup>1</sup>.

تقع المخطوطة في مائة وعشرين صفحة من الحجم المتوسط وعدد أسطرها سبعة عشرة سطرًا، يسقط من المخطوطة اسم النَّاسخ، وتاريخ النَّسخ، وهي بخط أندلسي مغربي جميل ومقروء، وبحالة جيّدة على العموم، لقد ذكرتها الفهارس القديمة، والحديثة لابن رشد، وذكرها برنامج ابن رشد الموجود بمكتبة "الاسكوريال" باسم: "الضروري في النحو" ويعد أوفى وأكمل الفهارس القديمة لمؤلفات الشيخ وتوجد تحت رقم 884 في فهرس Decembourg<sup>2</sup> وذكرتها القائمة التي ذيل بها ابن عبد الملك المراكشي ترجمته لابن رشد في كتابه: "الذيل والتكملة"، ولعلها تأتي في الدرجة الثانية من الأهمية، وكتابه لهذا المختصر لا يتعد عن تاريخ كتابته لكتابه "الكليات في الطب" الذي يحتمل أن يكون قد ألفه سنة خمسمائة وسبعة وخمسين للهجرة الموافق لألف ومائة واثنين وستين للميلاد، لأن ديباجة الكتابين متطابقة، وهي البحث عن الضروري من المعرفة في العلمين. كما أشار إليه كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار وقال: وكتابه بالعربية الذي وسمه بالضروري<sup>3</sup>.

فكل هذه الأدلة تثبت أن الكتاب الموسوم: الضروري في صناعة النحو لصاحبه ابن رشد القرطبي الحفيد، وأن الهدف المرجو منه يدلُّ عليه عنوانه وكأني بابن رشد وجد حشواً وزيادة وإضافة لا طائل من ورائها بل أنقلت كاهل النحو العربي فأراد بهذا المؤلف أن يقف على ما يفني بالعرض وما

<sup>1</sup> - نفسه، ص 69.

<sup>2</sup> - مجلة فكر ونقد، العدد 29، "اكتشاف مخطوط مفقود لابن رشد"، ص 29.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 48.

تحتاج إليه اللّغة ويحتاج إليه دارس اللّغة ومتعلّمها، ومن هذا نفهم أن في النحو ما يمكن الاستغناء عنه حتى نصل إلى القصد، وهذه فطانة لدى ابن رشد، توافق ما يدعو إليه المحدثون والمعاصرون من ضرورة تيسير النحو وتجديده، وإن الناظر في الكتاب ليتحقق من الأمر جيّدًا.

حقق المخطوط باحثان: الأول هو باب ولد هارون ولد الشيخ سيدي، وقدمه الشيخ ولد عباسي، وقد صدر في نواكشوط سنة ألفين (2000م).

وأما الثّاني فهو الدكتور منصور علي عبد السميع من جامعة حلوان بمصر، وقدم له الدكتور محمد إبراهيم عبادة من جامعة الزّقازيق وصدر بالقاهرة سنة ألفين واثنين، عن دار الفكر العربي مدينة نصر، القاهرة الطبعة الأولى.

### ت- واجهة الكتاب:

جاءت واجهة الكتاب باللّون الأخضر الذي يرمز إلى التّفاؤل وهو علامة أهل التقوى والورع من الصوفية وغيرهم دون عليها باللّون الأصفر الذهبي المزخرف العنوان مع وجود زخرفة بالخط المغربي الأندلسي.

جاء الكتاب في قسمين:

القسم الأول: وهي دراسة للكتاب في ثمان وثمانين صفحة.

القسم الثاني: تحقيق الكتاب في مائة وخمسة وستين صفحة، مع وجود نسخة للورقة الأولى من المخطوطة والورقة الثانية والورقة الأخيرة.

### ث- الأغراض المتوخاة من تأليف الكتاب:

كأي تأليف في النحو العربي فإن الغرض العام من كتاب الضّروري في صناعة النحو يتمثل في محاربة اللحن الذي تفتش في الألسنة وتعليم العربية للناطقين بغيرها ممن يعتنق الدين الإسلامي حتى يتمكن من إقامة الشعائر.

أما ما يتعلق بالدوافع المباشرة فإن عنوان الكتاب يعبر عنها وتتلخص فيما يأتي:

1- مبالغة النحاة في الدرس النحوي آنذاك وفي ذلك قال ابن رشد: «وصار النحاة يتكلفون من إعطاء أسباب الكليات التي يضعونها في هذه الصناعة فوق ما تحتمله الصناعة»<sup>1</sup>.

2- تقصير النحاة: يقول في ذلك: «والقصد في هذا الكتاب إنما هو إحصاء أنواع الإعراب وجهته ونوعه... وهو شيء لم تصنعه النحاة، ولا حصرت الإعراب من جهة الجمل المختصة بأصنافه وأسبابه الخاصة»<sup>2</sup>.

3- مخالفة الأصول المنهجية: اعتمد النحاة وهم يقعدون للعربية على السماع، وما لم يسمع قاسوه على المسموع وبذلك صار للنحو أصول أهمها القياس والسماع، وهي التي أشار إليها ابن رشد حين قال: «وقد يستعمل أهل هذه الصناعة القياس فيما جهل سماعه، أنهم يقيسون المجهول على المعلوم وهو ضعيف، وربما أفرطوا حتى يردّوا السماع بالقياس»<sup>3</sup>.

4- عدم دقة النحاة في تنظيمهم للمادة العلمية: انتقد ابن رشد النحاة في أنهم يفتقرون إلى التدقيق والتنظيم في تنظيم المواد المدروسة فقال:

<sup>1</sup> - ابن رشد، الضّروري في صناعة النحو، ص09.

<sup>2</sup> - نفسه، ص29.

<sup>3</sup> - نفسه، ص07.

«وأما علم التركيب فإنهم جعلوا الكلام فيه مع الكلام في المعربات، ولم يجعلوه على حدة»<sup>1</sup>.

5- صعوبة المأخذ: وتتمثل في صعوبة كتب النحاة التي لا تصلح للمتعم المبتدئ، إذ يقول: «يتكلفون في ذلك من الألفات التي يسمونها إعراباً»<sup>2</sup>.

هذه هي الأسباب الرئيسية والدوافع التي جعلت ابن رشد يقدم على تأليف هذا الكتاب الذي هو بحق يمثل ما هو ضروري في النحو العربي.

### ج- لغة الكتاب:

استعمل ابن رشد لغة ميسورة ومباشرة لتحديد الجزئيات، وتجنب الغموض والتأويل الذي يمتاز به الفلاسفة وبذلك يكون قد أبدى براعة لغوية قلما يستطيع أن ينتهجها الذين يتعاطون الفلسفة والمنطق، عباراته بسيطة لا معاضلة فيها.

### ح- منهج الكتاب:

إنطلق ابن رشد في تأليفه لكتاب الضّروري في صناعة النحو من منهجه العام وتصوره الفلسفي الذي يؤمن بترابط العلوم والفنون وتداخلها، فالعلوم كلها مصدرها العقل والاجتهاد حاصل فيما يجمعها أو فيما يفرق بين أنواعها، وهي عنده صنفان:

1/ علوم مقصودة لنفسها.

2/ علوم ممهّدة في تعلّم العلوم المقصودة.

<sup>1</sup> - نفسه، ص07.

<sup>2</sup> - نفسه، ص138.

وضع ابن رشد علم النحو في الصنف الثاني مع تلك العلوم الممهّدة قبل سائر العلوم، والنحو عنده ليس مقصودًا لذاته بل هو وسيلة لفهم الكلام، تم الارتقاء إلى الفصاحة، وهذا ما قاده إلى تبين جانبيين مهمين في صناعة النحو، هما:

• نحو الألفاظ.

• نحو المعاني.

مما سبق نصل إلى نتيجة تخص كتاب الضروري في صناعة النحو، فهو كتاب ذو قيمة علمية كبيرة، وقيمة تربوية هادفة، لأنه تضمن قضايا علمية تخص قواعد اللّغة العربية ومصطلحاتها وضمّنه صاحبه أمورًا تعليمية صالحة لكل زمان ومكان وهي عامة يحتاجها العالم والمتعلم نظرًا لمنهجه البسيط في عرض مقررات النحو وشرحها.

### خ- محتوى الكتاب:

إن هدف ابن رشد هو تبسيط قواعد النحو العربي وتيسيرها، فلقد أدرك صعوبة الطرح الذي سار عليه النحو، وهو إنما وسيلة لحفظ اللّغة وصيانة الألسن من الزلل والخطأ، وكل تعقيد فيه فإنما هو ضرب من التّعسير، وقد صرح ابن رشد بذلك مقدمًا طريقة لتعليم النشء نحو اللّغة فقال: «الأفضل في تعليم الولدان أن يلقي إليهم أولًا الأقاويل الكلية، ويأخذوا بحفظها فإذا أرادوا الكمال في الصناعة أخذوا بتفاصيلها»<sup>1</sup>.

وقد حصر ابن رشد قضايا النحو للمتعلم في أربع وهي:

<sup>1</sup>- محمود السيّد، ابن رشد ومنهجه في النحو، صحيفة تشرين، دط، 2009، ص30.

خ-1- أشكال الألفاظ المفردة وأنواعها: كمعرفة المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمثنى، والتّصغير والنّسبة.

خ-2- أشكال الألفاظ المركبة.

خ-3- أشكال الألفاظ الزائدة: كهزمة الوصل وهزمة القطع، والألف واللام، وعلم الإعراب والبناء والتقاء الساكنين.

خ-4- معرفة قوانين الكلام المركب من هذه الألف: وتختص بالجملة وأنواعها وأقسامها.

من هنا نرى أن مضمون كتاب الضّروري في صناعة النحو ذو طابع تعليمي تربوي، فمن غير شك أن ابن رشد عايش التعليم العويص في زمانه وأدرك عقم الطرائق المتبعة وأحس بالحشو الذي كان يتعرض له المتعلمين والذين سماهم الولدان، فأراد معالجة هذا الوضع وبدأه بالنحو الذي كان يشتكي منه الكثير، ومعلوم أن ابن رشد عاصر دعوة ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) «الذي دعا إلى إلغاء نظرية العامل وإلغاء العلل الثواني والثالث، وإبطال القياس، وترك المسائل النظرية، وإلغاء التمارين غير العملية، وكذا إسقاط ما لا يفيد في النطق»<sup>1</sup>.

إن ابن رشد القرطبي يتقاطع مع ابن مضاء القرطبي في الدعوة إلى توخي اليسر والسهولة وتجنب التوعّر والتعسير، فقد كان همّه اختصار الضّروري من النحو العربي بمنهج صناعي يراعي المهم ويثبت القوانين والكليات المجرّدة ويحذف الجزئيات، والتفريعات غير الضرورية، فقد قال عنه إبراهيم البنّا صاحب تحقيق كتاب: الرد على النحاة لابن مضاء في كتاب نتائج الفكر في النحو لابن القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت581هـ) حيث قال: «فإنّ

<sup>1</sup> - أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربيين بيروت، لبنان، دط، 1969، ج3/95.

أبا الوليد بن رشد قد شغله أمر النحو والنحاة، وما رآه من استغراقهم في مسائله وبحوثه وصرفهم الجهود إلى درسه، حتى صار لكل شيخ مذهب ينافح عنه، وقد رأينا له كتاباً يُدعى الضّروري في النحو وهو عنوان دال على مضمونه، ولعله دعا فيه إلى القصد والاعتدال»<sup>1</sup>.

#### 4-2- المباحث النحوية لابن رشد:

تصب جهود ابن رشد النحوية التي تضمنها كتابه: الضّروري في صناعة النحو في صميم المقررات الدراسية لتعليمية النحو العربي، والتقسيم الذي اتبعه خير دليل على ذلك فقد جاء الكتاب في أربعة أجزاء وهي:

الجزء الأول: في المقدمات.

الجزء الثاني: في الأشكال الثلاثية.

الجزء الثالث: في الإعراب.

الجزء الرابع: فيما يعني معرفة أشكال الألفاظ المفردة<sup>2</sup>.

وفما يأتي ذكر مختصر عنها:

#### الجزء الأول في المقدمات:

بدأ ابن رشد هذا الجزء بتعريف الألفاظ وهي ثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف. ووضح خاصية لكل لفظ فالاسم خاصيته أن يكون خبراً أو مخبراً عنه، وخاصية الفعل المعنوية أن يكون خبراً لا مخبراً عنه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مجلة فكر ونقد، العدد 29، السنة: 2009، اكتشاف مخطوط مفقود لابن رشد، مقال لسبيدي ولد مناه، (دص).

<sup>2</sup> - ابن رشد، الضّروري في صناعة النحو، ص10.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 11.

فقال إن فيها ما هو: مُظهر، وما هو مُضمّر، ومبهم وما هو موصول.

فالأسماء المظهرة هي ما يطابق حد الاسم ثم راح يذكر أنواع هذه الأسماء: اسم يدل على شخص مثل: زيد وعمرو وما يدل على معنى عام موجود في كثير مثل قولنا: إنسان وحيوان...، وكل علمين أحدهما أخص من الآخر، والآخر أعم منه، فإن الأعمّ يسمى جنساً، والأخص يسمى نوعاً ومعرفة ذلك نافع في هذه الصناعة مثل الحيوان الذي هو جنس الإنسان، والإنسان نوع له<sup>1</sup>.

ثم تطرق ابن رشد إلى الأفعال وأنواعها الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، أمّا الأمر والنهي فهما في نظر النحاة فعلان للمستقبل نحو قولك: أَضْرِبْ، وأذْهَبْ، وَلَا تَضْرِبْ وَلَا تَذْهَبْ ويقولون إنه مبني على السكون لكن ابن رشد يرى غير ذلك لأن الأمر إنّما هو استدعاء فعل، والنهي هو استدعاء ترك الفعل واستدعاء الفعل ليس فعلاً إلا مجازاً<sup>2</sup>.

ثم ينتقل ابن رشد إلى أقسام الأقاويل المركبة من المفردات، فهناك قول تام كاف بنفسه، وهو الذي يسميه النحاة كلاماً، وإلى قول غير تام وهو بمنزلة الاسم المفرد.

وبعد ذلك ينتقل ابن رشد إلى الجملة ويصنفها إلى صنفين جمل بسيطة وجمل مركبة ويعطي أمثلة على ذلك ويقسمها كذلك إلى قسمين ما تحتل الصدق والكذب وهي التي تسمى خبرية وما لا تتصف بالصدق والكذب وهي ثلاثة أصناف: النداء وطلب الفعل، وطلب الترك<sup>3</sup>.

### الجزء الثاني: في الأشكال الثلاثية:

<sup>1</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص15.

<sup>2</sup> - نفسه، ص25.

<sup>3</sup> - نفسه، ص28.

المقصود من الأشكال الثلاثية عند ابن رشد هو شكل التثنية والجمع وشكل التذكير والتأنيث وأشكال الإخبار عن المتكلمين الثلاثة، وفي هذا الجزء وضع ابن رشد خمسة أبواب هي:

الأول/ في أشكال الأسماء المظهرة.

الثاني/ في أشكال الأفعال.

الثالث/ في أشكال الأسماء المضمرة.

الرابع/ في أشكال المبهمة.

الخامس/ في أشكال الموصول<sup>1</sup>.

وفيما يأتي نبين كل ما يتعلق بالشروح التي قدمها ابن رشد مقتصرين على الباب الأول.

### أشكال الأسماء المظهرة:

ويقصد بها ابن رشد الأسماء المفردة قبل أن تنتهي أو تجمع فيقول: «أما شكل المفرد الظاهر فما عري عن شكل التثنية والجمع... فشكل التثنية زيادة ألف الاسم المفرد ونون مكسورة في حال النصب والخفض نحو: الزيدان والعمران وزيادة ياء ساكنة ونون مكسورة في حالة النصب والخفض نحو: الزيدان والعمران»<sup>2</sup>، ثم يواصل حديثه «أما تثنية الأسماء التي يسمونها المعتلة فما كان آخره ياء ساكنة نحو: قاضي وغازي، فتثنيته في الرفع بتحريك الياء الساكنة نحو: قاضيان وغازيان وفي النصب والخفض قاضيين»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص31.

<sup>2</sup> - نفسه، ص32.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 32.

وأما في تأنيث الأسماء فيقول: «وأما شكل التأنيث للاسم المفرد فيما كان له منها ثلاثة أشكال:

- تاء تكون في الوقف هاء نحو مسلمة وصالحة.
- الألف المقصورة ما كان على وزن فُعَلَى الذي جاء مذكراً على وزن فُعَلَان مثل: سُكْرَى وسُكْرَان، وَعَطَشَى وَعَطَشَان
- التأنيث بالهمزة التي لإلحاق بنية الاسم ببنية اسم آخر نحو حمراء وصفراء»<sup>1</sup>.

وينتقل ابن رشد إلى الجمع الذي يراه على ضربين:

- ضرب يتغير فيه شكل الواحد وهذا تسميه النحاة الجمع المكسر لأنه انكسر في بناء الواحد.
- ضرب تزداد عليه حروف تدل على الجمع وهو الذي تسميه النحاة الجمع السالم وفيه المذكر والمؤنث، نحو جاءني الزيدون، في حال الرفع... ونحو قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾<sup>2</sup>.

### الجزء الثالث: القول في الإعراب:

بدأ ابن رشد حديثه بتعريف الإعراب، والمُعْرَب وموجبات الإعراب وهي التي تعرف في هذه الصناعة بالعوامل وكذا معرفة أنواع الإعراب والأشكال التي تدلُّ على نوعٍ منها وهي التي تعرف بعلامات الإعراب.<sup>3</sup>

لقد جعل ابن رشد قسمة هذا الجزء قسمة تسلسلت فيها المعارف المتعلقة بكل الجوانب الإعرابية من جهة علامات الإعراب سواء في حالة الرفع أو

<sup>1</sup>- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص 61.

<sup>2</sup>- سورة ص الآية 47.

<sup>3</sup>- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص 53.

الجزم، ثم ذكر قوانين نصب الفعل المضارع وقوانين جزمه في الجمل الخبرية، والجمل الشرطية، وفي جوانب الطلب والأقويل الأمرية والنهيية.<sup>1</sup>

### بناء الجمل البسيطة:

وهي عند ابن رشد التي ليس فيها تركيب إلا تركيب الإخبار فقط وهي ثلاثة أشكال:

مبتدأ وخبر نحو قولك زيد قائم.

فعل وفاعل نحو قولك قام زيد.

فعل ونائب فاعل: وهي التي تسمى جملة الإخبار عن المفعول بالفعل الواقع به مقدماً عليه، نحو ضُربَ زيدٌ، وشُتمَ عمرو.

### تقيد الجمل البسيطة بالأفعال:

ذكر ابن رشد الأفعال التي تقيد الجمل البسيطة وهي:

- ظنَّ وأخواتها عندما تقيد الجملة البسيطة: زيدٌ قائمٌ بالفعل الناسخ "ظنَّ" تصبح: ظننْتُ زيدًا قائمًا، وحسبْتُ عمرًا شاخصًا.
- كان وأخواتها، يرى ابن رشد أنها أفعالٌ انحطت عن مرتبة الفعل إلى الرابطة التي تقيد الجملة الاسمية الخالية من الزمن بزمن محدد، ولو حذفت كان لا يستقل ما بعدها برأسه، ولم يحتج إليها نحو قولك: كان أخوك جالسًا، وعندما تحذفها تقول: أخوك جالس فهو تركيب تام.<sup>2</sup>

نستخلص مما سبق:

<sup>1</sup>- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، دراسة المحقق، ص71.

<sup>2</sup>- نفسه، ص62.

- أن تركيب الأخبار المنسوخ بـ كان أو إحدى أخواتها تركيب بسيط، وكان ما هي إلا رابط يربط المحمول بالموضوع أي الخبر بالمبتدأ.
- أن كان تخلص من فاعل في حين أن ظنَّ تحتاج إلى فاعل فتصبح مع فاعلها في حكم الجملة أو تأخذ شكل الجملة.
- أن تركيب الأخبار المنسوخ بـ ظنَّ يمثل جملتين: ظنَّ وفاعلها المبتدأ أو الخبر، معمولًا ظنَّ، وهما من ناحية الشكل تقييد جملة بأخرى، ولكن العنصر الأساسي فيها هو تركيب الأخبار.
- أن "كان" تقييد معنى الزمن فقط، أما ظنَّ وأخواتها فإنها بالإضافة إلى الزمن تُعطي معنى الشك أو اليقين أو الرجحان في الخبر (المعمول الثاني).<sup>1</sup>

وهناك أفعال أخرى تُقيد الجملة البسيطة وقد وقف عندها ابن رشد وشرح كل ما يتعلّق بها مثل أفعال المقاربة والرجاء هذا ما أردنا أن لا نذكره لطول الشرح.

### تقييد الجملة الخبرية بالأسماء:

- **التقنيات المعنوية:** جعلها ابن رشد مع أجناسٍ ثلاثة:

1- تقييد الاسم الخالص باسم آخر، وله قوانين:

الأول: تقييد الجنس بالصفة والإضافة نحو: هذا غلام زيد، وغلما زيد، وضاربو زيد.

الثاني: تقييد اسم باسمٍ على وجه النعت والوصفٍ نحو: هذا زيدٌ العاقلُ.

الثالث: تقييد اسم الجنس بمعدوده نحو: هذه عشرون درهماً.

<sup>1</sup>- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص54 (دراسة المحقق).

2- الأسماء التي تُقَيَّدُ بها الأفعال الواقعة في الجملة الخبرية وهي:

الأول: كل اسم قيد به الفعل بغير حرف الجر فهو منصوب وهذه القيود هي:  
ظرف الزمان والمكان، والمصدر، والمفعول به، والمفعول من أجله، نحو قول  
الجبار المتعالي: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾<sup>1</sup>.

الثاني: كل اسم مقيد للفعل، فإن كان بحرف من الجرّ فهو مخفوض، وإن كان  
بالواو فهو معطوف.

- **التقييدات اللفظية:** لخص ابن رشد المقيدات اللفظية في أبواب ثلاثة  
راعى اختلاف ما بين هذه الأبواب النحوية من معان ومقاصد حققها في  
قسمته المبينة على مراعاة المعنى، والأبواب هي:

باب البدل، وباب التوكيد، وباب الاستثناء... فمثال البدل قولك: أعجبنى  
الجارية حُسْنُهَا، والهدف هو إخراج الكلام عن شكله الأول والأصل أن نقول:  
أعجبنى حُسْنُ الجارية.

ومثال التوكيد قولك: لقيت القوم كلهم أجمعين وهي التي تسمى الأسماء  
المؤكّدة للجموع، وهناك أسماء لتحقيق المعنى نفسه نحو قولك: رأيت أخاك  
نفسه وعَيْنُهُ<sup>2</sup>.

- **الجزء الرابع: قوانين الجمل الثواني:**

جعل ابن رشد الأقاويل قسمين: الأوائل والثواني.

الأوائل: الجمل البسيطة.

<sup>1</sup>- المائدة 119.

<sup>2</sup>- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص63.

الثواني: الجمل المركبة: وهي التي تتركب من قولين تامين وهذه الأخيرة هي التي تتركب على أنحاء ثلاثة:

- التركيب الأول: أن تكون إحدى الجملتين تلزم الثانية جواباً لها كالشرط وجوابه نحو قولك: إن جاء زيدٌ انصرف عمرو- ونحو: مهما جاء زيد انصرف عمرو- ونحو: ولولا أن جاء زيد لانصرف عمرو.
- التركيب الثاني: أن تقع إحدى الجملتين موقع الاسم المقيد من الجملة الأولى كالجمله الحالية أو الجملة الواقعة خبراً أو الجملة الواقعة نعتاً أو مفعولاً به كجملة النعت نحو: مررتُ برجلٍ قام أخوه، وفي قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾<sup>1</sup>.

- التركيب الثالث: ويتمثل في العطف بين جملتين بواسطة حروف العطف نحو قام زيدٌ وقام عمرو<sup>2</sup>، ثم يتحدث عن المركب من جملتين مختلفتين ويتحدث عن الجمل الأمرية والنهيية وقال إنهما من أحباس الكلام وضرب أمثلة فقال نحو قولك: هاك زيداً أي خذُ زيداً، وعند عمراً ودونك بكرًا أي الزمهما<sup>3</sup>.

وكان آخر ما تحدث عنه في كتاب الضروري في صناعة النحو باب الجزم وأشار بأن الجزم يكون في الجمل الخبرية والجمل الشرطية ويكون أيضاً في الأقاويل النهية باللام.<sup>4</sup>

ختم ابن رشد كتابه بخاتمة بين فيها أهمية النحو والذي عدّه صناعة يمكن التمكن منه بسهولة وكأني بابن رشد يسير على درب ابن مضاء القرطبي الذي

<sup>1</sup> - الأنعام 155.

<sup>2</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص68.

<sup>3</sup> - نفسه، ص105.

<sup>4</sup> - نفسه، ص135.

عاصره زماناً ومكاناً ولا ندري إن كان للرجلين لقاءات رغم اختلاف مآربهما واختصاصهما، يقول ابن رشد: «الغرض في هذا القول أن نذكر من علم النحو ما هو كالضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم...»<sup>1</sup>، ويقول ابن مضاء القرطبي: «قصدي في هذا أن أحذف ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا الخطأ فيه...»<sup>2</sup> إنها العقلية الأندلسية ذات الصبغة العلمية الميالة إلى الدقة وتحري ما هو نافع والاكتفاء بما يؤدي وظيفة والاستغناء عما هو إضافي وزائد، إذا فكل من ابن رشد وابن مضاء كان همهما إنتهاج مسلك التيسير والسهولة والاكتفاء بما هو ضروري لتعلم العربية وامتلاك الفصاحة التي من أجلها نشأ النحو.

وقد اشترك ابن رشد مع ابن مضاء في نفي القياس، يقول ابن رشد: «وقد يستعمل أهل هذه الصناعة القياس فيما جهل سماعه إنهم يقيسون المجهول على المعلوم وهو ضعيف، وربما أفرطوا حتى يردون السماع بالقياس»<sup>3</sup>، ويقول ابن مضاء: «فالشيء لا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولاً، والشيء المقيس عليه معلوم الحكم»<sup>4</sup>، ثم يتساءل عن ذلك: «والعرب أمّة حكيمة فكيف تشبه شيئاً بشيء وتحكم عليه بحكمه وعلّة حكم الأصل غير موجودة في الفرع»<sup>5</sup>.

#### 3-4- خلاصة رأي ابن رشد في النحو العربي:

لقد درس ابن رشد منطق أرسطو وشرحه، والمؤكد أن ثقافته تكون قد تأثرت بمنهج المناطقة في التحليل لذلك نجده يرى في النحو العربي تكديساً

<sup>1</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص 03.

<sup>2</sup> - ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 76.

<sup>3</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص 138.

<sup>4</sup> - ابن مضاء، الرد على النحاة، ص 134.

<sup>5</sup> - نفسه، ص 134.

ليس منطقيًا لا يخدم اللّغة في شيءٍ وأنه يثقل كاهل المتعلم ويجهد في التعلم لذلك أُلّف هذا الكتاب ودعا إلى الاقتصار على ما هو ضروري وما فيه حاجة المتعلم متأثرًا في ذلك بمنهجه الفلسفي الذي ينطلق من العقل ويتجرد من كل ما هو عاطفي، فأراد تجريد النحو من منهج الفقهاء لكنه جنح نحو الطرح الفلسفي والعقلاني وهذا مُساييرًا في ذلك الفكر الفلسفي اليوناني الذي كان يعتبر المنطق اليوناني منطق ناشئ عن عبقرية اللّغة اليونانية، وعنه نشأت الميتافيزيقيا اليونانية ولذلك كان من المتعذر بحاجة في البيئة الإسلامية، إذا لا بد من منطق خاص ينشق عن عبقرية اللّغة العربية وحينئذٍ قد تكون أو لا تكون أنطولوجيا أو ميتافيزيقيا إسلامية، هذا بالإضافة إلى أن فشل الميتافيزيقيا وهي فرع من فروع المنطق الأرسطي -إنما هو ناتج عن تعذر التوفيق بين المنطق الأرسطي والنحو العربي، لأن الفلسفة في نهاية الأمر إنما هي عبقرية لغوية»<sup>1</sup>

إن ابن رشد بحكم نظريته الكلية الشاملة نظر إلى اللّغة على أنها التعبير الواقعي للفكر وهذا ما يلمس في كتبه<sup>2</sup> وهو في هذا المنحى يسير على هدي الفارابي في كتابه: "الحروف" إذ ذهب يجيب عن تساؤلات السيرافي ويطنب في أصل اللّغة وطبيعتها ودلالة الألفاظ على المعاني ومدى استقلال النحو عن المنطق أو ارتباطه به، يقول الفارابي في إحصاء العلوم «وصناعة المنطق تناسب صناعة النّحو، ذلك أنّ نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات (المعاني) كنسبة النّحو إلى اللّسان والألفاظ، وكل ما يعطينا النحو من القوانين في الألفاظ، فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات»<sup>3</sup>.

#### 4-4- قضايا المصطلح عند ابن رشد:

<sup>1</sup> - علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص15.

<sup>2</sup> - ينظر كتاب تلخيص الخطابة.

<sup>3</sup> - زينب عفيفي، فلسفة اللّغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، دط، ص

## - تمهيد:

إن اللّغة هي فعل بياني مورس لدى المفكرين العرب وغير العرب من أجل تأمين التواصل والاتصال بين مختلف العلوم الأصلية والدخيلة، ولذا فقد اجتهد اللّغويون العرب في تخريج مصطلحات واختراعها بما تتوفّر عليه اللّغة من علاقات دلالية: اشتقاق ونحت وتعريب ونقل وترجمة إلى حد باتت معه اللّغة مطواعة ومهيئة لتقبل ما يفد عليها، وتمكن العلماء المسلمون من إحداث تفاعل بين الأصيل والدخيل والمترجم وهذا ما نجده في مصطلحات الفلاسفة المسلمين من أمثال جابر بن حيان (ت197هـ)، والكندي (ت252هـ)، وابن سينا (ت428هـ)، والفارابي (ت339هـ)، وابن حزم (ت456هـ)، وابن خلدون (ت707هـ) وغيرهم.

## أ- طبيعة مصطلحات ابن رشد:

كان ابن رشد متعدد المعارف، وكان على اتصال وثيق بعلم زمانه وبأحداث عصره، وكان عليه -وهو العالم النّابه والفيلسوف الفطن- أن يتلقف التراث الانساني المتنامي ثباتاً وتحولاً ويستلهمه في مناحيه المختلفة انسجاماً مع منهجية أبحاثه في مضمار كل صناعة وكل فنٍ.

إن لابن رشد لغته الاصطلاحية التي ازدهرت مع ازدهار الحضارة العربية خلال القرون السبع الأولى، وقد مارس تكوين المصطلحات ممارسة واضحة فلجأ إلى طريقتين في توليد المصطلح: التعريب والاختراع، «وإن لم يصل إلينا من ابن رشد ما يشير إلى إفراده عملاً خاصاً بالحدود والرسوم تماماً كما لا حظنا الفارابي، وإذا كان الفارابي قد أسهم إسهاماً جليلاً في انضاج اللّغة الفلسفية في القرن الرابع الهجري فأثرت في المدارس المختلفة، فإن ابن رشد قدم قراءة جادة في المصطلح الفلسفي على هامش أرسطو طاليس، فقد تضمن

تفسيره لكتاب ما بعد الطبيعة شرحاً مفصلاً للمقالة الخامسة المعروفة بمقال الدال من كتاب أرسطو طاليس»<sup>1</sup>.

حاول ابن رشد أن يخرج من مأزق ثنائية اللغة الفلسفية/الفقهية واعتماد لغة علمية ذات منهج معرفي بواسطة العقل، فالنفس الناطقة عنده واحدة لا بد وأن تنظر إلى الأشياء بمنظار العقل، لذلك تكونت مصطلحاته من مفارقات تكاملية اللغة وشموليتها عبر مسالك المشائية المغربية التي تلاقت أفكارها ومصطلحاتها إلى حدّ ما مع أختها المشرقية يجمع بينهما المصطلح العلمي على أنواعه وجميع أصنافه ومستوياته.

لقد تم جمع مصطلحات ابن رشد في موسوعة علمية موسومة: مصطلحات ابن رشد الفلسفية وأعدّها الدكتور جيرار جيهاني<sup>2</sup>، قدم صاحب الكتاب في البداية سيرة ابن رشد بتفصيل ثم عدد مؤلفاته في تنوعها وموادها مع الإحالة على المصطلحات من كتب ابن رشد بواسطة رموز صنعها المؤلف.

تمّ ترتيب المعجم ترتيباً ألفبائياً فقال في حرف الألف (أ):

ابتداء: إن عدد المعاني التي يقال عليها الابتداء يقال عليها اسم النهاية.

إبدال: الإبدال في صناعة الشعر أشرف من التشبيه.

الأقويل الشعرية: هي الأقويل المخيطة.

الإيقاع: فعل زمن الصوت بفواصل متناسبة متشابهة.

الموضوع: هو الذي يسميه النحويون المبتدأ وهو الذي يقتضي خبراً.

<sup>1</sup> - عبد الأمير الأعمش، المصطلح الفلسفي عند العرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1989، ص96.

<sup>2</sup> - من نشر مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

المحمول: وهو الذي يسميه النحويون الخبر وهو الصفة فمثال ذلك قولنا زيدٌ كاتبٌ فزيدٌ هو الموضوع وكاتبٌ هو المحمول.

المفرد: ما يدل على معنى ولا جزء له نحو: إنسان- فرس.

المركب: عبارة عن ما يدل على معنى وله ضرب نحو: العالم حادثٌ، الإنسان حيوانٌ.

وقال في حرف الحاء (ح):

حروف: هي الأشكال الدالة بالمواضعة على الأصوات المقطعة تقطيعاً يدل بنظمه على المعاني بالمواطأة عليها.

وقال في حرف الخاء (خ):

خيال: العقل إنما يقضي على الخيال والخيال إنما يأخذ المعنى من الحس.

وقال في حرف الدال (د):

دخان: إن اللهب كما يقول أرسطو هو دخان مشتعل، والدخان إنما هو من الهواء والأرض<sup>1</sup>.

وهكذا تواصل ترتيب مصطلحات ابن رشد في مختلف مستويات العلم، ولم يكن ابن رشد ليتعرض إلى تقسيم العلوم وإلى بيان مجالها قبل بيان مفهوم حدودها، فهو يقدم لكل علم تعريفاً قد يقصر أو يطول وقد يلجأ إلى القابلات حتى يوضح دلالة المصطلح، فلغة ابن رشد دقيقة تقوم على أساس من الوعي بمهمة الألفاظ في الدلالة على المعاني.

<sup>1</sup>- جيرار جيهاني، مصطلحات ابن رشد الفلسفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1/2000، 39-38/1.

لم يكن ابن رشد بدءًا في التطرق إلى تعريف مصطلحات العلوم والفنون وإنما ذلك ديدن جميع الفلاسفة فقد سبقه في ذلك جابر بن حيان، والكندي، وابن سينا، والغزالي، والفارابي، والخوارزمي، وغيرهم، وقد ألف هؤلاء كتبًا ورسائل في حدود العلوم كمفاتيح العلوم للخوارزمي، وإن كان ابن رشد لم يفرد رسالة أو نصًا للمصطلح إلا أنه عمل ذلك بتفرق في متون كتبه.

لجأ ابن رشد إلى طريقتين في توليد مصطلحاته:

1/ الاختراع: حيث يخصص لفظًا لكل مسمى ويشرحه.

2/ التعريب: وهي ألفاظ غير مخترعة ولا مترجمة بل معربة ومنقولة إلى العربية نحو: سوسولوجي-بيوطيقا-الجومطريا (الهندسة) -الأسطرنوميا (علم النجوم) -فيللوجية....

#### 4-5- علاقة المصطلح النحوي بالمصطلح الفلسفي في نظر ابن رشد:

تحت عنوان: متى دوى المنطق الأرسطي في النحو العربي ذكر الدكتور عبد الجليل مرتاض أن المصطلحات الأرسطية قد بلغ صداها مسامع نحاة عرب متأخرين «بدليل ما نجد آثارًا لها ماثورة في كتب ودراسات النحو العربي، كالذي نقرأه عند الزجاجي... غير أن إطلاع هؤلاء النحاة المتأخرين على مثل هذه المصطلحات حدث وقرآن النحو قد أكمل ورضي به السلف والخلف من علماء اللسان العربي... وكم كان ابن رشد حكيماً حين نبّه في صدر كتاب "الشعر" لأرسطو على أن الغرض في هذا القول تلخيص ما في كتاب أرسطو طاليس في الشعر من القوانين الكلية المشتركة لجميع الأمم أو للأكثر، إذ كثير مما فيه هي قوانين خاصة بأشعارهم وعاداتهم فيها، وإما أن

تكون ليست موجودة في كلام العرب، أو موجودة في غيره من الألسنة»<sup>1</sup>،  
ويضيف الأستاذ عبد الجليل قائلاً: «ما كان أصدق أبا الوليد وأكثر من لهجوا  
بهذا الكتاب القيم فإسرة ونباهة، من ذلك أن الاسم المصرف حسب أرسطو هو  
الاسم المضاف وليس بمفهوم المضاف عندنا وبمصطلحنا، بل يقصد به  
المنسوب إلى شيء يكون بمثابة الأسماء، وليس هذا فقط بل يعني في النهاية ما  
يقوم مقام النصب والخفض في اللغة العربية»<sup>2</sup>.

#### 4-6- بين ابن رشد وابن مضاء القرطبي:

عرف الأندلسيون النحو الكوفي قبل النحو البصري فقد حمل جودي بن  
عثمان (ت198هـ) كتاب الكسائي من بغداد إلى قرطبة وأقرأه إلى طلابه هناك  
ثم وصل كتاب سيبويه على يد الأفشينق (ت307هـ) ولاقى إقبالاً لدى  
الأندلسيين وبذلك تزامم النحوان في أرض الأندلس واختلطت المصطلحات  
ونتيجة هذا التلاقح نشأ فكر نحوي مثله العديد من العلماء وقد وسع الأندلسيون  
دائرة الاستشهاد فاستشهدوا بالحديث النبوي الشريف، وعابوا على المشاركة  
استشهادهم ببيت شعر مجهول القائل وتركهم حديث رسول الله صلى الله عليه  
وسلم.

ومع ظهور المذهب الظاهري ودعوته إلى نبذ القياس والاعتماد على  
ظاهر النص دوت دعوة ابن مضاء القرطبي رافعة فكرة تجديد النحو العربي  
معتمدة على إلغاء فكرة العامل النحوي، والأخذ بالظاهر، والظاهر في كلام  
العرب ليس فيه ما يقول النحاة في ما يسمونه "العلل".

<sup>1</sup> - عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص29.

<sup>2</sup> - نفسه، ص30.

وعندما أثّرت قضية تيسير النحو العربي في العصر الحديث على أيدي مجموعة من العلماء حظي كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي باهتمام كبير وأقيمت حوله دراسات حيث قام الدكتور شوقي ضيف رحمه الله بتحقيقه وصدّره بمقدمة ناصر فيها دعوته رافعاً شعار التجديد في النحو العربي، فسار في فلكه جماعة من العلماء المصريين المتحمّسين لدعوة ابن مضاء، وتحفّظ آخرون بينما رفض فريق ثالث دعوة التجديد والتيسير، كل ذلك والجميع يجهل كتاب ابن رشد في النحو.

وبعد اكتشاف المخطوط وتحقيقه وإطلاع الناس على محتواه وجد علماء النحو أنفسهم إزاء دعوة ثالثة لا تقول بالإبقاء على النحو كما هو، ولا يحذف جزء منه وإنما نظرية تطرح مسألة بنية النحو العربي بعمق فابن رشد يرى أن الصعوبة في النحو تكمن في:

- تكديس مجموعة من القواعد قننت لأجزاء صغيرة في اللّغة العربية كما يمكن تبسيطها وأخذها على ما هي عليه دون الغوص في التأويل والتفسير الأمر الذي أثقل كاهل المتلقي العربي وغير العربي الراغب في تحصيل الفصاحة.
- الطريقة المتبعة في التأليف والتي مالت إلى التعقيد في الكثير من المسائل وكررت العديد من الأحكام.
- الطرائق العويصة في تدريس النحو وتعليمه.

وانطلاقاً من هذه الملاحظات كان ابن رشد يرى أن السبب في ما في النحو من صعوبات يكمن في طريقة بنائه التي لم تتم على الطريقة الصناعية العلمية، ومن هنا كانت مسألة إعادة ترتيب بنية النحو العربي عملية تتطلب القيام بإصلاح جوهرى في بنيته وذلك بصياغتها صياغة برهانية كما هو الشأن

في جميع اللغات، يقول في بداية كتابه الضّروري في صناعة النحو: «الغرض من هذا القول أن نذكر من علم النحو ما هو كالضّروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم ويتحرّى في ذلك ما هو أقرب إلى الأمر الصناعي وأسهل تعليمًا، وأشدّ تحصيلًا للمعاني»<sup>1</sup>.

لقد عرض ابن رشد مسائل النحو العربي وفق ترتيب فكري ينبذ القياس ويلجّ بالرجوع إلى الأصول وهو بذلك يشترك مع ابن مضاء القرطبي في رفضها للقياس وأن كل كلام يجب أن يرد إلى نطق العرب به، دون اللجوء إلى مبررات وعلل وإذا التبس الأمرُ أن نستقرئ كلامهم يقول ابن رشد: «وقد يستعمل أهل هذه الصناعة القياس فيما جهل سماعه؛ أنهم يقيسون المجهول على المعلوم وهو ضعيف، وربّما أفرطوا حتّى يردون السماع بالقياس»<sup>2</sup>، ويقول ابن مضاء: «فالشّيء لا يقاس على الشّيء إلا إذا كان حكمه مجهولاً، والشّيء المقيس عليه معلوم الحكم...»<sup>3</sup>، ثم يقول متسائلاً عن ذلك: «والعرب أمة حكيمة فكيف تشبّه شيئاً بشيءٍ وتحكم عليه بحكمه وعله حكم الأصل غير موجودة في الفرع»<sup>4</sup>.

ومهما يكن فإن المشروع الذي اقترحه ابن رشد يختلف عن مشروع ابن مضاء، ولا نعلم هل التقى الرجلان، وما نوع العلاقة التي كانت تربط بينهما، فكلاهما ولد في مدينة قرطبة، وتولّى القضاء فيها فابن رشد شغل منصب قاضي القضاة، وابن مضاء قاضي الجماعة، إضافة إلى عقدهما حلقات التدريس هناك، وفي قرطبة تعرضاً لنكبة هزت كيانهما وخاصة ابن رشد،

<sup>1</sup> - ابن رشد، الضّروري في صناعة النحو، ص137.

<sup>2</sup> - نفسه، ص138.

<sup>3</sup> - ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص134.

<sup>4</sup> - نفسه، ص134.

إضافة على ذلك فقد تتلمذا على يد شيوخ وعلماء مشتركين أمثال ابن سمحون، وابن مسرّة، وكلاهما حافظ لكتاب الله تعالى وهما ذوا ثقافة موسوعيّة.

والملفت للنظر أيضًا أن كل منهما أقام مشاداة مع العالم ابن خروف (ت604هـ) الذي ألف كتاب: "تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطأ والسهو" مناقضًا به ابن مضاء القرطبي في كتابه: "تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان"<sup>1</sup>.

لقد انتقد ابن مضاء القرطبي النحاة الذين سبقوه أو عاصروه والذين أخذوا بالقياس في استنباط القاعدة النحوية معتمدين في ذلك على لغة مسموعة في مستوى معين وفي مكان معلوم وزمان محدود وراحوا يقعدون للعربية انطلاقًا من هذا الأطلس الذي رسموه بأنفسهم، فلم يرضه ذلك، فدعا إلى اعتماد الظاهر وانتهاج الوصف متأثرًا في ذلك بمنهج شيخه ابن حزم صاحب المذهب الظاهري.

بينما نجد ابن رشد الذي درس منطق أرسطو ونبغ فيه وشرحه، يرى في النحو تكديسًا وتراكما لا يخدم اللّغة وينبغي الاقتصار على ما هو ضروري متأثرًا في ذلك بمنهجه الفلسفي الذي ينطلق من العقل فأراد تجريد النحو من اجتهادات الفقهاء ومنهج رجال الدين وهو الذي انتقدهم في العديد من المسائل الفكرية التي لا تتماشى مع الطرح العلمي والواقع العقلاني.

هذه هي الحالات التي جمعت ابن رشد بابن مضاء القرطبيين فقد كانت غايتها واحدة وهي توخي اليسر والسهولة في قضايا النحو وقد حرص كل واحد منهما على بلوغ ذلك إلا أن لكل منهما طريقه ومنهجه فقد كان ابن رشد فيلسوفًا عقلانيًا مطلعًا على العديد من لغات عصره وقد تكون له دراية بنحو

<sup>1</sup>- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ص215.

تلك اللغات فأراد بناء النحو على العقل والاكتفاء بما يخدم اللغة بينما كان ابن مضاء ظاهرياً أراد معالجة قضايا النحو وفق مذهب فقهي اعتمد ظاهر النص ونفي القياس.

#### 4-7- بين ابن رشد وسابقه من نحاة المشرق:

قد يثير هذا العنوان حافظة القارئ كيف يمكن إحداث مقارنة بين البيئة التي ولدت النحو وربته ورعته، وبين البيئة التي انتقل إليها هذا النحو بعد أن استوى عموده وكمل وتمّ، وقد كان الجاحظ يقول: «كل الناس عيال على سيبويه في هذه الصناعة»<sup>1</sup>، ولقد أشرنا أن النحو العربي وصل قرطبة عن طريق الرحلات العلمية التي قام بها مجموعة من طلاب الأندلس إلى بلاد المشرق فحملوا كتاب الكسائي، وكتاب سيبويه، وكتاب الزجاجي، والأمالى وغيرها من ذخائر الشرق، وهناك انكبوا على تدارسها وقد بهرتهم وأعجبوا بها أيما أعجاب.

ولكننا نريد إحداث هذه المقارنة لإبراز المشروع النحوي الذي طرحه ابن رشد، فالمؤكد أن ابن رشد لم يخرج عن سيبويه وهو لا يستطيع ان يخرج عليه ولو أراد، وقد يكون قد اختلف معه في الطريقة وفي الترتيب وأسبوعية موضوع عن موضوع، المعلوم عند الجمهور أن سيبويه جمع في كتابه ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء كأبي الخطاب، والخليل، ويونس وأبي زيد، وعيسى بن عمرو، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم، وأكثرهم نقلاً عنه الخليل الذي كان كتاب سيبويه سجلاً لآرائه... ولم يؤلف سيبويه غيره، ولم يضع له عنواناً. وقد كان لهذا الكتاب الأثر الكبير في علم النحو وأطلق عليه

<sup>1</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، 102/1.

العلماء تسمية "قرآن النحو" وكان المازني يقول: «من أراد أن يصنّف كتابًا واسعًا في النحو بعد سيبويه فليستحي»<sup>1</sup>.

وقد زعم البعض أن النحو العربي وليد الدرس النحوي الفارسي بحكم فارسية سيبويه صاحب الكتاب، وقال آخرون إنه وليد المنطق اليوناني مشككا في قدرات العلماء العرب على الاتيان بمثل هذا العلم المنظم وأنه تأثر بالمنطق اليوناني وفي ذلك يقول المستشرق الألماني بروكلمان «والرأي الذي يتكرر دومًا عند علماء العرب، وهو أن علم النحو انبثق عن العقلية العربية المحضّة بغضّي النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، أما اشتراك الفرس في علم العربية فمن الدلائل البارزة عليه استعمال اسم الإشارة في اللّغة الفارسية الوسطى»<sup>2</sup>، والمستشرق الألماني ميركس هم أول من زعم أن المنطق اليوناني أثر في النحو العربي على مستوى المفاهيم والمصطلحات<sup>3</sup>.

وتغنّى العديد من المعاصرين بهذا الزعم، وكان ابن رشد قد تكهن بأنه قد يُدعى في حقه أنه خلط النحو بالمنطق فقال: «وربّما قالوا: خلط صناعة المنطق بصناعة النحو وهذا كله جهل بالطريق الصناعي»<sup>4</sup>، فلا علاقة لدعوة ابن رشد في الاقتصار على ما هو ضروري من النحو بالمنطق اليوناني، لقد دافع ابن رشد عن نفسه وردّ من يرى أنه خلط بين النحو والمنطق اليوناني

<sup>1</sup> - الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص 248.

<sup>2</sup> - كارل بروكلمان، تاريخ الآداب العربية، 123/1.

<sup>3</sup> - جرار تروبو، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة الأردني، 1982، ص125.

<sup>4</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص 139.

وخرج عن طريقة النحاة، ذلك أن النحو يعصم النطق عن الخطأ في الألفاظ كما هو الحال في علم المنطق الذي هو آلة تعصم الذهن عن الخطأ في الفكر<sup>1</sup>.

لقد بدأ سيبويه حديثه عن النحو بالتمييز بين كلام العرب ضمن قوله: «هذا باب علم ما الكلم من العربية» قال فيه: «فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس وحائط، وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذَهَبَ وَسَمِعَ، وَمَكَتَ، وَحَمِدَ، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمرًا: إِذْهَبَ وَأَقْتُلْ وَاضْرِبْ وَمَخْبِرًا يَقْتُلْ وَيَضْرِبُ وَيَذْهَبُ وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء ولها أبنية كثيرة ستبين إن شاء الله، والأحداث نحو الضرب والقتل والحمد، وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فهو ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحو هذا»<sup>2</sup>.

#### 4-8- المنطق والنحو عند ابن رشد:

##### أ- الصلة بين المنطق والنحو:

قبل تناول علاقة المنطق بالنحو وأثر كل منهما في الآخر نرى أنه من الضروري تحديد دلالة مصطلح المصطلحين، إذ في هذا التعريف ما يساعد على إلقاء الضوء على مضمون كل منهما.

1/ لفظ المنطق: المنطق من النطق يقال نَطَقَ نُطْقًا ومنطقًا إذا تلفظ وصوت يقول الإمام الزمخشري: «وقد قالت العرب نطقت الحمامة، والذي

<sup>1</sup> - سيدي ولد مناه، اكتشاف مخطوط مفقود لابن رشد، شبكة الاتصالات العالمية، موقع د. محمد عابد الجابري، ص07.

<sup>2</sup> - سيبويه، الكتاب، 17-16-15/1.

علم سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من مقاصده وأغراضه»<sup>1</sup>.

ويعرفه الفارابي بقوله: «فهذا العلم لما كان يعطي قوانين في النطق الخارج، وقوانين في النطق الداخل، ويقوم بما يعطيه من القوانين في الأمرين النطق الثالث الذي هو في الإنسان بالفطرة، ويسدده حتى لا يفعل فعله في الأمرين إلا على أصوب ما يكون وأتمه وأفضله سمي باسم مشتق من النطق الذي يقال على الأنحاء الثلاثة»<sup>2</sup>.

ومما يؤيد أن كلمة منطق تدل على اللفظ والمعنى ما جاء في القرآن الكريم في العديد من الآيات ليربط اللفظ بالمعنى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>3</sup> وقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾<sup>4</sup>.

ومن استقراء مدلولات اللفظ يتبين أن العلاقة وثيقة بين المنطق واللغة وقد تنبه علماء اللغة إلى علاقة اللغة بالمنطق، «إنما سمي بالمنطق لأن النطق يُطلق على اللفظ وعلى إدراك الكلمات وعلى النفس الناطقة»<sup>5</sup>، وقد حدد أبو حيان التوحيدي مجاله فقال: «إن من أغراضه أن يميز بين ما يقال إنه صدق أو كذب فيما يطلق باللسان، هذا إلى جانب تمييزه فيما يعتقد أنه حق أو باطل وفيما يفعل أهو خير أم شر، وبه تفصل الحجة من الشبهة وبه تعرف حيلة

<sup>1</sup> - الفخر الرازي، التفسير الكبير، 186/1.

<sup>2</sup> - الفارابي، إحصاء العلوم، ص78.

<sup>3</sup> - النجم 3.

<sup>4</sup> - الذاريات 23.

<sup>5</sup> - التهاونوي، كشف الفنون، ص23.

المغالط ونصيحة المحقق، وهو آلة عند أربابه كالميزان يزنون به كل مختلف فيه ومتفق عليه، وليس فيه كفر ولا جهل، ولا دين، ولا مذهب، ولا نحلة، ولا مقالة، وإنما هو تصفية المعاني وتنقية الألفاظ، فمن غمره الشك في القول فيتقدم ناظرًا فيه، فإنه يجد بيان هذا القول حاضرًا والشاهد فيه ظاهرًا<sup>1</sup>، الملاحظ عند أبي حيان وهو يعرف المنطق أنه استعمل مصطلحات تتداخل مع مصطلحات علم النحو مثل المعاني - الميزان - القياس - اللفاظ - القول - الشاهد - الظاهر - الباطن.

## 2/ مظاهر التداخل بين المنطق والنحو عند ابن رشد:

قيل إنَّ النحو نضج حتى احترق، ومن المعروف تاريخيًا أن النحو اكتملت أسبابه في الوقت الذي ترجمت فيه كتب المنطق ويرى الدكتور شوقي ضيف أن النحو العربي تأثر بالنحو اليوناني وبالمنطق وكان ذلك على يد ابن المقفع (ت143هـ) الذي ترجم منطق أرسطو وكذلك اسحاق بن حنين وتلامذته الذين شملت ترجماتهم كل العلوم فأحمد أمين يؤكد أن حنينًا تعلم اليونانية ولازم الخليل بن أحمد الفراهيدي وأيده في ذلك الدكتور إبراهيم مدكور وذهب إلى أن حنينًا تبادل مع الخليل بعض القواعد النحوية ورأى مصطفى نظيف أن حنينًا تعلم العربية على يد الخليل<sup>2</sup>.

على أننا نجد خير من وضح علاقة المنطق بالنحو هو الدكتور عبد الجليل مرتاض فتحت عنوان: أرسطو والنحو العربي في الميزان قال: «ولقد اطلع موسوعيون عرب متأخرون عن ظهور النحو العربي بزمن ليس بالقصير أمثال الفارابي وابن سينا على المنطق الأرسطي والتراث الفكري اليوناني وظهر أن ما يناسب لغة ليس بالضرورة أن يناسب هو بعينه لغة أخرى وأن ما

<sup>1</sup> - أبو حيان التوحيدي، في رسالة العلوم، ص204.

<sup>2</sup> - أحمد أمين، ضحى الإسلام 298/1، دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص25.

يسمى في هذه اللّغة من مصطلح ربما لا يكون له أدنى صلة أو حاجة في اللّغة الأخرى، مثال ذلك أن مفهوم الفعل لدى أرسطو ليس هو نفسه في الفعل لدى النحاة العرب، وأما من الناحية المنهجية، فقد سلك اليونان في تصنيف الكلمات منهجًا وظيفيًا وأما العرب فقد سلكوا منهجًا تتركز فيه الشكلية والوظيفية والدلالية ومن هنا صار ما يعده اليونان حرفًا مصنّفًا عند العرب من الأسماء»<sup>1</sup> وتحت عنوان ما الذي أفاده النحو العربي من المنطق الأرسطي يقول: «غير أن اطلاع هؤلاء النحاة المتأخرين على مثل هذه الاصطلاحات حدث وقرآن النحو قد أكمل ورضي به السلف والخلف من علماء اللسان العربي، ثم إن من يتصفح المصطلحات التي استعملها الرعيل الأول من النحويين العرب المتقدمين والتي سجلها سيبويه بعيد وفاة الخليل لا دخيل فيها من المصطلح الأجنبي... وحتى هذه المصطلحات الأرسطية المترجمة في فترة لاحقة إلى العربية لم تضاف شيئًا جوهريًا إلى المصطلح اللساني العربي إذا ماذا أضاف مصطلح رباط إلى العربية إلى ما كان سماه النحاة الحرف أو الأداة»<sup>2</sup>.

وإن نحن رجعنا إلى ابن رشد فإننا نجده يعتبر موضوع المنطق والنحو مشترك وهو اللّغة، لأن الألفاظ التي يعالجها النحو هي الألفاظ نفسها التي يعالجها المنطق، وهكذا لم يكن ابن رشد متحيزًا للمنطق على حساب اللّغة فإننا نجده يوضّح قيمة كل علم في الوصول إلى المعرفة الصحيحة وفق قواعد منطقية سليمة.

<sup>1</sup> - عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص24.

<sup>2</sup> - عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ص30: عقد الأستاذ عبد الجليل مرتاض مقارنة مفصلة بين المصطلح النحوي العربي والمصطلح المنطقي اليوناني ضمن جدول وضح فيه خصوصية واستقلالية كل مصطلح عن الآخر، ينظر ص38 من المرجع نفسه.

لقد قرأ ابن رشد نصوص أرسطو مترجمة ولم يكن المترجمون على دراية تامة باللغة اليونانية فيقال إن حنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين ترجما منطق أرسطو عن السريانية<sup>1</sup>، لذلك وجد ابن رشد صعوبة في قراءة نصوصه حيث قال: «إن هذا الكتاب معتاص جداً من قبل الترجمة»<sup>2</sup>، فحالت العقبة اللغوية دون فهمه جيداً وهذا ما جعله يجتهد في محاولة التوفيق بين عمومية المنطق بكونه يجسد قوانين الفكر، وبين خصوصية النحو العربي باعتباره خاصاً بالأمة العربية<sup>3</sup>.

إن القارئ لمؤلفات أرسطو الفلسفية يلاحظ ظواهر لغوية معقدة واصطلاحات غامضة يتجلى ذلك في بعض التعابير من مثل قوله: "ليس في الموضوع"، "ويقال في الموضوع"، و"يقال على الموضوع" وذلك حينما كان يفرق بين ما هو جوهر وما هو عرض، وكذلك ضمن قوله: "هو يوجد" وقوله: "الموجود له"، و"الموجود في...".

وبخلاف نجد وضوح العبارة في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد حين يتعرض لبعض الأحكام الفقهية فعندما يشرح كلمة صَوَاف في قوله تعالى: ﴿فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾<sup>4</sup>، يقول: «من سنن نحر الهدي أن تُنحر قياماً فالصَّفْنُ هو القائم»<sup>5</sup> وعندما يتناول حكماً فقهياً فإنه يبدى براعة لغوية، يقول في قضية عفو الأب عن نصف صداق ابنته: «هل للأب أن يعفو

<sup>1</sup>- ارست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1957، ص36.

<sup>2</sup>- ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، تحقيق جيرار جيهامي، دار الفكر اللبناني-بيروت، ط1، 1992، ص729.

<sup>3</sup>- جمال حمود، ابن رشد وقلق عبارة أرسطو، موقع: Mouminoun wilhout3 بتاريخ 2016/12/12.

<sup>4</sup>- الحج 36.

<sup>5</sup>- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، 379/1.

عن نصف صداق إبنته البكر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾<sup>1</sup> قال قوم لكل ولي أن يعفو عن نصف الصداق الواجب للمرأة، ويشبه أن يكون هذان الاحتمالان اللذان في الآية على السواء، لكن جعله للزوج فلم يوجد حكمًا زائدًا في الآية أي شرعًا زائدًا لأن جواز ذلك معلوم من ضرورة الشرع، ومن جعله الولي إما الأب وإما غير ذلك زاد شرعًا<sup>2</sup>.

#### 4-9- التوفيق بين عمومية المنطق وخصوصية النحو العربي:

لقد أثار هذا الأمرَ العديدُ من العلماء النحويين العرب ولعل أشهرهم أبو سعيد السيرافي في مناظراته مع مثنى بن يونس والتي نقلها أبو حيان التوحيدي في كتابه: الإمتاع والمؤانسة، حيث اعتبر اللغة المستعملة في المنطق عقبة تحتاج إلى تطويع حتى تتماشى مع الطرح النحوي العربي.

ولعل ابن رشد وهو يشرح منطق أرسطو شعر بعقبة الترجمة المتوفرة لديه من اليونانية إلى العربية، وهي ترجمات اعتمدها عرب يدينون بالمسيحية وبعضهم صائبة لذلك جاءت هذه التراجم جافة من الثقافة الإسلامية وقد يكون هذا أحد العوامل التي جعلت العلماء المسلمين يتصدون للفلاسفة المسلمين ويتهمونهم بالزائدة والخروج عن الملة وساد بين الناس آنذاك مقولة: «مَنْ تَمَنَّقَ تَزَنَّقَ».

لقد اتسمت العقبة اللسانية عند ابن رشد بطابع خاص حيث اتخذت عنده طابعًا رسميًا.

إن حاجة ابن رشد إلى النحو فرضتها عليه اهتماماته الكبرى التي رسمها في إطار منهجه العلمي العام فقد كان مطالبًا بالإجابة عن أسئلة ثلاثة:

<sup>1</sup> - البقرة 237.

<sup>2</sup> - ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ص

1/ مسألة شرح فلسفة أرسطو.

2/ مسألة فهم القرآن الكريم وتأويله.

3/ مسألة العلاقة بين الدين والفلسفة.

والخوض في هذه المسائل يفرض استعمال أسلوب لغوي يقوم على البرهنة، وضبط المعنى وشرح النصوص وتبسيط الفهم وإيصال الفكرة ولعل ذلك ما دفعه إلى العناية بنحو اللّغة وصرفها وبلاغتها.

#### 5- التفكير الصّوتي عند ابن رشد:

اصطدم العرب بعد مجيء الإسلام بالأمم المجاورة، والحضارات العالمية، فأثروا وتأثروا كثيرًا، فحدث في عقولهم انقلاب فكري ولغوي واجتماعي وتسربت الفلسفة اليونانية إلى بلاد المسلمين عن طريق الترجمة والتأليف، وشهد الأندلس نشاطًا لغويًا ساهمت فيه الفرق والمذاهب الدينية الوافدة من الشرق والاتجاهات الفلسفية القائمة والدعوات الناشئة في مختلف المناحي الفكرية والدينية، فاطلع العرب على علوم غيرهم من أجل الذود عن كياناتهم وعقيدتهم.

وكانت اللّغة أساس هذه الحركة فقد نشطت الترجمة عن اللّغات العالمية من هندية وفارسية ويونانية وسريالية ولاتينية، وقد كان معظمهم من الأطباء وعلماء النبات والأرض والكيمياء، لذلك جاءت هذه الترجمات قلقة أحيانًا، وذات أخطاء وانحراف في الأحيان الأخرى، زيادة على الفوارق الجوهرية بين تركيب الجمل في العربية والعديد من اللّغات المترجم عنها، وهذا ما جعل العديد من الفلاسفة المسلمين يلجؤون إلى شرح ما تم ترجمته وإعادة صياغته النصوص المترجمة لرفع اللبس والغموض عنها، والذي أدى إلى نفور رجال الدين والفقهاء عنها وفي ذلك قال ابن حزم: «فلما نظرنا في ذلك وجدنا بعض

الآفات الداعية إلى البلايا التي ذكرنا، تعقيد الترجمة فيها، وإيرادها بألفاظ غير عامية ولا فاشية الاستعمال، وليس كل فهم تصلح له كل عبارة»<sup>1</sup>، وقال ابن تيمية (ت728هـ): «وإن كان كثير من الترجمة لا يأتي بحقيقة المعنى الذي في تلك اللغة، بل بما يقاربه، لأن تلك المعاني لا تكون لها في اللغة الأخرى ألفاظ تطابقها على الحقيقة، لا سيما لغة العرب، فإن ترجمتها في الغالب تقريب»<sup>2</sup>.

لذلك واجه ابن رشد عناء وهو يحاول قراءة منطق أرسطو المترجم عن اليونانية، وأدرك حقيقة الصعوبات التي سوف يلاقها كل قارئ لهذه الترجمة، وعرف أن سرّ هذه الصعوبات يكمن في اللغة المستعملة لترجمة نصوص كتاب أرسطو، بل وأدرك أن نفور الفقهاء والنحاة العرب من منطق أرسطو مرده إلى هذه اللغة المستعملة في نقله إلى العربية، فأخذ على عاتقه إعادة كتابة هذه الترجمة بلغة عربية سليمة، وقد أكد السيرافي هذا الأمر في قوله: «إذا كان المنطق وضعه رجل من اليونان على لغة أهلها، واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه بها، ومن رسومها وصفاتها، فمن أين يلزم التّرك، والهند، والفرس، والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضياً وحكما لهم وعليهم»<sup>3</sup>.

لم تكن الدراسة الصوتية مسعى ابن رشد ولا هدفه منذ البداية وإنما فرضتها عليه المخاطبات المسموعة والأفكار العقلية وعلاقة الدلالة بالعلامة الإعرابية ولذلك أخذت الأصوات جانبا من عناية ابن رشد أثناء تطرقه للعلامة الإعرابية مقتفيا منهج النحاة في عرض المادة الصوتية، فكان حديثه عنها في باب الإعراب عندما علّل سبب اختصاص كل مصوت بمعنى معين، فاستوفى

<sup>1</sup> - ابن حزم، التقريب لحد المنطق، تحقيق احسان عباس، دار مكتبة الحياة، لبنان-بيروت، ط1، 1900، ص03.

<sup>2</sup> - ابن تيمية (ت728هـ)، الرد على المنطقيين، تحقيق محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط1، 2003، ص42.

<sup>3</sup> - أبو حيان التوحيدي (ت414هـ)، الامتاع والمؤانسة، تحقيق هيثم خليفة الصعيمي، المكتبة العصرية، صيدا، 91/1.

الحديث عن المصوتات بكل أشكالها وأنواعها، وجعلها المدخل المؤسس للجزء الثالث، وهو القول في الإعراب<sup>1</sup>.

وأثناء تناوله الحديث عن الصوت قال: «التصويت هو صوت ما من متنفس، وهو الذي يوجد فيه نغم وإيقاع ولفظ، ولذلك سميت كثير من الآلات مصوتة على جهة النسبة بالحيوان، مثل المزممار وأشباهه، إذ كان قد يوجد ما يحاكي هذه»<sup>2</sup>.

وعند حديثه عن المصوتات تطرّق إلى مصطلحي المدّ واللّين فسَمّى المصوتات الممدودة "المدات" وقال بأنها تحدث عن إشباع الحركات وتنتج الواو وُو، الفتحة تنتج الألف َ، الكسرة تنتج الياء ِ، فالمدة الحادثة عن الضمة سميت واوًا، والمدة الحادثة عن الفتحة سميت ألفًا والمدة الحادثة عن الكسرة سميت ياءً، وعندما تحدث عن إعراب الأفعال المعتلة اللام نحو: (حَشِيَّ قَضَى دَعَا سَرَوْ...) سماها حروف المدّ واللّين فقال: «وإن كان في آخره حرف مدّ ولين فشكّل الرفع فيها حرف المدّ واللّين نحو: زيدٌ يَغزُو ويرمي ويخشي»<sup>3</sup>، وقد شارك التّفنّزاني (ت771هـ) ابن رشد في شرح المدّ واللّين فأشار بأن تسميتها بذلك راجع إلى كونها «تخرج في لين من غير كلفة على اللسان، وذلك لاتساع مخرجها، فإن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتدّ، ولأنّ، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلّب»<sup>4</sup>.

## 5-1- مخرج المصوتات القصيرة:

<sup>1</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص55.

<sup>2</sup> - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص86.

<sup>3</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص126.

<sup>4</sup> - التّفنّزاني، شرح مختصر التصريف العزّي في فن التصريف، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط8، 1997، ص106.

تطرق ابن رشد إلى هذا الجانب ضمن الحديث عن مخارج الأصوات الذي شغل بال ابن حزم الأندلسي وابن باجة وبقية الفلاسفة المسلمين، الذين أدركوا أن الفرق بين المصوتات الطويلة والقصيرة لا يَعُدُّ أن يكون مجرد فرق في الكمية، لذلك ربطوا مخرج القصيرة بالطويلة<sup>1</sup>.

فمخرج الفتحة مثلاً هو من مخرج الألف فابن سينا أشار بأن مخرج الفتحة يحدث بسهولة وإنقياد لا يزاحم طريقه أي عضو. وهذا ما حدا ابن رشد إلى القول بأن مخرج الفتحة يتوسَّط مخرج الضمة التي هي قريبة من الحلق ومن مخرج الكسرة<sup>2</sup>.

وقدم ابن رشد تفسيراً عن مخرج الضمة يتفق مع الدرس الصوتي الحديث فقال: «والضمة يوجد مخرجها أبداً في الحرف الواحد بعينه متقدماً على مخرج الفتحة والكسرة فيه، أعني أنها أقرب إلى الحلق في المخرج، ولما كان مخرج الضمة هو أرفع مخرج الضمة من مخرج الفتحة والكسرة»<sup>3</sup>.

فلعل ابن رشد يقصد بقوله إن الضمة أقرب إلى الحلق: أنها من أقصى الحنك، ذلك أن اللسان يرتفع ناحية أقصى الحنك الأعلى تاركاً فراغاً واسعاً، بحيث لا يحدث أي احتكاك<sup>4</sup>.

وعن المصوتات الطويلة يرى ابن رشد أنها متولدة عن القصيرة، فمتى ازدادت كميتها حدث المصوت الطويل فقال: «فالمدة الحادثة عن الضمة سميت واوًا، وجعل شكلها شكل الواو في الخط، لأنها واو منطوق بها، وكذلك الأمر

<sup>1</sup> - فرح ديدوح، دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دط، دت، ص41.

<sup>2</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص55.

<sup>3</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص55.

<sup>4</sup> - فرح ديدوح، دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دط، دت، ص 43.

في المدة الحادثة عن الفتحة، جعل شكلها في الخط شكل الألف، وليست الألف المنطوق بها التي هي حرف بالحقيقة، والمدة الحادثة عن الكسرة جعل شكلها ياء، ولكونها مدّات سموها: حروف مدّ ولين<sup>1</sup>، ووضّحها السكاكي (ت626هـ) بأن جعل المصوتات القصيرة من المصوتات الطويلة فقال: «الحركات أبعاض حروف المد واللين، بدليل أن حروف المدّ قابلة للزيادة والنقصان في باب الامتداد»<sup>2</sup>.

## 5-2- علاقة الإعراب بالمصوتات:

إن عناية ابن رشد بالمصوتات جاء عند استعراضه للدلالة النحوية التي تحقّقها العلامة الإعرابية، فقد عرف الإعراب بقوله: «إنه شكّل آخر الكلمة بأشكال مختلفة لاختلاف أحوال المعنى للمدلول عليه بذلك الاسم»<sup>3</sup>، وقد عدّ هذه المصوتات علامات للإعراب فقال محدّدًا إيّاها: «إن هذه العلامات في لسان العرب في الأسماء هي ست، ثلاث منطوق بها وهي: الضمة، والفتحة، والكسرة، وثلاث هي مدات حادثة عن إشباع هذه الحركات»<sup>4</sup>، وتكون هذه المصوتات في أطراف الكلمة حيث أشار ابن رشد إلى ذلك حين قال: «أما عن موقع الإعراب في الكلمة فهو عند العرب في أطراف الكلم»<sup>5</sup> ذلك أن الأصوات المتواجدة بالحشو هي من اختصاص الأحوال الصرفية بينما يأتي تحول آخر صوت فيها بفعل التوقع الذي تفرضه الدلالة، وقد تفقد الكلمة بروز هذه

<sup>1</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص56.

<sup>2</sup> - السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ص61.

<sup>3</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص53.

<sup>4</sup> - ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص56.

<sup>5</sup> - نفسه، ص53.

المصوتات في آخرها إن كانت من المبنيات، «فالمبني هو الذي تبقى أواخره على شكل واحدٍ، أما المعرب فما تشكّل بأشكالٍ متبدّلة»<sup>1</sup>.

ونلاحظ أنّ ابن رشد دفعته فطائته إلى ربط ألقاب الإعراب بمخارج المصوتات فعّل اختصاص الرّفْع بالضمّة والنصب بالفتحة، والجرّ بالكسرة، فقال: «فجعلوا المتقدم من الإشكّال للمتقدم من المعاني في النفس، ولما كان مخرج الضمّة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة، سمّوا المعنى الذي تدل عليه الضمّة، والضمّة نفسها رفعا، وسمّوا المعنى الذي هو مقابل لهذا خفضا وسموا المتوسط نصبا، تشبيهاً بهذه الحروف في مخارجها أعني في مخرج الحرف الواحد»<sup>2</sup>.

وفيما يخصُّ علاقة المصوتات بالوظائف الإعرابية نجد الدارسين قد ربطوا بين اختصاص الفاعل بالضمّة والمفعول بالفتحة، والمضاف إليه بالكسرة وبين الخفة والثقل في المصوتات.

فلما كانت المفاعيل كثيرة في كلام العرب خصوصا بأخف المصوتات وهي الفتحة، ولما قل المرفوع خصّوه بالضمّة ولما كان المجرور أقلّ خصّوه بالكسرة.

«وقد يتم الإعراب بالمصوتات الطويلة بدلاً من القصيرة في كثير من الحالات، مثال ذلك الأسماء الخمسة والمثنى، ونبدأ بالأسماء الخمسة التي تكون الفتحة الطويلة فيها علامة للنصب نحو رأيت أباك، والكسرة الطويلة علامة

<sup>1</sup> - نفسه، ص126.

<sup>2</sup> - نفسه، ص55.

الخفض في مثلمرت بأبيه»<sup>1</sup>، وأمّا الضمة الطويلة فتكون علامة للرفع في هذه الأسماء نحو: جاءني أبوك.

وفي حالة التنثية فإن الفتحة الطويلة تكون علامة للرفع نحو: قام الزيدان، وتكون الكسرة الطويلة علامة مشتركة للنصب والخفض نحو: مررت بالزيدين، وعددت من العشرين إلى الخمسين، وسمّى ابن رشد الإعراب بالمصوتات الطويلة الإعراب بالمّدات<sup>2</sup>، وقال في حالة الجزم «تحذف المصوتات الطويلة كما تحذف المصوتات القصيرة»<sup>3</sup>.

### 3-5- أهمية المصوت في بناء الكلمة:

المصوّتُ صوتٌ في حقيقته يسهم في بناء الكلمة وله دور مهم على كل المستويات اللّغوية، والصّامت بدون صائت مُبهمٌ أعجم وهذا ما أشار إليه اللّغويون، يقول أبو العلاء المعري (ت449): «الحركة قوة الحرف وحياته»<sup>4</sup>، فالمصوت يزيل الغموض والإبهام عن الصامت ويخرجه من الانغلاق إلى الانفتاح وهذا ما أشار إليه ابن عربي فقال: «الحركات في الحروف هو ما منه الحياة في الأشياء»<sup>5</sup> وقد ربطها ابن رشد بالنغم حين تحدث عن أنواع المقاطع فقال: «والنغم إنّما يحدث إما من المقاطع الممدودة، أو مع الحروف التي تمتد مع النغم وتتبعها كالميم والنون»<sup>6</sup>، ذلك أن طبيعة المصوتات الصوتية التي تتسم بحرية المجرى الهوائي دون أي عائق أعطتها صفة الاستمرارية «فالميم

<sup>1</sup>- فرح ديدوح، دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين، ص95.

<sup>2</sup>- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، ص56.

<sup>3</sup>- نفسه، ص127.

<sup>4</sup>- أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984، ص440.

<sup>5</sup>- ابن عربي، المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، تحقيق سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006، ص48.

<sup>6</sup>- فرح ديدوح، دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين، ص98.

والنون هما من الأصوات المتوسطة أو المائعة التي يغير معهما الهواء مجراه، وذلك بأن يتسرب من التجويف الأنفي بدل التجويف الفموي»<sup>1</sup>.

#### 4-5- المقطع الصوتي عند ابن رشد:

لقد تفتن ابن رشد جيداً لوظيفة المصوتات في اللّغة العربية فزيادة على دورها الفعال في بناء الكلمة، إذ إنها تفرق بين الاسم والفعل نحو: كَتَبَ وكُتِبَ- وجَالَسَ، وجَالِسٌ، فإنها تعين على تحديد المعنى وتحديد الفاعل من المفعول وهذا ما عبر عنه ابن رشد في قوله: «اختلاف الإعراب عند اختلاف أحوال القول»<sup>2</sup>.

وَأثناء حديثه عن المقطع اتفق ابن رشد مع ابن سينا في الطّرح فعبرا عن المقطع القصير بالمقطع المقصور، وعن المقطع الطويل بالمقطع الممدود، فكان أول من أشار إلى حقيقة التقسيم المقطعي نظراً لأنّ المتحدث لا يقدر على الأداء المستمر، فيلجأ إلى التوقف عن الأداء بين الهينة والأخرى توقفاً لا يكاد يحس به<sup>3</sup>، ويرى بأن لهذه التوقفات أثراً في تحديد الدلالة وفهم المقاصد لأن «هذه الألفاظ إذا وردت مشافهة في الذهن، لم يتمكن الذهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر»<sup>4</sup>.

ويستخدم ابن رشد المقطع بدلالته العلمية كما يعرفه الدرس الصوتي الحديث، فهو عنده يحدث بفعل ائتلاف بين: «الحرف المصوت وغير المصوت»<sup>5</sup> ويجزئ ابن رشد المقطع جزأين:

<sup>1</sup> - ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص276.

<sup>2</sup> - ينظر تلخيص الخطابة، ص284.

<sup>3</sup> - ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص 285.

<sup>4</sup> - نفسه، ص285.

<sup>5</sup> - نفسه، ص286.

1- المقطع الممدود وهو ما اقترن فيه صوت صامت بمصوت ممدود نحو:

قَا- عَا.

2- المقطع المقصور وهو ما اجتمع فيه صامت يتبعه مصوت قصير نحو

قَ - عَ

وقد أورد هذا التعقيم حين تحدث عن النبر والتنغيم فقال: «العرب يستعملون النبرات بالنغم عند المقاطع الممدودة، فلا يستعملون فيه النبرات والنغم إذا كانت في أوساط الأقاويل أو في أواخرها، أما المقاطع المقصورة فلا يستعملون فيها النبرات بالنغم إذا كانت في أوساط الأقاويل، وأما إذا كانت فتحة أردفوها بألفٍ، وإن كانت ضمة أردفوها بواوٍ، وإذا كانت كسرة أردفوها بياءٍ، وقد يمدون المقاطع المقصورة في أوساط الأقاويل إذا كان بعض الفصول الكبار ينتهي إلى مقاطع ممدودة، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾<sup>1</sup>، وبالجملة إنّما يمدون المقطع المقصور عند الوقف»<sup>2</sup>.

يتبين من هذا القول إن ابن رشد تمكن من إدراك المقطع بقسميه وفق ما أقرته الدراسات الحديثة، ونجده في جهات أخرى يوظف مصطلح السُّلابي<sup>3</sup> Syllabe التي تم نقله عن اليونانية إلى العربية منتهجًا سبيل التعريب على غرار الفارابي، والبيروني.

وذهب ابن رشد بعيدًا وهو يعرف السلابي فرأى أنه كل متكامل ولا ينحل إلى أجزاء حيث شبهه باللحم الذي لا يتجزأ إلى لحوم فهو شبيه كالكائن الحي الذي «ليست هويته مجرد حصيلة أجزائه، وإنما هو في حقيقة أمره حاصل

<sup>1</sup> - الأحزاب 10.

<sup>2</sup> - ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص286.

<sup>3</sup> - Syllabe منقول عن الأصل اللاتيني Syllaba الذي يعود إلى اللفظ اليوناني Sullaba وهي الصيغة التي قام ابن رشد بتعريبها، ينظر التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص263 نقلًا عن تفسير ما بعد الطبيعة 177/2.

مجموع العناصر المركبة له مع شيء آخر فالمقطع لا يحدث عن مجرد ضم عناصر متجانسة كالكس<sup>1</sup> من الحبوب، وإنما اجتماع عناصر تنصهر لتكوّن منها شيئاً جديداً يخالفها جوهرياً<sup>2</sup>، وقد تطرق ابن رشد إلى أهمية المقطع في تشكيل المعنى فقال: «إن الألفاظ إذا وردت مشافهة في الذهن، لم يتمكن الذهن من فهم واحد منها حتى يرد عليه الآخر»<sup>3</sup>.

لقد أظهر ابن رشد عناية بحقيقة المقطع وحدوده فأجزاء الشيء ليست حدوداً لهذه الأجزاء وقد يكون حدّ الجزء حدّاً للشيء فقال: «إنّا نجد بعض الأشياء حدّ أجزاءها غير داخل في حدودها مثل حدود أجزاء الدائرة، فإنها ليست منحصرة في حدّ الدائرة وذلك أن ثلث الدائرة وربع الدائرة ليس هو داخلاً في حدّ الدائرة، ولا حدّ الدائرة منحللاً إلى حدودها، بل الدائرة مأخوذة في حدّ الجزء. وأما حدود المقاطع ففيها كلمة الحروف التي تتركب منها المقاطع، وذلك أن الحروف منها مصوّت وغير مصوت، والمصوت منه ممدود ومنه مقصور، والمقطع الذي يتألف من حرفين: مصوت وغير مصوت، فإن كان المقطع مقصوراً قيل في حدّه غنه الذي يتألف من حرفين مصوّت وغير مصوّت، فكان منحصراً في حدّه حدّ الحرف الغير مصوت والمصوت الممدود، وليس ينحصر في حدّ الدائرة حدّ نصفها ولا حدّ ربعها وذلك معروف بنفسه»<sup>4</sup>.

وبذلك يمكن القول إن ابن رشد قد عرف المقطع بالمعنى الذي اهتدى إليه المحدثون وهي فطنة عقلية امتاز بها الفكر الفلسفي اللغوي قديماً.

## 6- المنهج اللغوي عند ابن رشد:

<sup>1</sup> - الكدس: الحب المحصود، ينظر لسان العرب (كدس).

<sup>2</sup> - التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص263، نقلا عن تفسير ما بعد الطبيعة 162/2.

<sup>3</sup> - ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص254.

<sup>4</sup> - التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص263، نقلا عن تفسير ما بعد الطبيعة 891/2.

المؤكد أن ابن رشد كان فيلسوف زمانه وحمل راية الفلسفة عاليًا، وملأت عليه الفلسفة حياته، ولذلك أثار الفكر الفلسفي القائم على العقل في بقية اختصاصاته العلمية من فقه وطب وقضاء ولغة، وهذا شأن الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن طفيل، وابن حزم وغيرهم.

ومعلوم أن الفلسفة الأرسطية كانت ذات تأثير بالغ في الفكر الإسلامي، وأن المنطق الأرسطي الذي ترجم إلى العربية زاحم الفكر الإسلامي، بل ضايقه كثيرًا أن بعض الفقهاء المسلمين لما ألقهم هذا المنطق وقفوا ضده ورفعوا مقولة «من تمنطق تزندق».

إن ترجمة الفلسفة الأرسطية إلى العربية قامت على جهود مترجمين عرب غالبيتهم لا يدينون بالإسلام وقد كان منهم حتى الصائبة، ولذلك أثار هذا التوجه في ترجمة نصوص منطق أرسطو إلى العربية، فجاءت هذه الترجمات قلقة يشوبها الاضطراب وتفتقد إلى الهدوء واطمئنان العربية وأدى ذلك إلى غموض العبارات فتعسر الفهم، ولعل ذلك ما ساعد على النفور من النص الفلسفي آنذاك.

والسؤال المطروح كيف واجه ابن رشد هذه الظاهرة اللسانية وهو الفقيه والفيلسوف، والقاضي، ولعل ذلك سرّ لجوئه إلى ما عرف عنه بشرح منطق أرسطو حتى لقب بالشارح وهنا تجلّى منهجه اللغوي الذي سلكه في إبداعه الفكري والذي قام على ركائز علمية نذكر منها:

1- طريقة الشرح: لا حظ ابن رشد غموض المعنى في الشرح المتداول

على عهده لمنطق أرسطو والذي تمّ على أيدي شراح من اليونانية إلى العربية، ولم يكن ابن رشد يومها يحسن اليونانية بل كان يحسن اللاتينية، فوجد تلك النصوص مستغلقة ذات عبارات ركيكة تشوبها عوائق لا تساعد على الفهم وقد فسّر هذا القصور إما لسوء فهم

المترجم أو لنقص في لغة المترجم فلجأ حينها إلى الشرح، فجاء بما عرف عنه: "شرح ابن رشد لمنطق أرسطو"، فاضطلع بمهمة التوضيح والتفسير معتمداً على منهج يتوخى التبسيط والسهولة وتقريب الفهم بلغة عربية طيِّعة.

إن الترجمة التي تمت من اليونانية إلى العربية كان ينتابها التوعر خصوصاً وأن «بين اليونانية والعربية فرق كبير في نسج العبارات وتركيب الجمل من حيث التقديم والتأخير وصيغ الاشتقاق والجموع والحروف والنحت وتركيب الأسماء»<sup>1</sup>.

رَفَع قلق عبارة المترجمين، وتوضيح غموض أغراض أرسطو وهذا الغموض نتج عن الترجمة الحرفية والنقص في امتلاك اللُّغة العربية والتكوين الفلسفي، وقوة المعتقد لتؤدي إلى وضع لغوي معقد لا تفيد معه قواعد اللسان العربي، ولا أساليب الكتابة العربية، ويستحيل على العارف باللسان العربي وحده أن ينفذ غلى معمياته.<sup>2</sup>

إن الشرح الذي اعتمده ابن رشد لم يحدث عن طريق استبدال لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة بل لجأ إلى «تجزئة المقالة إلى فقرات متتالية متفاوتة الطول ثم يتناول الفقرة الواحدة بالتحليل جملة جملة، ولعملية الشرح عنده وجهان متعارضان ومتكاملان أحدهما استئصالي والثاني تأصيلي»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - سليمان الساني، إلياذة هوميروس، مطبعة الهلال- مصر، 1904، ط1، ص23.

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن، حول لغة ابن رشد الفلسفية، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 175، الرباط، دت، ط2، ص193.

<sup>3</sup> - لغة ابن رشد الفلسفية، موقع Naawat.org، بتاريخ 2005/03/11.

وأما الاستئصال كما يدل عليه المصطلح فقد جعل ابن رشد من أهدافه هدم البناء الفلسفي الذي شيده سابقوه من فلاسفة الإسلام كونه لم يكن ملائماً للطرح العقلاني الحقيقي الذي يتماشى مع فلسفة أرسطو وفي الوقت نفسه مع ما جاء به الدين الإسلامي لأنه دين العقل.

وأما التأصيلي فيقوم على استنتاج النصوص الأرسطية مستهدفاً الكشف عن أصالة التفكير الأرسطي وحقيقته وما انتهى إليه «أن الموجود يدل على مقولات عشر وهي: الجوهر والكم –والكيف – والإضافة –والابن –والمتى–والوضع –وله –وأن يفعل –وأن ينفعل – وأن لا يقال عليها باشتراك»<sup>1</sup>.

2- طريقة التلخيص: بعد عملية الشرح لجأ ابن رشد إلى طريقة التلخيص، وهي عملية مواجهة النص المترجم، وقد باشرها ابن رشد في كتاباته ممثلة في أمرين:

الأول/ رفع قلق المصطلح: لقد أدرك ابن رشد ما للمصطلح من تأثير بالغ في فهم العلم المراد تعلمه وهي نظرة تتم بجدارة عن تقدم فكر الرجل وتبحره، فالمصطلحات هي مفاتيح العلوم ما في ذلك شك، ونجده يقوم بعملية مسح للمصطلحات التي استعملها المترجمون لمنطق أرسطو فعمل إما على استبدالها بما يلائم اللغة العربية أو شرحها حتى يقرب دلالاتها للقارئ، ومن المصطلحات التي قام باستبدالها نذكر<sup>2</sup>:

المصطلحات الواردة في الترجمة	مصطلحات ابن رشد	ملاحظات
قول الجوهر	الحد	

<sup>1</sup> - لغة ابن رشد الفلسفية، موقع Naawat.org، بتاريخ 2005/03/11.

<sup>2</sup> - ابن رشد، شرح منطق أرسطو، ص74.

المشار	مقصود إليه بالإشارة
الجسم	المصمت
الصدق	الحقيقة
ماهية	مائية
حدّ	كلمه
الأوائل	الأمر العامية
المقطع	السُّلوبي
نما	نجم
المقاييس	الجوامع
الماهية	الكُنْة
الموجود	الهوية

ثانيا/ رفع القلق الصرفي: لا حظ ابن رشد لجوء الشرح إلى صيغ لا تساير الأنماط الصرفية العربية الأمر الذي أدى إلى قلق صرفي في اللّغة المستعملة في الشرح وبالتالي إحداث غموض في الفهم فلجأ إلى استبدال بعض الصيغ بما يناسبها في اللّغة الصحيحة فاستبدل لفظ الموجود بلفظ الوجود، واستعمل الشراح لفظ الصادق فغيره بلفظ الصدق حتى تستقيم العبارة ويتضح المعنى، ووجد عبارة: يقال على، والأحسن أن يقال: يدل على.

كما لجأ إلى الاختصار في بعض الصيغ الطويلة عن طريق حذف ما زاد فيها من ذلك قول الشراح.

المتفقة أسماؤها ← فاقترصر على: المتفقة.

المتواطئة أسماؤها ← فاقترصر على: المتواطئة.

المشتقة أسماؤها ← فاقترصر على: المشتقة.

وقام من جهة أخرى باستبدال مفردات بأخرى في مثال قوله:

الْمَتَى ~~استبدله~~ب الزمان.

الْمَعَا ← المصاحبة.

ثم دعا إلى الاستغناء عن العديد من العبارات كقولهم: يوجد هو فدعا إلى الاستغناء عنها<sup>1</sup>.

## الفصل الرابع: الممارسات اللغوية لابن مسرّة (ت319هـ) وابن الكتّاني (ت420هـ) وابن باجة (ت533هـ) وابن طفيل (ت581هـ).

- تمهيد.

1- ابن مسرّة:

1-1- حياته ومساره العلمي.

1-2- مؤلفاته.

1-3- شخصيته العلمية.

---

<sup>1</sup>- لغة ابن رشد الفلسفية ، موقع الكتروني: Naawat.org

2- المجال اللغوي عند ابن مسرّة:

2-1- القول في الحروف جملة واحد.

2-2- القول في مبدأ كل حرف.

3- ابن الكتّاني:

3-1- حياته ومساره العلمي.

3-2- جهوده البلاغية من خلال كتابه التشبيهات.

3-3- ابن الكتّاني بين الذوق الفني والموقف الفلسفي.

4- ابن باجّة:

4-1- حياته ومساره العلمي.

4-2- ابن باجّة واللغة العربية.

5- ابن طفيل:

5-1- حياته ومساره العلمي.

5-2- مدرسة ابن طفيل وأعماله.

5-3- قصة حَيّين يقظان.

5-4- المجهود اللغوي في قصة حي بن يقظان.

6- الخلاصة.

- تمهيد:

إنّ الدارس لتاريخ فلاسفة الأندلس يلاحظ ظاهرة تلفت النظر وهي أن كبار فلاسفته عاشوا في فترة واحدة تمتد من نهاية القرن الخامس إلى القرن السادس الهجريين، وأنّ العلاقات بينهم كانت قائمة وقد تكون وطيدة كما هو الشأن بين ابن طفيل وابن رشد وقد تكون معاصرة كما كان بين ابن طفيل وابن باجّة في بلاط الموحدين أيام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن.

لقد كانت هذه العلاقة علاقة كتابة وعلاقة تبادل للفكر، ففي المقدمة التي كتبها ابن طفيل لرسالته نجد قلما واضحا لابن طفيل من الطريقة التي كتب بها ابن باجة نصوصه الفلسفية، ويذكر المراكشي نصا لابن طفيل حول العلاقة العلمية بين ابن طفيل وابن رشد يقول فيها: «سمعت اليوم أمير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة أرسطو طاليس، أو عبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض أغراضه، ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها، بعد أن يفهمها جيّداً- لقرب مأخذها من الناس فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل، وإنّي لأرجو أن تفي بذلك، لما أعلمه من جودة ذهنك، وصفاء قريحتك، وقوة نزوعك إلى الصناعة، وما يمنعني من ذلك إلا ما تعلمه من كبر سنّي، واشتغالي بالخدمة، وصرف صناعتني إلى ما هو أهم عندي»<sup>1</sup>، لقد حذق الفلاسفة الأندلسيون الخليط الثقافي للأندلس، وأدركوا جيّداً أهمية اللّغة في حمل هذا المنتج، فراحوا يعتنون بقضايا اللّغة ويولونها الأهمية حتى تكون جسراً بينهم وبين متلقي أفكارهم من مريدهم وخصومهم وحكامهم.

ومن هؤلاء الفلاسفة نجد ابن مسرّة بن نجيح القرطبي الذي كان من أوائل فلاسفة الأندلس، ذي النزعة الصوفية ثم ابن طفيل الذي تعلق قلبه بالخليفة الموحي يوسف بن عبد المؤمن بن علي وكان واسطة بينه وبين ابن رشد، ثم ابن باجة الفيلسوف الذي أحب الموسيقى وأبدع في لغتها والذي استقر به المقام في نهاية المطاف بالمغرب عشرين عاما، وعمل وزيراً ليحيى بن يوسف بن تاشفين، وابن الكتّاني الذي ألف كتاب التشبيهات جمع فيه قرائح شعراء الأندلسيين في التشبيهات مبرزاً المفاضلة بينهم وأين كانت تلم المفاضلات.

<sup>1</sup> - عبد الواحد علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005، ص 354.

وإن كان هؤلاء الفلاسفة لهم تكن أعمال لغوية تخص الدرس اللغوي ذاته على غرار ابن رشد وابن حزم فإن عنايتهم باللّغة العربية وحذقهم لهما واهتمامهم بها، على أن وسيلة إبداعهم في مختلف الأجناس العلمية هي التي جعلتنا نخصص لهم هذا الفصل.

## 1- ابن مسرّة:

### 1-1- حياته ومساره العلمي:

هو محمّد بن عبد الله بن مسرّة بن نجیح القرطبي ولد عام(269هـ) في قرطبة من أب كان يمتن التجارة وينتمي إلى فرقة المعتزلة بعد أن زار البصرة والتقى برموزها هناك وتأثر بأفكارهم ودعوتهم، وساهم إلى جانب العديد من علماء الأندلس في نشر التفكير الاعتزالي<sup>1</sup>.

تعلم ابن مسرّة علوم الدين على يد والده، فشب معتزلي الفكر والمذهب يقول بقولهم ويدعو بدعوتهم توفي أبوه وعمره سبع سنوات، فنشأ متمسكا بالزهد والاعتزال ثم شرع يدعو بهذه الدعوة واجتمع حوله نفر من المريدين وأقاموا لأنفسهم مقامًا في دويرة بجبل قرطبة، وقيل إنه كان يعلمهم أراء المعتزلة في القضاء والقدر، وأن نعيم الجنة وعذاب النار لا يتعلق بالبدن وإنما بالنفس. ونسب إليه القول بوحدة الوجود<sup>2</sup>.

حمل عليه معارضون واتهموه بالإلحاد وألف أحمد بن خالد الحباب أحد فقهاء المالكية على عهده كتابا للرد عليه الأمر الذي أدّى بابن مسرّة للخروج

<sup>1</sup>- محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001، 27/2.  
<sup>2</sup>- الشيخ كامل محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص21.

من الأندلس قاصداً الحج بصحبة اثنين من تلامذته هما محمد بن المديني وابن صقيل القرطبي، ونزل القيروان ثم قصد مكة<sup>1</sup>.

وقد استفاد من هذه الرحلة استفادة كبيرة اطلع من خلالها على آراء الصوفية وعلماء الكلام.

عاد إلى قرطبة واعتزل على طريقته الأولى وواصل بث تعاليمه في طلبته سرّاً مخافة تعرضه للطعن والتكيب، ولذلك تعارضت الأقوال بشأنه، بين وصفه بالإمامة في العلم والزهد والزندقة إلى أن توفي في دويرته بقرطبة عام(319هـ) وله من العمر ما يقارب الخمسين سنة<sup>2</sup>.

### 2-1- مؤلفاته:

لابن مسرة مصنفات عديدة ضاع معظمها ولم يذكر له مترجموه منها إلا رسالة عنوانها "خواص الحروف وحقاؤها وأصولها" وقد ذكرها ابن عربي في "الفتوحات المكية" بعنوان كتاب الحروف وذكرها ابن الأبار في التكملة بعنوان "التبصرة"<sup>3</sup>.

### 3-1- شخصيته العلمية:

تذكر العديد من المراجع أن ابن مسرة تأثر بالفلسفة اليونانية ثم دعوة المعتزلة وانتهى به المقام إلى التصوف وكانت طريقته تستند إلى الحكمة الإلهية أو الاعتبار<sup>4</sup> ويقابل لفظ "الاعتبار"<sup>5</sup> عند ابن مسرة لفظ "النبأ" ويشير

<sup>1</sup> - نفسه، ص22.

<sup>2</sup> - ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام هراس، دار الفكر بيروت، 1991، ج3، ص68.

<sup>3</sup> - الشيخ كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرة الفيلسوف الزاهد، ص22.

<sup>4</sup> - نفسه، ص27.

<sup>5</sup> - الاعتبار من الفعل اعتبر يعتبر بمعنى تفكر وتأمل وأخذ العبرة من ذلك.

بذلك إلى الحقيقة العلمية التي يتوصّل إليها العقل تتفق مع الحقيقة التي يخبر بها النبيّ وعبارة ابن مسرّة «يوافق النّبأ الاعتبار»<sup>1</sup>.

«ومما يدل على أن لفظ الاعتبار في اصطلاح ابن مسرّة يمثل الأساس الفعلي الاستنباطي للبحث والسّعي وراء الحقيقة ومن الناحية فهو يرادف كلمة تفكير وكلمة تأمل وبعبارة أخرى فهو طريق الفلسفة بمعنى خاص، إن ابن مسرّة يذكر صراحة أن طريقة الاعتبار هذه هي الأساس الذي دار عليه التفكير وابتغاهالمتنطعونالمسمون بالفلاسفة بغير نية مستقيمة فأخطأوه وفصلوا عنه فتأهوا في الترهات التي لا نور فيها»<sup>2</sup>.

بنى ابن مسرّة دعوته على الوحي والعقل وبهما يتم الوصول إلى المعرفة الإلهية «يبدأ الوحي بالموجود الأعلى –الإله- ثم يهبط تدريجياً حتى يصل إلى أسفل جزء في العالم، وعلى النقيض من ذلك يسير العقل حيث يبدأ من القاع و يصعد تدريجياً حتى يصل إلى الموجود الأعلى»<sup>3</sup> وبهذا يلتقي طريق الوحي وطريق العلم في طريق واحد يؤدي إلى إثبات الحقيقة الكبرى التي يسعى الإنسان لإدراكها، يقول ابن مسرّة: «فتبيّن لك أن كل مل خلق من شيء موضوع لفكرة»<sup>4</sup>، وبذلك يكون ابن مسرّة قد ناد بأن الدّين والفلسفة لا يختلفان من حيث الغاية فهما يبحثان ويعلمان الحقيقة.

## 2- المجال اللّغوي عند ابن مسرّة:

تتمثل جهود ابن مسرّة اللّغوية في رسالته المعروفة بـ "خواص الحروف وحقائقها وأصولها"، وجدت الحديث عنها في كتاب الشيخ كامل محمد محمد

<sup>1</sup> - عفيف، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص149.

<sup>2</sup> - عفيف، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص187.

<sup>3</sup> - محمد مصطفى، في الفلسفة والأخلاق، دار الكتب الجامعية، القاهرة، ص315.

<sup>4</sup> محمد مصطفى، في الفلسفة والأخلاق، ص316.

عويضة في كتابه الموسوم: ابن مسرّة محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي الفيلسوف الزاهد، ضمن سلسلة الأعلام من الفلاسفة طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان عام 1993م.

بعد أن مهد الكاتب بتعريف لابن مسرّة وبحديث عن نزعتة الدينية ومذهبه الفلسفي بدأ يستعرض مضمون الرسالة وفيها يشرح الحروف التي في مبادئ السور القرآنية فقسم حديثه إلى عناصر بدأها بالقول على الحروف جملة واحدة، ثم القول في مبدأ كل حرف منها، فبدأ بالألف ثم اللام والميم في قوله تعالى ﴿الم﴾<sup>1</sup> في قوله تعالى ﴿المص﴾<sup>2</sup> ثم في قوله تعالى ﴿الر﴾<sup>3</sup> ثم في قوله تعالى ﴿كهيعص﴾<sup>4</sup> ثم في قوله تعالى ﴿طه﴾<sup>5</sup> ﴿طسم﴾<sup>6</sup> ﴿طس﴾<sup>7</sup> ﴿حم﴾<sup>8</sup> ﴿عسق﴾<sup>9</sup> ﴿ق﴾<sup>10</sup> ﴿ن﴾<sup>11</sup>.

## 2-1- القول في الحروف جملة واحدة:

قال في هذا الباب: «زعم أهل العلم بالباطن أنّ الحروف التي في مبادئ السور أنها أصل لجميع الأشياء ومنها أظهر الله علمه وأن منها الأنبياء»<sup>12</sup> ويحتمل هذا القول الإشارة إلى اعتبار الحروف كالناس والأمم سواء بسواء

- 
- 1- سورة البقرة الآية 01.
  - 2- سورة الأعراف الآية 01.
  - 3- سورة يوسف الآية 01.
  - 4- سورة مريم الآية 01.
  - 5- سورة طه الآية 01.
  - 6- سورة الشعراء الآية 01.
  - 7- سورة النمل الآية 01.
  - 8- سورة غافر الآية 01.
  - 9- سورة الشورى، الآية 02.
  - 10- سورة ق الآية 01.
  - 11- سورة القلم الآية 01.
  - 12- كامل محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص49.

وعلى ذلك فيكون منها الأنبياء وقد رأى ابن عربي هذا الرأي في كتابه  
الفتوحات، وتذكر العرب للحروف معاني:

فالآلف: يدل على الواحد من كل شيء وعلى الرجل الفرد.

الباء: المرأة الكثيرة الجماع.

التاء: المرأة السليطة وقيل البقرة التي تحلب دائماً.

الثاء: شيءٌ يدل على الطين.

الجيم: سرادق البيت وقيل الجمل القوي.

الحاء: الخنثى.

الخاء: شعر العانة.

السين: الحبل وقيل الكثير اللحم والشحم.

الشين: تفاح.

الصاد: صفر ويقال قدور من الصّفر.

الضاد: صوت المنخل وقيل الهدهد.

الطاء: المكان السهل.

الظاء: الكبش المسن.

العين: عين الإنسان وعين الماء والجاسوس.

الغين: العطش.

القاف: الرقبة والقفا وقيل الرجل المصلح بين القوم.

الكاف: وهو الرجل المصلح للأمر.

اللام: الدرع.

النون: الحوت.

الهاء: اللّٰهات.

الواو: الموت وقيل البعير ذو السنام.

ولام الألف (لا): النعل.

الياء: حكاية الموت وقيل حكاية الصوت<sup>1</sup>.

ذكر ابن مسرّة «أن الله تعالى ذكّرهُ وتقدّست أسماؤه جعلها (أي الحروف) ثمانية وعشرين حرفاً أربعة عشرة منها ظاهرة وأربعة عشرة باطنة، فالأربعة عشر الباطنة هي التي ذكرها الله في القرآن في أوائل السور، وهي التي أعطى الله سرّها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأطلعه على ما سببها... ولأنها دالة على حكمته»<sup>2</sup>، وقيل إن هذه الحروف المذكورة على عدد منازل القمر فهذه المنازل أربعة عشرة منها أربع عشرة ظاهرة وأربع عشرة باطنة وكذلك أيام الشهور القمرية لها زيادة ونقصان بحسب هذا العدد<sup>3</sup>.

## 2-2- القول في مبدأ كل حرف:

### أ- دلائل حرف الألف:

يستعرض ابن مسرّة دلائل هذه الحروف فيقول:

<sup>1</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، د. محمد المخزومي ود. إبراهيم السمراي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، 13/1.

<sup>2</sup> - كامل محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص50.

<sup>3</sup> - نفسه، ص50.

«اعلم أن الألف هي أول الحروف ومبدؤها وآخرها وهي المحيطة والمفصلة للأحرف غيرها، لأنها تقع أولاً وآخرها فهي كالدائرة المحيطة بما فيها، وهي كناية عن أول شيء أظهره الله تعالى وتقدست أسماؤه، هو أول الأشياء وآخرها والمحيط بها من ورائها»<sup>1</sup> وورد عن التستري في وصف حرف الألف أن الألف من الحروف كالواحد من العدد في الأصل فالألف أول الحروف وأصلها وهي مثال التكوين، ومخرج العدل ولها اشتراك مع الواو والياء في حال النطق بها وفي تعاقب الحركات عليها في حال النصب والرفع والخفض<sup>2</sup>.

ومن دلائل التوحيد في الألف أنها:

- مفردة في الابتداء بها لا تتصل بشيء من حروف المعجم.
- لا يشبهها إلا اللام إذا اتصلت في كلمة أو انفصلت فانضافت إلى الألف للشبه وهي للتعريف.
- ودليل الواحد على التوحيد من بين الحروف نظير الواحد من العدد فالواحد إذا ضربته في نفسه لم يتم ولم يزد كما زاد الاثنان في الضرب<sup>3</sup>.

**ب-دلائل حروف الهاء والهمزة والألف والواو والياء:**

خص ابن مسرّة هذه الحروف الخمسة بحديث جاء فيه: «إن تدبرن هذه الخمسة الأحرف ظاهراً وباطناً اطلعت من جهة باطنها على سرٍّ من أسرار الحكمة، وظهر لك من قبل ظاهرها أثر الصانع من أحكام الصنعة، وذلك أن الهاء إشارة إلى الأزلية فلا شيء أقرب إلى الذات من الإرادة، وإذا نطقت

<sup>1</sup>- من التراث الصوفي عند التستري مقال في مجلة العربي، العدد 517، ديسمبر 2001، ص48.

<sup>2</sup>- كامل محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص51.

<sup>3</sup>- أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة، ج1، ص56.

بالمهزة أخذت بها مخرج العدل من الوسط حدث ذلك من الألف الذي هو مثال التكوين، أي خطأ العالم بجملته، وكانت للألف من نفسها ثلاث مراتب: نفس ناطقة ونفس حيوانية ونفس نباتية، فقل إن المهزة هي العقل وهي الإرادة وإن الألف هي النفس الناطقة والواو هي النفس الحيوانية، والياء هي النفس النباتية فالألف قائمة والياء ساجدة والواو منحنية وكذلك نجد هذه القوى النفسانية الثلاث في الخلق، وذلك أن الحيوان الذي له نفس ناطقة منتصب القائمة مثل الألف وماله نفس حيوانية فقط راعٍ منحني مثل الواو، وماله نفس نباتية فهو ساجد في هيئته لأن رأسه مما يلي الأرض فقط كالنبات كله»<sup>1</sup>.

وللعلماء في تفسير الحروف التي في أوائل السور أقوال متشعبة فالجيل الأول من المفسرين بعضهم أحجم عن القول فيها فقالوا: «ولله في كل كتاب من كتبه سرٌّ، فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا نحب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها وتمرّ كما جاءت ورؤي هذا القول عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعمر وعثمان وغيرهم»<sup>2</sup>.

وقال جمع آخر: «بل نحب أن نتكلم فيها، ونلتمس الفوائد التي تحثها والمعاني التي تتخرج عليها فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحروف المقطعة في القرآن تهم الله الأعظم إلا أننا لا نعرف بأليفه منها»<sup>3</sup>.

وقال قطرب (ت206هـ) والفراء (ت207هـ) «هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحدّاهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرة الفيلسوف الزاهد، ص37.

<sup>2</sup>- أبو سعد الغامدي، الحروف المقطعة في القرآن الكريم، ص70.

<sup>3</sup>- أبو سعد الغامدي، الحروف المقطعة في القرآن الكريم، ص72.

التي بناء كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذا لم يخرج عن كلامهم»<sup>1</sup>.

وللصوفية أقوال في الحروف الأنفة التي ذكرها ابن مسرّة: فالشيخ التّستري قال في ﴿ألم﴾ ﴿الر﴾ الألف: الله، اللام: العبد والميم: محمد. وقال نجم الدين البكري (ت618هـ) الألف: الله، اللام: جبريل، والراء: الرسول، وقال الشيخ ابن منصور الحلاج (ت309هـ) الألف ألف الأزل واللام لام الأبد والميم ما بينهما والصاد اتصال من اتّصل به<sup>2</sup>.

### ت-دلائل اللّام والميم والراء وما يتلوها من الحروف:

في حديثه عن هذه الحروف قال ابن مسرّة: «اعلم أن اللّام تشبه الألف في شكلها، وهي متصلة بالألف إذا دخلت للتعريف وهي لوح الله وعلمه، والميم مشيئته وقيل ملكه وملكوته وقيل هو المكان لجميع الأشياء كلها، وهو من الصيرورة لأن فيه ظهرت صورة الأشياء وتمّت والراء لتفصيل الحركات، وهي القوة الحسية التي أظهرت الحركة وفصلت ما في الغيب، والكاف والنون وهو "الكن" وهو الأمر الذي أظهر به جميع الأشياء والهاء هو الهباء، وهي التي ألف منها الأشياء وهي واقفة تحت السكن والياء، وقيل إنها جبريل وقيل إنها الروح التي تألفت الحروف به والعين والعلم، والطاء قيل الطين الذي خلق منه آدم وقيل الفطرة وقيل طور سيناء أو طوى: هذا الموضعان اللذان أظهر الله فيهما أمره على موسى بن عمران، والسين التي في ﴿يس﴾<sup>3</sup> قيل إنها كناية

<sup>1</sup> - نفسه، ص73.

<sup>2</sup> - نفسه، ص74.

<sup>3</sup> - سورة يس الآية 01.

عن إسرائيل، والحاء هو الحق وهو الذي خلق به السماوات والأرض، والقاف قدر الله وقيل قلمه الذي كتب به الأشياء»<sup>1</sup>.

### ث-دلائل ألم:

بدأ ابن مسرّة حديثه في هذا الباب بقوله: «قال أهل العلم بالكلام الباطن» إشارة إلى مذهبه الذي كان يجمع فيه العقل بالدين وتبييناً لتتبعه آثار العلماء السالفين من فلاسفة وعلماء الكلام وفقهاء ثم ذكر «أن ألم هو اسم الله الأعظم وأن الألف إشارة إلى ذات الله تعالى، لانفراد الألف عن الاتصال، ولما كانت اللام تصحب الألف ويتصل بها عن سائر الحروف كانت دالة على الحجاب الأول والغيب المكنون وهو الاسم الذي تسمى به الله تعالى»<sup>2</sup>.

وأما الميم الذي ختمت به هذه الأحرف فقد قال عنها إنها الاسم الثابت الدال على المشاهدة فقد قال تعالى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾<sup>3</sup>، وخلص في النهاية إلى القول بأن معنى ألم: أنا الله الملك: الألف: أنا واللام الله والميم: الملك<sup>4</sup>.

### ج-دلائل المص:

أرجع ابن مسرّة دلالة هذه الحروف إلى صفات الله تعالى وبذلك يكون «الاعتبار من قوله ﴿المص﴾»<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص 56.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 58.

<sup>3</sup> - سورة التغابن الآية 18 وسورة الرعد الآية 91 وسورة المؤمنون الآية 92.

<sup>4</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص 60.

<sup>5</sup> - سورة الأعراف الآية 01.

الألف: أنا وتدل على التفرد عبر عنها يقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾<sup>1</sup>.

اللام: الله وعبر عنها بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>2</sup>.

الميم: الملك وعبر عنها بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾<sup>3</sup>.

الصاد: الصانع وعبر عنها بقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾<sup>4</sup>.

ويضيف قائلاً «ونجد ذلك ظاهراً بيّناً من اعتبار أحوال الدنيا، فإننا نجد هذه الصفات الثلاث ظاهرة للعيان، بينة موجودة في الأعيان وذلك أن أدنى صفات الإنسان: الصنّاع وأصحاب المهن تستخبرهم وتناولهم الأشياء بذواتهم، ثم نجد فوقها في المرتبة الملوك ومن لاذ بهم، من ذوي المملكة، فهم يحكمون ويصرفونهم تصريف المولى للعبيد ثم نجد مرتبة أخرى فوق ذلك وهي مرتبة الألوهية، وهي النبوة من لاذ بها وهم العلماء والحكماء، ونجد أمرهم نافذاً في المملكة»<sup>5</sup>.

### ح- دلائل الر:

<sup>1</sup> - سورة الإخلاص الآية 1+2.

<sup>2</sup> - سورة الحشر الآية 22.

<sup>3</sup> - سورة الحشر الآية 23.

<sup>4</sup> - سورة الحشر الآية 24.

<sup>5</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرة الفيلسوف الزاهد، ص61.

سبق الحديث عن الألف واللام فالألف إشارة إلى ذات الله تعالى ودال عليه واللام كناية عن لوحه وقد فصل ابن مسرة الحديث فيها كما أوردنا، وأما الراء فقد حدّها ابن مسرة «القوة المظهرة للحركة التي بها تمام الفعل، وهي جوهر الزمان وعنها تمّ الفعل، ودليل ذلك ما نص الله تعالى في القرآن في قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾<sup>1</sup> فالألف واللام هي آيات الكتاب والراء للتفصيل، وبالحركة انفطر كل شيء، ولولا هي لكانت الأشياء كلها شيئاً واحداً ونقطة واحدة»<sup>2</sup>.

أقرن ابن مسرة الرّاء في "الر" بأمر خلق الكون في ستة أيام ولذلك «تكررت في ستة مواضع ليكون دليلاً على تلك الأيام الستة وهي مدة ظهور ما في اللوح المحفوظ من مثال الخليقة ولذلك كُنّي تبارك وتعالى عن الستة أيام في أوائل السور التي ذكر فيها الر:

1- في سورة هود ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾<sup>3</sup>.

2- في سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>4</sup>.

3- في سورة الرعد ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾<sup>5</sup>.

4- في سورة يوسف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - سورة هود 01.

<sup>2</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرة الفيلسوف الزاهد، ص65.

<sup>3</sup> - سورة هود الآية 07.

<sup>4</sup> - سورة الأعراف الآية 54.

<sup>5</sup> - سورة الرعد الآية 02.

5- في سورة إبراهيم ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ﴾<sup>2</sup>.

6- في سورة الحجر ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾<sup>3</sup>.

خ- دلائل كهيعص:

أشار ابن مسرّة في تفسير هذه الأحرف أن:

- الكاف هي كاف الكن وهي الكلمة التي هي علة الكون كله وأنت في الترتيب بعد الر والمر والكلام تسبقه الإرادة والتدبير والعلم.
- والهاء بعد الكن هي الهباء وهي الحروف التي نطق الله بها من قبل الخلق ومنها تألفت الأمور الباطنة.
- والياء كناية عن ذلك الروح.
- والعين كناية عن العلم وهو المعنى الباطن الذي دل عليه ذلك الكلام.
- والصاد هو المكان الذي ظهر فيه الأثر من المؤثر<sup>4</sup>.

د- دلائل طه:

قال ابن مسرّة: «فأما طه فقيل إنها كناية عن الطور وقيل عن طوى (طويا) وهو الذي ذكر الله في هذه السورة في قوله: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾<sup>5</sup>، وقيل إنها كناية عن الطين وهو الذي خلق منه آدم وكل مخلوق على

<sup>1</sup> - سورة يوسف الآية 02.

<sup>2</sup> - سورة إبراهيم الآية 01.

<sup>3</sup> - سورة الحجر الآية 01.

<sup>4</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص 68.

<sup>5</sup> - سورة طه الآية 12.

وجه الأرض وبقوله "كُنْ" خلق منه الأشياء وكذلك قال في آدم عليه السلام: إنه خلقه من تراب ثم قال له كُنْ»<sup>1</sup>.

قال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِي «إن جميع الأشياء المخلوقات إنما حدثت من الكاف والنون، والصاد هو المكان الذي حدثت فيه المخلوقات»<sup>2</sup>.

### ذ- دلائل طسم وطس:

تتصدر هذه الحروف ثلاث سور هي:سورة الشعراء وسورة القصص (طسم)، وسورة النمل (طس).

وفيها يجري الحديث عن سيرة النبي موسى عليه السلام، ولذلك قال ابن مسرّة: «وأما طسم طس فمعناها: وحق طور سيناء، إعظاماً له، لأنه الموضع الذي أظهر الله فيه كلامه، ومن قلبه صدر الوحي إلى كل شيء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيْتُ الطَّوَّاسِينَ مِنْ أَلْوَا حِ مُوسَى»... فمعنى الطاء: طور ومعنى السين: سيناء، ومعنى الميم: موسى، وقيل إنه أقسم بالطين الذي خلق منه آدم عليه السلام، وجميع المخلوقات التي في الأرض، والسين قسم بالسموات كما قال ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>3</sup>، وقيل «إن الطواسين وطه إنما كانت أربعة، أقسم الله بها في هذه الأربعة مواضع، لأن نزول أمره تبارك وتعالى كان على أربعة أنبياء وهم معدن النبوة فنزل أمره أولاً على إبراهيم، وهو معنى قوله "طه" الطاء: طور والهاء إبراهيم ونبوته، ثم نزل بعد ذلك إلى الطور على موسى، والسين عيسى ونبوته ثم طسم وهو نزول الأمر

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرة الفيلسوف الزاهد، ص68.

<sup>2</sup>- محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001، ج2، ص51.

<sup>3</sup>- سورة الذاريات الآية 23.

وإفضاؤه إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والميم كناية عنه»<sup>1</sup>.

## ر- دلائل حم عسق:

جاء في حديث ابن مسرّة عن دلالة حم عسق:

«معنى الحاء: الحق، وهو الاسم الذي خلق الله به السموات السبع، وهذا الاسم ينقسم إلى سبعة أسماء، كل اسم منه حال في سماء وأرض يحملها ويمسكها ويقومها إلى الأجل المعلوم في العلم المكنون، ولذلك كانت الحواميم سبعا كناية عن هذه الأسماء السبعة والسموات السبع ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>2</sup>، والميم كناية عن الملك ولذلك قال: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾<sup>3</sup>، فثبت كل شيء مما في السموات والأرض إنما هو بهاتين الصفتين: الحق والملك»<sup>4</sup>، وبعد أن يتعمق في شرح قضيتي الحق والملك وينقلها إلى عالم الأرض ممثلة في لزوم قيام المجتمعات على الحق وعدل الحاكم ينتقل إلى بقية الحروف فيقول: «وأما العين والسين فهما كناية عن العلم السابق والقاف قدره النافذ، وقيل "حم" حق ما أقول ومعنى "عسق" ما أقول وأعبر وأسمع قولي: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>5</sup>، والدليل على أن الحاء من الحواميم كناية عن الحق، وذكره في أوائل هذه السور السموات والأرض السبع وأنه خلقهن بالحق وذلك قوله:

<sup>1</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص 69.

<sup>2</sup> - سورة الحجر الآية 85.

<sup>3</sup> - سورة الأنعام الآية 73.

<sup>4</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص 70.

<sup>5</sup> - سورة الشورى الآية 03.

﴿حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾<sup>1</sup> وكذلك باقي

الحواميم السبع فافهم»<sup>2</sup>.

### ز- دلالة القاف:

سبق الحديث عن حرف القاف في دلالة "عسق" ثم أفرد له ابن مسرّة حديثاً لأنه فاتحة سورة "ق" ضمن قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾<sup>3</sup> وقد قال التستري أنه حرف من حروف القلم (ق ل م) فالقاف مقدر، واللام: العدل والميم المشيئة<sup>4</sup> وجاء عند ابن مسرّة «إن القلم جامع للصفات الواردة في حروفه والله تعالى جامع للعدل والحكم والوعد والوعيد لأن اللوح ليس شيئاً غير عدله وحكمه الذي حكم»<sup>5</sup>.

### س- دلالة النون:

جاء في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>6</sup> فذكر ابن مسرّة «أنه حرف من أحرف الكنى، لما نطق الله به وقال، كان روحاً ومثلاً لجميع المخلوقات، ولما قام كان النور أسفل وهو نهاية الحركة والكون، وصار الكاف أعلى وهو موضع مندفع الحركة والأمر، وأن الكن مثال العالم وأن الأشياء كلها الموجودة المحسوسة إنما حدثت بين الكاف والنون ولذلك جعل الله النون

<sup>1</sup> - سورة الدخان الآية 03.

<sup>2</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص 71.

<sup>3</sup> - سورة ق الآية 01.

<sup>4</sup> - كامل محمد محمد عويضة، من التراث الصوفي، ص 113.

<sup>5</sup> - كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص 72.

<sup>6</sup> - سورة القلم الآية 01.

آخر الحروف التي أقسم بها وقيل النون هو النور الأعظم، وقيل أيضا إن النون هو الحوت الذي عليه قرار الأرضين وهو الحامل للأرض وما عليها»<sup>1</sup>.

وفي اقتران الكاف والنون ورد عن ابن عربي قوله:

فَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي سَمِعَنَا \*\*\* مِنْ قَوْلِ "كُنْ" مِنْهُ قَدْ خُلِقْنَا

فَظَاهِرِ الْأَمْرِ كَانَ قَوْلًا \*\*\* وَبَاطِنِ الْأَمْرِ أَنْتَ كُنْتَنَا

لَوْ لَمْ تَكُنْ ثُمَّ يَا حَبِيبِي \*\*\* إِذْ قَالَ "كُنْ" لَمْ تَكُنْ سَمِعْتَنَا<sup>2</sup>

### ش- ترتيب سور الحروف:

خاض العلماء كثيرا في قضايا الحروف فألفوا في تعاريفها وطبائعها وصفاتها، وتأملوا في مقاصدها وخصوصياتها بفكر عميق، وقد كان ابن مسرّة يرى بأن الحروف كالناس والأمم سواء بسواء وعلى ذلك يكون منها الأنبياء، ورأى ابن عربي هذا الرأي في كتابه الفتوحات فأشار بأن الحروف أصل الأشياء وهو الأرجح وقال التستري «إن الحروف هي أصل الأشياء في أول خلقها»<sup>3</sup>.

يبلغ عدد السور التي افتتحت بالحروف 29 سورة تجمع فيها نصف حروف الهجاء العربي (14 حرفا) وهي:

01	البقرة	الم
02	آل عمران	الم
03	الأعراف	المص

<sup>1</sup>- كامل محمد محمد عويضة، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، ص74.

<sup>2</sup>- ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق د عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1985، 41/3.

<sup>3</sup>- كامل محمد محمد عويضة، من التراث الصوفي، 70/1.

الر	يونس	04
الر	هود	05
الر	يوسف	06
المر	الرعد	07
الر	إبراهيم	08
الر	الحجر	09
كهيعص	مريم	10
طه	طه	11
طسم	الشعراء	12
طس	النمل	13
طسم	القصص	14
الم	العنكبوت	15
الم	الروم	16
الم	لقمان	17
الم	السجدة	18
يس	يس	19
ص	ص	20
حم	غافر	21
حم	فصلت	22
حم عسق	الشورى	23
حم	الزخرف	24
حم	الدخان	25
حم	الجاتية	26

27	الأحقاف	حم
28	ق	ق
29	القلم	ن

### 3- ابن الكتّاني:

#### 3-1- حياته ومساره العلمي:

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي القرطبي المعروف بابن الكتّاني، طبيب وشاعر وفيلسوف ولغوي من أهل قرطبة خدم الحاجب المنصور وابنه المظفر وانتقل زمن الفتنة إلى سرقسطة، أخذ الطب من عمه فكتب العديد من الرسائل كما كتب العديد من الرسائل في الأدب أهمها: نقط العروس وكتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، وله دراية واسعة بالفلسفة والمنطق الذي أخذه عن علماء الأندلس خصوصاً المجريطي<sup>1</sup>، كان دقيق الذهن، ذكي الخاطر، جيّد الفهم، حسن التوحيد والتّسبيح، وكان ذا ثروة وغنى واسع<sup>2</sup>. توفي ابن الكتّاني سنة (420هـ)

#### أ- عصره:

إذا أردنا التعرف على الفترة الزمنية التي عاش فيها ابن الكتّاني فإن ملامحها تتجلى في كتابه التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، فمعظم الشعراء الذين تناولهم ينتمون إلى عهد الأمويين وفي ذلك قال محقق الكتاب: «إن الكتاب الذي بين أيدينا يدل على أن مؤلفه لم يتجاوز عام (420هـ) إذ أن جميع الشعراء الذين ساق لهم شعراً في كتابه ينتمون إلى الفترة الأموية والعامرية

<sup>1</sup>- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1972، 326/2.

<sup>2</sup>- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، كتاب الكتروني، ص158.

وأبعدهم وفاة ابن دراج القسطلي<sup>1</sup>، وعبادة وينس بن عبد الله، إنما نالوا الشهرة الأدبية في الفترة نفسها»<sup>2</sup>.

فما يبدو من مقدمة الكتاب أن ابن الكتّاني عاش عهد الدولة الأموية وعهد الدولة العامرية، وهي أزهى فترة عرفتها الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس عرفت وفرة العلماء والمؤلفات من كتب ومخطوطات متنوعة.

### 3-2- جهوده البلاغية من خلال كتابه التشبيهات:

جاء كتاب ابن الكتّاني بعنوان: التشبيهات من أشعار أهل الأندلس في ثلاثة أجزاء، يتضمن كل جزء تشبيهات مختلفة لأبرز الشعراء الأندلسيين في جوانب متعددة، تحتوي هذه الأجزاء قطع شعرية لحوالي تسعين شاعرا، مقسمة إلى أربعة مواضيع:

1- تشبيهات خاصة بالطبيعة الأندلسية تناول فيها تشابهه تخلص النجوم، والسماء، والصبح، والمطر، والبرق والرعد والخيل والإبل والرياض والأزهار.

2- تشبيهات تختص بوصف اللّهو والمجون تصف الخمر والسقا والندامى والأقداح والكؤوس والقيان والمغنيين والمغنيات.

3- تشبيهات تتناول الجمال الإنساني في وصف جمال المرأة في شتى مناحيه الشعر الأشقر وسواد العيون والقودود والأرداف والنهود والخصور.

4- تشبيهات في الهجاء كهجاء الطفيليين والأكلة والمغنيات والنجلاء.

<sup>1</sup> - ابن الكتّاني، التشبيهات، ص11.

<sup>2</sup> - «ابن دراج القسطلي أبو عمر أحمد بن محمد بن سليمان بن عيسى من بربر صنهاجة كانت عائلته تسكن قسطة دراج غرب الأندلس شاعر فحل قال عنه الثعالبي في يتيمة الدهر «هو بالصقع الأندلسي كالمثني في صقع الشام» توفي عام 421هـ» ابن دراج القسطلي، الديوان، تحقيق محمد علي مكي، المكتب الإسلامي، 1961، مقدمة المحقق.

## 5- تشبيهات تتعلق بالطرافة والسخرية والتهكم<sup>1</sup>.

وسوف نقف على عينات من هذه الأجزاء نبرز فيها جهود ابن الكتاني في تتبع بلاغة الأندلسيين حسب ذوقه الفني الذي تأثر فيه بمنهجه الفلسفي القائم على التحليل العقلي، ولذلك سنقسم موضوعات التشابيه التي أوردها بحسب عناوين الأجزاء.

### أ/الوصف:

مال ابن الكتاني إلى ذلك الوصف العميق الذي يحمل تنوع الصور والغرابة فذكر قول الشاعر عبادة بن ماء السماء الأنصاري<sup>2</sup> في وصف الطبيعة:

كَأَنَّ السَّمَاءَ قُبَّةٌ مِنْ زُمْرُدٍ \*\*\* وَفِيهَا الدَّرَارِي مِنْ عَقِيقٍ مَسَامِرٍ<sup>3</sup>

وهو تشبيه علمي لا مجال للخيال فيه ولا مزايدة في بعده الفني، فالزمرد نوع من الأحجار الكريمة شفاف ذو لون أخضر بلوري والدراري نجوم كاللؤلؤ شددت في السماء، وبذلك يكون ابن الكتاني قد صادق في هذا التشبيه ما ملأ عليه ذوقه الفني القائم على العلم وعمق المعنى.

ويذكر أيضا ما يدل على الوصف من أشعار أهل الأندلس ما قدمه الشاعر

أبوبكر يحيى بن هذيل في وصف الرياض فيقول:

<sup>1</sup> - ابن الكتاني، كتاب التشبيهات، ص17.

<sup>2</sup> - كان من كبار شعراء العامريين وله دور كبير في تهذيب الوشحات توفي بمالقة عام 422هـ وله كتاب بعنوان: أخبار شعراء الأندلس، ينظر المقرئ، نوح الطيب، دار صادر - بيروت، المجلد 2، ص28.

<sup>3</sup> - ابن الكتاني، كتاب التشبيهات، ص19.

والرَّوْضُ قَدْ أَلْفَ النَّدى فَكَأَنَّهُ \*\*\* عَيْنٌ تَوْقَفَ دَمْعَهَا لِرَقِيبِ  
مُتَخَالِفِ الْأَلْوَانِ يَجْمَعُ شَمْلَهُ \*\*\* رِيحَانِ رِيحُ صَبَا وَرِيحُ جَنُوبِ  
فَكَأَنَّمَا الصَّفْرَاءُ إِذْ تَوَمِّي إِلَى \*\*\* الْبَيْضَاءِ صَبُّ جَانِحِ لِحَبِيبِ<sup>1</sup>

فهنا يشبه الأرض الخضراء المزينة بالأزهار والنباتات التي ألفت الندى  
بالعين التي توقفت عن البكاء عندما رأت ذلك الجمال والأزهار الملونة التي  
تجمعها ريح الصبا وريح الجنوب.

ويورد ابن الكتاني في الوصف بيتا لأحمد بن دراج وهو يصف قصر  
السُرور بالزاهرة:

دَارُ السُّرُورِ الْمَعْتَلِي شُرْفَاتُهَا \*\*\* فَوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرِ فِي إِسْتِعْلَائِهَا<sup>2</sup>

فهو يشبه قصر السورور بالزاهرة الذي يتميز بشرفاته المرتفعة كارتفاع  
السماء وكأنه بذلك يضاهاى النجوم من حيث درجة علوها.

ويذكر تشبيها للخمرة لأحمد بن عبد ربه يقول فيه:

وَرْدَاعَةٌ بِأَنْفَاسِ الْعَبِيرِ \*\*\* مُقَنَّعَةٌ الْمَفَارِقِ بِالْقَتِيرِ

جَانَّتْهَا الْكَأْسُ فَاطَّلَعَتْ عَلَيْنَا \*\*\* طُلُوعِ الْبَكْرِ فِي حُلِّ الْحَرِيرِ

كَأَنَّ كُؤُوسَهَا يَحْمِلُنَّ مِنْهَا \*\*\* شُمُوسًا خَلَعَ الْبُدُورِ<sup>3</sup>

فهو يشبه الخمرة مع الكؤوس التي ترافقها في أثناء الدخول بها إلى  
المجالس بتلك الشمس التي ارتدت ثياباً من البدر فزادتها جمالاً وبهاءً.

## ب/الغزل:

<sup>1</sup>- ابن الكتاني، كتاب التشبيهات ، ص49.

<sup>2</sup>- نفسه، ص67.

<sup>3</sup>- ابن الكتاني، كتاب التشبيهات ، ص88.

ازدهر غرض الغزل بالأندلس بشكل لافت ومثير نظراً لتوفر العوامل المساعدة من طبيعة ساحرة وحدائق غناء، وقصور فاخرة، وعيش رغدٍ ولذلك أورد ابن الكتاني تشبيهات يتناول فيها الصنعة والجمال الفني.

من ذلك قول أحمد بن عبد ربّه مشبهاً محبوبته بالبدر بعد أن وصفها بالتريقة والدمية والظبية:

تريكةٌ أدجِيٌّ وُدرةٌ غائِصٍ \*\*\* ودُمِيَّةٌ محرَّابٍ وظبِيَّةٌ قانِصِ  
هُوَ البَدْرُ إِلَّا أَنَّنِي كُلَّ لَيْلَةٍ \*\*\* أَرَى البَدْرَ مَنْقُوصًا وَلَيْسَ بِنَاقِصٍ<sup>1</sup>

نلاحظ أن الشاعر لجأ إلى استخدام الأيحاء وهذا يدل على أن هذه المرأة ليست عادية لذلك شبهها بالبدر فهو يصفها بأجمل الصفات وأحسنها مما جعله يجنح إلى المبالغة.

ومن التشبيهات المثيرة التي أوردها ابن الكتاني ما جاء على لسان الشاعر عبد الملك بن جهور الذي يصف مشي امرأة ويصفها بأحسن العبارات فيقول:

أَقْبَلْتُ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ بِنَفْسَجِيٍّ \*\*\* كَالسَّوْسَنِ الأَرَجِ النَّقِيِّ الأَبْهَجِ  
كَالرَوْضِ حُسْنًا قَدْ تَشْرَبَ مَأْوُهُ \*\*\* فَبَدَائِهِ مِنْ كُلِّ حَسَنِ مُبْهَجٍ<sup>2</sup>.

### ت/الهجاء:

وهو من الأغراض الشائعة في الشعر العربي، يتناول فيه الشاعر بالذم والتشهير عيوب خصمه المعنوية والجسمية وهو نقيض المدح.

<sup>1</sup> - نفسه، ص122.

<sup>2</sup> - ابن الكتاني، كتاب التشبيهات، ص142.

وإن الدارس لكتاب التشبيهات لابن الكتّاني يلاحظ قلة هذا الغرض بالمقارنة مع الأغراض الأخرى، ولعل سبب ذلك هو تغيير التوجه الفكري والأدبي في البيئة الأندلسية نظرًا لما بلغه الأندلسيون من تحضّر وتمدن شغلهم عن النظر في عيوب بعضهم بعضاً، ومن المعاني التي أوردتها هي قول الشاعر محمد بن شخيص في ذم البخلاء حيث شبه هؤلاء بالحمير وهم يتمنعون في العطاء فقال:

قُسْتُ بِالشُّعْرِ مَعْشَرًا فَإِذَا هُمْ \*\*\* صُورُ الْإِنْسِ فِي طِبَاعِ الْحَمِيرِ  
كُلَّمَا جِئْتُهُمْ لِأُنْشِدَ شِعْرِي \*\*\* طَمَعًا مِنْ نَوَالِهِمْ بِالْيَسِيرِ  
فَكَأَنِّي وَضَعْتُ فَلَكَ بُوقٍ \*\*\* فِي فَمِي أَوْ ضَعَطْتُ أَنْبُوبَ كَيْرِ

ثم يورد ويهجو النساء المغنيات فيستعمل الشاعر في ذلك تشبيها لاذعا فيقول:

جِرْدَاءُ صَلْعَاءُ لَمْ يُبْقِ الزَّمَانُ لَهَا \*\*\* إِلَّا لِسَانًا مُلِحًا بِالْمَلَامَاتِ  
لَطَمْتُهَا لَطْمَةً طَارَتْ عَمَامَتُهَا \*\*\* عَنِ صَلْعَةٍ لَيْسَ فِيهَا خَمْسُ شَعْرَاتِ.  
ث/الطرافة:

أبدى الأندلسيون اهتماما بهذا الغرض نظرًا للطابع الحضاري الذي عرفه المجتمع الأندلسي، وحملت ملامحه صفات التجديد ولذلك خصّه ابن الكتّاني بالذكر فأورد بعض التشبيهات التي عالجت هذا الجانب على قلتها، ومن بينها ما ذكره الشاعر عبيد يلس الكاتب في معرض حديثه عن اللّحية فقال متهكما:

يَا مَنْ عَلَيْهِ لِلْعَلَا تَاجٌ \*\*\* إِنِّي إِلَى اللَّحِيَةِ مُحْتَاجُ

وَعِنْدَكُمْ فِي وَشَقَّةٍ \*\*\* يَحْمِلُهَا الْمَائِقُ حَجَّاجٌ<sup>1</sup>

ويقول في موضع آخر:

للتَّعْرِ فِي جَانِبِهَا \*\*\* مَسْرَحٌ فِيهِ مِنَ الْأَنْعَامِ أَرْوَاجُ  
وَمِنْ صُنُوفِ الطَّيْرِ فِي بَعْضِهَا \*\*\* بَطٌّ وَسَمَّانٌ وَدِرَّاجُ  
يَسِيلُ مِنْ شَارِبِهِ فَوْقَهَا \*\*\* سَلْحٌ غَزِيرُ الْقَطْرِ ثَجَّاجُ  
لِلْبَقِّ فِي عَثُونِهِ مَكْمَرٌ \*\*\* وَمِنْ دَبِيبِ الْقَمْلِ أَفْوَاجُ  
إِذَا مَشَى تَبَصَّرُ أَفْوَاجَهَا \*\*\* كَأَنَّهَا فِي الْبَحْرِ أَمْوَاجُ  
يَعْقُدُهَا فِي شَعْرٍ وَجَعَّائِهِ \*\*\* فَهُوَ إِذَا مَا شَاءَ صَنَّاجُ<sup>2</sup>

وفي الاتجاه نفسه يشبهه الشاعر أحمد بن نعيم لحية أحد رجال الدولة العامرية فيقول:

كَأَنَّ لِحْيَتَهُ مَعْرُوشَةٌ غُرِسَتْ \*\*\* فِي عَارِضِي قِرْدَةٍ مِنْ ذَيْلِ خَنْزِيرٍ<sup>3</sup>

ومن باب الدعابة والمرح ذكر ابن الكتاني تشبيها للشاعر مؤمن سعيد وهو يشبه نفسه بالتيس الذي أرقه طول العمر فقال:

فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِيتُ أَحْمِلُ لِحْيَةً \*\*\* إِلَيْكَ لَهَا خَطْبٌ وَشَأْنٌ مِنَ الشَّانِ  
كَأَنِّي تَيْسٌ قَدْ تَطَاوَلَ عُمُرُهُ \*\*\* وَأَفْنَى فُنُونًا مِنْ تَيْسٍ وَجِدْيَانٍ<sup>4</sup>

### 3-3- ابن الكتاني بين الذوق الفني والموقف الفلسفي:

لقد رصد ابن الكتاني مجموعة من تشبيهات الأندلسيين في العديد من الأغراض وهو بذلك مدفوع في جانب بالذوق الفني الذي يمكن أن يتأثر به كل

<sup>1</sup> - ابن الكتاني، كتاب التشبيهات، ص 261.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 262.

<sup>3</sup> - ابن الكتاني، كتاب التشبيهات، ص 264.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 263.

قارئ للشعر ويعجب بالصور الفنية التي تعبر عن المدح والهجاء والطرافة والتندر وروح المداعبة والسخرية، وهذا دليل على أن ابن الكتّاني كان مهتما بالحركة الثقافية الأندلسية من أجل تأكيد استقلاليتها الفكرية والأدبية، ولما لا يكون ابن الكتّاني قد خاض في مجالات أدبية أخرى وقد تكون أعماله قد ضاعت ولم يصلنا منها شيء.

وإن نحن تأملنا النماذج التي أوردها ابن الكتّاني نجد أن جلها يتوفر على مفردات ليس من السهل فك دلالتها وعلى صور تحتاج إلى مراس فني للوقوف على طابعها، والتفسير الذي نورده لذلك يرجع بالدرجة الأولى للمستوى الثقافي والفني للمؤلف الذي كان على صلة دائمة بالحركة العلمية والثقافية في بلاد الأندلس فهو الفيلسوف الذي ينتبه لكل شيء في محيطه.

أما إذا رجعنا إلى منهج الكتاب فإنه قد عكس فعلاً الذوق العلمي والفني للمؤلف، فابن الكتّاني وهو يستعرض هذه التشابيه إنما أراد إبراز براعة شعراء الأندلس في إصدار صور فنية عالية تعكس ثقافتهم وذوقهم الذي يصور البيئة الأندلسية بجميع مكوناتها الفنية والعلمية والحضارية، ومن باب آخر يريد ابن الكتّاني الخوض في غمار الحديث عن الأخلاق والطباع من كرم وبخل وهجاء وسخرية وذكر للموت والهزم والشيب.

#### 4- ابن باجة:

#### 4-1- حياته ومساره العلمي:

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ بن باجة التّجيبى ولد في سرقسطة عام (487هـ) وتوفي بفاس عام (533هـ) عمل وزيراً في دولة المرابطين، اهتم بالفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والطب والآداب والموسيقى.

كتب ابن باجة في الطب والفلسفة والفلك، وكان لكتابه أثر عظيم على ابن رشد فقد بنى فلسفته على العقل وعلى أسس الرياضيات والطبيعات فنزع عن الفلسفة الإسلامية سيطرة الجدل، وفصل الفلسفة عن الدين في أبحاثه، وانصرف إلى العقل ولهذا اتهم بالإلحاد والخروج عن تعاليم الدين وقد لام أبا حامد الغزالي لميله إلى التصوف<sup>1</sup>.

#### 4-2- ابن باجة واللغة العربية:

مما يلفت نظر الباحث المدقق في سيرة ابن باجة وحياته عدم إلمامه بلغة غير العربية على غرار معظم فلاسفة الأندلس كابن رشد وابن طفيل، فهل كان هذا ازدياداً للغات الأخرى واكتفاءً بما تضمنته اللغة العربية آنذاك من الآداب والعلوم.

«لقد كان لابن باجة اهتمام كبير بطبيعة الكتابة الفلسفية ونصوصها فهو مثلاً يحرص على بيان أن ما يعثور النصوص الأرسطية من شكوك ناتج عن تعدد نسخها»<sup>2</sup>

لقد انشغل ابن باجة بإعادة تقويم العبارة الفلسفية وإعادة صياغتها وترتيبها وحرص على الإتيان بشرح وإيضاح وتفسير مضامين المنطق الأرسطي، وأخذ الهوس بالتعاريف التي يمكنه من دراستها باللغة العربية وأما كتبه الطبية فقد خلفها ابن رشد في شكل مقالات وتعليق قام فيها بشرح كتاب الفصول لأبقراط، ويستعمل لغة سليمة يسرد فيها منهجه في الشرح فيقول: «ولنشرع في شرح ما أثبت في هذا الكتاب بأن نثبت ونشرح قوله بأن نحصي دلالاته المشهورة عندنا، ونتأمل مدلولاته، فما كان منه طبيياً بوجه ما وضعناه وأرشدنا إليه، وما لم يكن طبيياً بوجه من الوجوه لم نذكره، ثم ننظر في تلك

<sup>1</sup>- كتاب المعرفة، ص24.

<sup>2</sup>- ابن باجة، شروح السماع الطبيعي، تحقيق معن زيادة، دار الكندي، بيروت، 1962، ص58.

المعاني التي يمكن أن تخطر بالبال عن تلك الألفاظ أيها أليق بالموضوع وأولى أن توضع ويدل عليها، ثم نتأمل جملة القول وننظر هل ينبغي أن نجعل فصلاً وحده، أم هل ينبغي أن يزداد إليه شيء من الفصل الذي بعده فيكون أحقّ وأولى أن يكون فصلاً، وأن يكون معدّاً نحو الغرض الذي رسمناه له»<sup>1</sup>.

إن هذا النص يرسم لونا من ألوان تعامل ابن باجة مع لنصوص التي كان يعكف على شرحها، فهو يحدد أهدافه التي كان يوحى إليها بدقة متناهية ويرسم خطته الأولية، ثم يبرز كيف كان يعنى العقل وكيف يتمعن، وبذلك نجده يبذل جهوداً لغوية تتمثل في اختيار الألفاظ التي يمكنها أن تعمل المعنى وتحقق الدلالة المقصودة وهذا ما يفهم ضمناً حين كان يعرض منهجه في الشرح.

ولابن باجة كتابات تخص أيضاً إمامه بالموسيقى فيورد نصاً يشرح فيه إمامه بهذا الفن مستعملاً لغة دقيقة يقول: «وأما صناعة الموسيقى فإنني زاولتها حتى بلغت فيها مبلغاً رضيته لنفسى، ثم بعد ذلك صناعة الهيئة فإنني أكملت فيها الكمال الذي يقتضيه ما وجدته من مبادئها وفي أثناء ذلك تحققت أن كل من يذكر هذه الصناعة بالكمال، ثم لم يُحط فيها إلا بالتأني واليسير وأتقن ذلك، سفر إلى إشبيلية وذلك بعد إكمال نظري فيها، فإن كل من يدعي هذه الصناعة ففي إشبيلية مستقره وإليها مصدره، وفي أثناء ذلك توضحت منى أبي نصر<sup>2</sup> في ضروب البرهان التي عددها فإن ذلك كان بقي علي فقط فاستوضحته منذ قريب، ثم تجردت للنظر الطبيعي وأنا لا أقدم عليه عملاً»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن باجة، شرح كتاب الفصول لأبقرط، ص183.

<sup>2</sup> - يقصد أبا نصر الفارابي.

<sup>3</sup> - ابن باجة، رسائل فلسفية، تحقيق جمال الدين العلوي، المغرب، 1983، ص77.

وهكذا نجد ابن باجة ينشئ نصوصاً ويكتب رسائل في كل ما كان يستأثر اهتماماً، وقد حفلت مخلفاته على قلتها بمجموعة من المقالات في العديد من العلوم التي بلغ فيها شأنًا كبيراً.

## 5- ابن طفيل:

### 1-5- حياته ومساره العلمي:

هو أبوبكر محمد بن عبد الله بن طفيل ولد في قادش بالأندلس في أوائل القرن السادس الهجري، وتوفي عام (581هـ) بمراكش.

وهو من الفكرين العرب الذين خلفوا أثراً خالداً في العديد من الميادين منها الفلسفة والأدب والرياضيات والطب والفلك، تبنوا مركز الوزارة لدى الأمير ابن يعقوب يوسف عبد المؤمن أحد أمراء الموحدين المشهورين، وقد كان لهذا الأمير الفضل الأكبر في إظهار مزايا ابن طفيل الفكرية والعلمية<sup>1</sup>.

### 2-5- مدرسة ابن طفيل:

اشتغل ابن طفيل بالفلسفة والعلم وأنشأ لنفسه مدرسة تعتمد على تنبيه المواهب عن طريق التفكير والتأمل وبذلك كان يحث طلابه وأتباعه، كما اشتغل بالفلك، وحث ابن رشد على شرح كتاب أرسطو وتلخيصه.

كان ابن طفيل يرى أن العلاقات القائمة بين الفرد والمجتمع ينبغي أن تؤخذ بالتجربة لأن الإنسان يستطيع أن يفهم أسرار العلم المادي والأخلاق عن طريق التجارب المتكررة كما في قصة حي بن يقظان، يقرر ابن طفيل مسؤولية الإنسان إذا هو سكت عن الخطأ الذي يراه، ولم يعمل على إصلاحه، وعلى المرء أن يسير في الطريق التي تضمن صالح المجموع وخير الجماعة

<sup>1</sup> - موسوعة المعرفة، كتاب شخصيات عربية، ص35.

وحمل الإنسان مسؤولية السكوت عن المنكر لأن الأخلاق توجب عليه إصلاح الخطأ وإزالة أسبابه وعدم الاستجابة للمظالم<sup>1</sup>.

### - أعمال ابن طفيل:

من أعظم أعمال ابن طفيل قصة حي بن يقظان التي تعد بحق مفخرة الفلسفة الإسلامية والتي تضمنت فكر ابن طفيل وفلسفته وعكست نظريته تجاه الكون والخلق، كما نجد له نقدًا لنظرية بطليموس في الفلك، ونقد أيضًا لفلسفة الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد.

### 3-5- قصة حي بن يقظان:

تضمنت هذه القصة فلسفة ابن طفيل وآراءه ونظرياته: تدور أحداثها في جزيرة مهجورة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء وفي وسط ظروف طبيعية، ولد طفل من بطن تلك الجزيرة من أم كانت أميرة مضطهدة في جزيرة مجاورة، فاستودعت ابنها الأمواج تنجيه من الموت -بعد أن أحكمت وضعه في تابوت- هذا الطفل هو حي بن يقظان فتبنته غزالة وأرضعته وصارت له أمًا، ونما "حي" وأخذ يلاحظ ويتأهل وعرف كيف يقوم بحاجات نفسه وبالملاحظة والتفكير استطاع أن يدرك أرفع حقائق الطبيعة وما وراءها.

وعندما بلغ هذا المبلغ لقي رجلًا تقيا يسمى "أسال" أقبل من جزيرة مجاورة إلى هذه الجزيرة يحسبها خلاء من الناس وقام "أسال" بتعليم الكلام لصاحبه المنفرد بنفسه والذي لقيه دون أن يتوقع ذلك. لم يلبث أن وجد في الطريق الفلسفي الذي ابتكره "حي" لنفسه تعليلاً علويًا للدين الذي كان يعتقد ثم أخذ "أسال" صاحبه إلى الجزيرة المجاورة وكان يحكمها ملك عادل يسمى

<sup>1</sup>- فؤاد بن أحمد، الفلسفة والفشل عند ابن طفيل، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص31.

"سلامان" صديقا لأسال، فطلب إليه أن يكشف لأهل الجزيرة عن الحقائق العليا التي وصل إليها فلم يوفق عند ذلك أدرك حي وصديقه أسال أن الحقيقة الخالصة لم تخلق للعوام إذ أنهم مكبلون بأغلال الحواس، وكانت نتيجة هذا أن قرار اعتزال هؤلاء الناس المساكين إلى الأبد ونصحهم بالاستمساك بأديان آبائهم، وعاد حي وصاحبه إلى الجزيرة لينعما بهذه الحياة الرفيعة الإلهية الخالصة التي لا يدركها إلا القلائل من الناس.

### - ما تضمنته القصة من أحكام:

أراد ابن طفيل بقصته "حي بن يقظان" أن يقدم بديلا لما هو سائد في عصره، ولم يكن يرضيه أن يظلّ هذا الحال على ما هو عليه ويبدو أنه كان يبحث عن منهج يسلكه ليمدّ يد المساعدة لمجتمعه، فما لم يقدر أن يصرح به رمز له بالأحداث التصاعديّة في قصته وبذلك دعا إلى:

- 1- أن العقل مصدر الإلزام الخلقى وبه يتم إدراك أسس الفضائل وأصول الأخلاق العملية على المستويين الفردي والاجتماعي.
- 2- لا تعارض بين العقل والدين (الشريعة والفلسفة) فما يدركه العقل من وجوه الخير والحق والجمال هو نفسه ما أمر به الشرع الحنيف، وإن وجد فرق فهو في كيفية الأداء.
- 3- كفاءة العقل على إدراك وجود الله حتى لو لم تقدم له يد المساعدة من تعليم وتربية.
- 4- لا بد من التسليم بمحدودية القدرة العقلية فهو لا يجيب عن الأسئلة التي تضايق الإنسان.

5- الناس مختلفون الخاصة والعامة لذلك ألحّ الشرع على مخاطبة الناس حسب عقولهم<sup>1</sup>.

6- إبراز وظيفة اللّغة في إحداث الاتصال بالغير، فأسال علو حي الكلام ولولا يتعلم اللّغة ما كان يقدر على حمل الأفكار ولا فهم الأشياء ولا إدراك محيطه.

#### 4-5- المجهود اللّغوي في قصة حي بن يقظان:

تمثل قصّة حي بن يقظان واحدة من النصوص الرئيسية في تاريخ النثر العربي، فهي شديدة الثراء تتنازعها عدة مجالات مثل تاريخ الأفكار والمذاهب الفلسفية والمعتقدات المذهبية والأوضاع الاجتماعية.

وإن قوة الوعي الذي كان يملكه ابن طفيل صرفه إلى التحكم الباهر في اللّغة فاستطاع أن يذهب بعيداً في رسم خيال خلاق ومبدع، فاستحضر عالم الخيال والرمز لعرض أفكاره الفلسفية والتعبير عنها في قالب فني رائع، وقد لجأ إلى هذا النوع من الأسلوب قبل ابن طفيل فلاسفة اليونان خصوصاً أفلاطون في جمهوريته المثالية والمعري في رسالة الغفران وابن سينا، إلا أن قصة حي بن يقظان تمثل القمة في مثل هذا العمل الفكري.

وبذلك غدت هذه القصة تجربة رائدة في كتابة القصة الفلسفية في زمن عرف أزمة الخطاب الفلسفي<sup>2</sup> وجفافه في بلاد الأندلس، ولعل ذلك ما جعل ابن طفيل يلجأ إلى الرمز للتعمية، مما أضفى على الكتابة طابع القلق والغموض.

وظّف ابن طفيل عناصر القصة توظيفاً جيّداً ساعدته في ذلك قدراته اللّغوية والفكرية فجاء بشخصيات تتناسب مع الطرح الذي يريده.

<sup>1</sup> - فؤاد بن أحمد، الفلسفة والفشل عند ابن طفيل، ص122.

<sup>2</sup> - في عصره نكل بالفلاسفة المسلمين وتعرضوا للسجن والنفي والتكيل وأحرقت كتبهم وهذا ما حدث لابن حزم ولابن رشد ولابن باجة وغيرهم.

فبطل القصة هو حي بن يقظان وقد هداه عقله إلى هذه التسمية، فاسم حي من الحياة، حياة الجسد، وحياة العقل، ويقظان من اليقظة وهي الفطنة والدراية الموصولتان إلى الإدراك ومعرفة الحقائق كما هي، ثم شخصية أسال وهو علم أعجمي يتناسب مع المكان الذي اختاره لجريان أحداث القصة في جزيرة منعزلة يحيط بها البحر ثم سلامان الملك العادل الذي كان يحكم الجزيرة المجاورة وعنده الأمان والسلم وبهما نَعَمَ كل من حي وأسال.

وأما الراوي فقد مثله قلمه أحسن تمثيل قدم فيه بيئة القصة وزمانها ووصف الشخصيات وتتابع الأحداث، وما أحاط بها من عبر وأدلة ذات إيحاء فكري ومعتقداتي لا يتفطن إليه إلا ذوو الاطلاع الواسع والفكر الوقاد، لقد كان ابن طفيل يتحدث في هذه الجزيرة الجديدة عن الفلسفة المشرقية التي لم يستطع حي وصاحبه أسال قولبتها في مفاهيم من شأنها أن تفيد عامة السكان وفي النهاية يدركان أن خطابهما لم يتم استيعابه من لدن عامة الناس، وتلك من الأفكار التي أراد ابن طفيل أن تحملها لغة القصة.

لقد اتسعت العبارة اللغوية في القصة وبينت أن حي بن يقظان وصديقه أسال فشلا في إقناع أهل الجزيرة الثانية بأن معتقداتهم هي مجرد مثالات ورموز للحقيقة المباشرة التي اكتشفها بالعقل.

وعودتهما إلى الجزيرة الأولى يعني فشل المدرسة الفلسفية في المشرق التي بلغت أوجهها مع ابن سينا والفارابي والكندي في محاولتها الرامية إلى دمج الدين في الفلسفة<sup>1</sup>.

وفي التفريق بين مستوى العامة والخاصة من الناس يقول الراوي «وأعلمه أسال أن تلك الطائفة هم أقرب إلى الفهم والذكاء من جميع الناس وأنه

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، نحن والتراث، ص 364.

إن عجز عن تعليمهم فهو عن تعليم الجمهور أعجز»<sup>1</sup>، أسلوب لغوي متين، بناء صرفي مفيد ذكر اسمين من أسماء التفضيل: أقرب، أعجز، وأسلوب شرط، وأدوات الربط والجرّ، فتمكن من إحداث تناسق أفضى إلى نتيجة دلالية، لقد تنبه ابن طفيل إلى ما يمكن أن يؤديه الفن اللغوي في التعبير عن فكره الفلسفي، فكان أن أحسن استخدام اللّغة، فجاءت القصة وقدمت لنا فكرة الفيلسوف الأديب الطيب.

استهل ابن طفيل قصته بذكر حقائق علمية تخص حقائق فلكية فتحدث عن طبيعة الأرض وتعريف الشمس ومصدر الحرارة والنور والظلمة ثم كيف يدرك العقل وبماذا ثم راح يتحدث عن الفلسفة التي وصلت الأندلس من كتب أرسطو والفارابي وأشار بأنها لا تفي بالعرض الذي أرادته وأن الأندلسيين شغلوا أنفسهم بعلوم التعاليم وبلغوا فيها مبلغاً رفيعاً ولم يقدرُوا على أكثر من ذلك.

وراح بعد ذلك يستعرض ما ألف في المنطق والفلسفة ويذكر العيوب والنقائص التي وقع فيها العلماء والحاجة الماسّة إلى إعادة النظر في كل ما تم التوصل إليه.

بعد ذلك شرع في سرد أحداث القصة في إطارها المكاني والزماني الذين حددهما عن طريق الحكي. كل ذلك بأسلوب رصين وعبارات محكمة ومعجم لغوي متنوع ضمنه حقولاً دلالية متنوعة منها:

6- الحقل الجغرافي: وفيه استعمل كلمات مثل: الجزيرة -الهند -جزر الواقواق-خط الاستواء -اليم -ساحر البحر -المد والجزر -الأرض - الكوكب -الشمس -الهواء -الماء - التراب -المطر -الرياح...

<sup>1</sup> - ابن طفيل، قصة حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، دار الآفاق- بيروت، ط5، 1992، ص163.

7- حقل الحيوانات: الطيبة - الغزال - الطيور - العقاب - ذات الحوافر - ذوات المخالب - النمر - ذوات القرون - القردة - الوحوش...

8- حقل أسماء الأعلام: يقظان - حي بن يقظان - أسال - سلامان.

9- حقل الأخلاق: ويتمثل في المحبة - الحنان - العاطفة - الجميل - المساعدة - الإطعام - الطهارة - إزالة الدنس - التنظيف - الاغتسال.

## 6- الخلاصة:

استلهمنا في هذا الفصل جهودًا في الاستعمال اللغوي مثيرةً للانتباه والبحث، فقد مال هؤلاء الفلاسفة إلى اللغة العلمية التي تجنح إلى الشرح والتحليل واستعمال الحجة والجمع بين لغة العقل ولغة العواطف ولغة الذات ولغة الموضوع وقد كان ابن طفيل يقول: «إن كلامنا فوق هذا كله»<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> - ابن طفيل، حي بن يقظان، ص210.

# الختام

## الخاتمة:

بعد هذا التطواف في رحاب الحوزة العلمية الأندلسية، وبعد استعراض للجهود العلمية لفلاسفة الأندلس حيث كان همنا أن نعرض أعمال هؤلاء في الدرس اللغوي، ثم التوصل إلى النتائج الآتية:

1- لقد كان همّ الفلاسفة الأندلسيين الدفع بالأمة إلى التفكير والإقبال على النظر وإعمال العقل في كل شيء.

2- أخضع فلاسفة الأندلس دراسة الظواهر اللغوية للعقل والمنطق، فكانوا ينطلقون من المقدمات فينتهون إلى نتائج لها دلالاتها العلمية والفلسفية واللغوية، وأقل ما يقال عنها إنها عكست ثقافتهم الشمولية والموسوعية.

3- قامت طريقة الفلاسفة الأندلسيين في دراسة اللغة على:

أ- النظرة العلمية للغة.

ب- المسافة التاريخية للغة.

ت- السياق المعرفي.

ث- التطور العلمي.

4- تبنى الفلاسفة الأندلسيون منهجًا غير المنهج المعتاد عند اللغويين والنحاة.

5- إذا كانت الشهرة بالفلسفة قد غلبت على هؤلاء العلماء فإن مرجع ذلك لم يكن لإلماماتهم لهذا الفن في عصرهم وإنما لغلبة التفلسف عليهم في كل فن أو علم كتبوا فيه فقد فلسفوا الدرس اللغوي واستعملوا العقل قبل الرواية والنقل وقد كانت الدراية أغلب عليهم من الرواية.

6- تبنى فلاسفة الأندلس منهجًا استخلصوه من معيار النظر الإسلامي للأشياء الذي يتوخى الإصابة في غير نُبوّة ويتبنى العقل بصرف النظر عن دين صاحبه (الكتاب والحكمة).

7- يتفق الفلاسفة الأندلسيين ونحاة الأندلس في كثير من جوانب الدرس التحويلي من ذلك نظرة ابن رشد وابن مضاء القرطبي لطبيعة النحو العربي، فإن كان ابن مضاء قد ثار على القياس والعلة ونظرية العامة فقد رأى ابن رشد في النحو قضايا زائدة قد لا تخدم اللغة فألف كتاب الضروري في صناعة النحو.

8- تبنى فلاسفة الأندلس المنهج العقلاني القائم على التحليل والنظر الثاقب للاستعمال اللغوي.

9- أدرك فلاسفة الأندلس أهمية اللغة ودورها في حمل الخليط الثقافي الأندلسي فراحوا يعتنون بقضاياها ويعملون على البحث في مستوياتها حتى تكون جسراً ناجحاً في حمل هذا المنتج وإيصاله إلى المتلقين من أتباعهم وحتى تكون في مستوى نقل أفكارهم إلى مريديهم وخصومهم وحكامهم.

10- إنَّ آراء فلاسفة الأندلس ومذاهبهم اللغوية التي قيدها أهل هذه الصناعة لا تخرج عن اجتهادات أترابهم المشاركة من أمثال الفارابي وابن سينا.

11- أدرك فلاسفة الأندلس أن اللغة العربية لا يمكنها أن تنفرد بمنطق خاص بها وبذلك لا يمكن لها أن تنفصل عن منطق العقل البشري انفصلاً كلياً فهي معرفة اهتدى إليها الإنسان عن طريق الاتفاق والإصلاح بدافع الحاجة إلى التفكير والتواصل لذلك رأى ابن حزم أن لا تفاضل بين لغة وأخرى إلا بقدر ما تحمل هذه أو تلك من ثقل معرفي في مجال العلوم والفنون.

12- استعرض فلاسفة الأندلس جهود سابقهم في أمر اللغة من يونان وفرنس وعرب، وناقش ابن حزم وابن رشد العديد من النظريات التي استوقفتهما وخلصوا إلى:

- أنّ اللّغة من وحي العقل البشري خلافاً لأفلاطون الذي كان يرى أن لا شأن للإنسان في اللّغة.
- أنّ اللّغويين العرب كان لهم آراء أرسط مفهوماً دلّ على حقائق اللّغة وعلى ماهيتها واستدل ابن حزم برأي ابن جنّي.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم (رواية حفص).
- 2- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1965.
- 3- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل- بيروت، ط1، 1990.
- 4- الأحيمر السعدي، الديوان، عن (أشعار اللصوص و أخبارهم)، جمع و تحقيق عبدالمعین الملوحی، منشورات دار أسامة. دمشق، دط، دت.
- 5- ارست رينان، ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1957.
- 6- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام هراس، دار الفكر بيروت، 1991، ج3.
- 7- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره أوجست ملر (امرؤ القيس الطحان)، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، إعادة طبعة القاهرة، 1416هـ-1995م.
- 8- ابن باجة، رسائل فلسفية، تحقيق جمال الدين العلوي، المغرب، 1983.
- 9- - شروح السماع الطبيعي، تحقيق معن زيادة، دار الكندي، بيروت، 1962.
- 10- ابن تيمية (ت728هـ)، الرد على المنطقيين، تحقيق محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط1، 2003.
- 11- ابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الرابعة، 1990م.

- 12- ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.
- 13- ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف، تحقيق حسن أحمد عثمان، المكتبة المكية، مكة، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.
- 14- ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير، تحقيق عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، ط1، 1408، 1988م، ج1.
- 15- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (دط)، (دت).
- 16- ملخص إبطال القياس، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت.
- 17- التقريب لحد المنطق، تحقيق احسان عباس، دار مكتبة الحياة، لبنان-بيروت، ط1، 1900.
- 18- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1987م وتتضمن الرسائل التالية:
- أ- رسالة في مراتب العلوم.
- ب- التقريب لحد المنطق.
- ت- تفسير ألفاظ تجري بين المتكلمين.
- 19- ابن خفاجة، الديوان، تحقيق محمد الفارون الطباع، دار القلم، بيروت.
- 20- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (دط)، 1398هـ/1978م.

- 21- ابن دراج القسطلي، الديوان، تحقيق محمد علي مكي، المكتب الاسلامي، 1961.
- 22- ابن رشد أبو الوليد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق ودراسة د. منصور على عبد السميع، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م.
- 23- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415هـ-1994م.
- 24- تلخيص الخطابة، تحقيق د محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الكتاب الرابع عشر، 1387هـ-1917م.
- 25- تلخيص منطق أرسطو، تحقيق جيرار جيهامي، دار الفكر اللبناني-بيروت، ط1، 1992.
- 26- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- 27- ابن شهيد، الديوان، تصنيف يعقوب زكي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1973.
- 28- ابن طفيل، قصة حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، دار الآفاق-بيروت، ط5، 1992.
- 29- ابن عبد الله المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح إحسان عباس، السفر4، دار الثقافة، بيروت، ط1، دت.
- 30- ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق د عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1.

- 31- المبادئ والغايات في معاني الحروف والآيات، تحقيق سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006.
- 32- ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق د عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ-1993م.
- 33- ابن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1966م.
- 34- ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق د شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1366هـ-1947م.
- 35- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دط)، (دت).
- 36- ابن النفيس، كتاب شرح فصول أبقراط، تحقيق د ماهر عبد القادر محمد علي يوسف زيدان، دار العلوم العربية، دط، 1987م.
- 37- ابن النديم، كتاب الفهرست، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، دط، دت.
- 38- ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الحادية عشرة، 1383هـ.
- 39- أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مركز البحوث والدراسات اليمني، الطبعة الأولى، 1984م.
- 40- أبو حيان التوحيدي (ت414هـ)، الامتاع والمؤانسة، تحقيق هيثم خليفة الصعيمي، المكتبة العصرية، صيدا.
- 41- رسالة في العلوم، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1998م.

- 42- أبو الطيب اللغوي، الأضداد في كلام العرب، تحقيق عزة حسن، دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية، 1996م.
- 43- أبو الطيب المتنبى، ديوان المتنبى، دار بيروت للطباعة والنشر، دط، 1403هـ-1983م.
- 44- أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984.
- 45- أبو علي الفارسي، الصاحبى، تح السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة، دت.
- 46- أبو القاسم الشاطبي، متن الشاطبية، تحقيق محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، الطبعة الرابعة، 1426هـ-2005م.
- 47- أبو عبيدة البكري الأندلسي، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي، 1992.
- 48- أبو هلال العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي، (دط)، (دت).
- 49- أحمد أمين، ضحى الإسلام 298/1، دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام.
- 50- أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربيين بيروت، لبنان، دط، 1969.
- 51- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ، 1968م.
- 52- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1998.

- 53- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، لقاهرة، 1976م.
- 54- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: ، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط2.
- 55- أرندنك c. van Arendank ، دائرة المعارف الإسلامية، ج1، مادة ابن حزم، ص 136.
- 56- الإمام محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1953م.
- 57- امرؤ القيس، الديوان شرح وتحقيق د محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2002.
- 58- أنور الزعبي، ظاهرية ابن حزم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت، ط2، 2009.
- 59- الباقلاني، الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به في علم الكلام، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، 1421هـ-2000م.
- 60- بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الانماء القوني، لبنان، ط1، 1988.
- 61- التفتراني، شرح مختصر التصريف العزّي في فن التصريف، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط8، 1997.
- 62- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق د علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.
- 63- التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

- 64- **الجاحظ**، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1405هـ/ 1985م.
- 65- **الجرجاني**، التعريفات، الدار التونسية للنشر والتوزيع، دط، 1911.
- 66- **جرجي زيدان**، تاريخ آداب اللغة العربية، تقديم إبراهيم صحراوي، موفم للنشر، وحدة الرغبة - الجزائر، 1993م.
- 67- **جمال حمود**، ابن رشد وقلق عبارة أرسطو، موقع: Mouminoun wilhout3 بتاريخ 2016/12/12.
- 68- **جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي**، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م.
- 69- **جيرار تروبو**، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة الأردني، 1982.
- 70- **جيرار جيهاني**، مصطلحات ابن رشد الفلسفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1/2000.
- 71- **حنا الفاخوري**، وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، لبنان، دط، 1966.
- 72- **حنفي بن عيسى**، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 1981م.
- 73- محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، السنة 1981.
- 74- **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، العين، تحقيق د. محمد المخزومي ود. إبراهيم السمرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

- 75- **خير الدين الزركلي**، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، دت.
- 76- **دقاق عمر**، رائد التأليف المعجمي في الأندلس أبو علي القالي، مجلة التراث العربي، العدد09، السنة2، دمشق.
- 77- **دي بور**، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 78- **الذهبي**، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشر، 1417هـ-1996م
- 79- **الرديني محمد علي**، فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى-2002م.
- 80- **زكي نجيب محفوظ**، تحديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، الطبعة السادسة، 1980م.
- 81- **زيغريدهونكي**، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1970م.
- 82- **زينب عفيفي**، فلسفة اللغة عند الفارابي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1998م.
- 83- **سعيد الأفغاني**، نظرات في اللغة عند ابن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1969م.
- 84- **السكاكي**، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- 85- **سليمان الساني**، إياذة هوميروس، مطبعة الهلال- مصر، الطبعة الأولى 1904م.

- 86- **سيبويه**، الكتاب، تحقيق وشرح د. عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ، 1988م.
- 87- **السيوطي**، بغية الوعاة في الطبقات اللغويين والنحاة، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1399هـ - 1978م.
- 88- **السيوطي**، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.
- 89- **شاكر نوري**، منفى اللغة، نشر دبي للثقافة، الطبعة الأولى، 2011م.
- 90- **شمس الدين الذهبي**، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبد السلام عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1987م.
- 91- **الشيخ كامل محمد محمد عويضة**، ابن مسرّة الفيلسوف الزاهد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
- 92- **عبد الرحمن علي الحجي**، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م.
- 93- **طه عبد الرحمن علي الحجي**، حول لغة ابن رشد الفلسفية، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 175، الرباط، الطبعة الثانية، دت.
- 94- **طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبيدة**، الحضارة الإسلامية، دار الكتب العلمية- بيروت، دط، 2004م.
- 95- **عبد الأمير الأعمش**، المصطلح الفلسفي عند العرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1989.

- 96- **عبد الجليل مرتاض**، دراسات لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومة الجزائر.
- 97- **عبد الجليل مرتاض**، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، الطبعة الثانية، 2007م.
- 98- **عبد السلام المسدي**، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية، 1986م.
- 99- **عبد الراجحي**، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، دت.
- 100- **عصام نور الدين**، علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992.
- 101- **علي الجارم**، قصة الأندلس، بيروت- لبنان، ط2، 1978.
- 102- **علي سامي النشار**، منهج البحث عند مفكري الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دط، 1404هـ-1984م.
- 103- **عبد الواحد علي المراكشي**، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.
- 104- **الغزالي**، معيار العلم في فن المنطق، تحقيق د سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، دط، 1961م.
- 105- **الفرابي أبو نصر**، إحصاء العلوم، قدم له وشرحه وبوبه د علي بوملح، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.
- 106- **كتاب الحروف**، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت- لبنان، 1970.

- 107- **فتيحة باريك**، الجوانب اللغوية في رسائل ابن حزم الأندلسي،  
مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2008-2009.
- 108- **فخر الدين الرازي**، التفسير الكبير ومفتاح الغيب، دار الفكر،  
الطبعة الأولى، 1401هـ-1981م.
- 109- **فرح ديدوح**، درس الصوتي عند المفسرين في القرن السادس  
الهجري، رسالة دكتوراه 2016، جامعة تلمسان.
- 110- **فؤاد بن أحمد**، الفلسفة والفشل عند ابن طفيل، دار الهادي،  
بيروت، لبنان، ط1، 2007.
- 111- **فرح ديدوح**، دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين،  
منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دط، دت.
- 112- **الفيروز آبادي**، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد  
المصري، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.
- 113- **تاج العروس**، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر  
والتوزيع، دط، دت.
- 114- **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة  
الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر  
والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثامنة، 1426هـ-2005م.
- 115- **كارل بروكلمان**، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، بيروت،  
الطبعة الخامسة، 1977.
- 116- **ماجد فخري**، قادة الفكر ابن رشد فيلسوف قرطبة، المطبعة  
الكاثوليكية، بيروت، دط، دت.
- 117- **محمد بن أحمد بن عثمان**، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة،  
2001، ج2.

- 118- محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1984م.
- 119- محمد بن عمار درين، تأثير الكوفيين في نحاة الأندلس، منشورات جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1427هـ-2006م.
- 120- محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي الأندلسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1414هـ-1993م.
- 121- محمد الصالح الضالع، علم الأصوات عند ابن سينا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط، دت.
- 122- محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1995م
- 123- محمد طه الحاجري، ابن حزم صورة أندلسية: ، دار النهضة العربية، بيروت، ص ب 749، 1982.
- 124- محمد عابد الجابري، المتفقون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2008.
- 125- نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة السادسة، 1993م.
- 126- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، 1997.
- 127- محمد عزام، الأسلوبية (منهاج نقديا)، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، 1989.

- 128- **محمد مصطفى**، في الفلسفة والأخلاق، دار الكتب الجامعية، القاهرة.
- 129- **محمود السيّد**، ابن رشد ومنهجه في النحو، صحيفة تشرين، دط، 2009.
- 130- **محي الدين صبري الكردي**، جامع البدائع، حقوق الطبع محفوظة للناسر، ط1، 1921.
- 131- **المختار بن الطاهر التليلي**، ابن رشد وكتابه المقدمات، دار العربية للكتاب، بيروت، دط، 1988م.
- 132- **مكي درار وسعاد بسناسي**، المقررات الصوتية، منشورات دار الأديب، وهران - الجزائر، (دت).
- 133- **مكي درار**، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب، وهران، الطبعة الأولى، 2005م.
- 134- **نعمان بوقرة**، النظرية اللسانية عند ابن حزم، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2004.
- 135- **ياقوت بن عبد الله الحموي**، معجم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان، دط، 1397هـ-1993م.

#### المجلات:

- 136- مجلة العربي، العدد 653، أبريل 2013.
- 137- مجلة الفيصل، العدد 65، السنة السادسة، أيلول 1982.
- 138- مجلة الدراسات التاريخية والحضارية العدد 14 السنة 2012.
- 139- عالم المعرفة، مطابع الوطن العربي، الكويت، أغسطس 2001، العدد 16.

- 140- مجلة العربي، من التراث الصوفي عند التستري، العدد 517،  
ديسمبر 2001م.
- 141- مجلة أفكار وأفاق، العدد 02، السنة 2012، جامعة الجزائر.
- 142- مجلة فكر ونقد، العدد 29، سنة 2006، اكتشاف مخطوط لابن  
رشد.
- 143- مجلة التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، العدد 11، ديسمبر  
2003.
- 144- مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،  
العدد 34، 2015.
- الأنترنت:
- 145- موقع Naawat.org، بتاريخ 2005/03/11، لغة ابن رشد  
الفلسفية.
- 146- موسوعة المعرفة، كتاب شخصيات عربية.

# فهرس الأعلام

## فهرس الأعلام:

رقم الصفحات	الأسماء	الرقم
ب- من 01 إلى 10-32-68-142-143- 146-154-209-213.	الفارابي (ت336هـ)	01
ب- 1-9-143-146-170.	الكندي (252هـ)	02
ب-1-8-9-10-32-57-68-143-146- 156-199-201-203.	ابن سينا (427هـ)	03
دو-19-27-30-33-من 35 إلى 91- من 93 إلى 105-من107 إلى111-117-143- 150-162-177.	ابن حزم الأندلسي (456هـ)	04
دو-و-1-8- من 30 إلى33-من113 إلى177- 205-208-26-209.	ابن رشد القرطبي (595هـ)	05
دز-150- من 175 إلى 195.	ابن مسرّة (319هـ)	06
هز-43-175-177- من197 إلى 205.	ابن الكتّاني (420هـ)	07
هو-32-33-170-175-177- من206 إلى213.	ابن طفيل (581هـ)	08
هو-33-من 175 إلى177- من205 إلى 208.	ابن باجّة (533هـ)	09
هـ-180.	كامل محمد محمد عويضة	10
هـ-27-77-79-132-141-148-149-150.	ابن مضاء القرطبي (592هـ)	11
و-197.	احسان عباس	12
و	منصور عبد السميع	13
و	عبد الرحمن بدوي(2002م)	14
ز	محمد الصغير حسن	15

	المعصومي	
ز-2-147-156.	عبد الجليل مرتاض	16
ز	إبراهيم أنيس (1977م)	17
.32-9-1	الرازي (320هـ)	18
.10-1	ابن الهيثم (430هـ)	19
.10-1	البيروني (443هـ)	20
.151-147-22-2	الزجاجي (339هـ)	21
.156-155-152-67-60-23-4-2	الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)	22
.4-3	ابن السراج (316هـ)	23
.121-9-3	ابن أبي أصيبعة (668هـ)	24
-144-122-120-115-32-10-9-6-5-3 -172-170-161 إلى 155 من 152-147 .213-177-176	أرسطو طاليس	25
-107-77-60-25-21-10-9-8-6-4 .153 إلى 151-147	سيبويه (181هـ)	26
.4	الزجاج (311هـ)	27
.5	محسن مهدي (2007م)	28
.155-5	أبو حيان التوحيدي (414هـ)	29
.5	أبو سعد الفيراسي	30
.5	أبو بشر متى بن يونس (328هـ)	31
7-5	علي بن عيسى الرماني	32

	(384هـ)	
.4	الحملوي (1932م)	33
.7	فخر الدين الرازي (604هـ)	34
.109-50-29-10-9	جالينوس (199م)	35
.32-9	أفلاطون (347 ق م)	36
.9	يوحنا بن حيلان	37
.31-10	إقليدس (265 ق م)	38
.199-10	بطليموس (150م)	39
.206-29-10	أبقراط (370 ق م)	40
.86-84-83-22-10	الجاحظ (255هـ)	41
.13	ابن طوبال بن يافت	42
.13	المقرّي (1632م)	43
.15	ابن خفاجة (533هـ)	44
.15	الوليد بن عبد الملك (96هـ)	45
.16-15	موسى بن نصير (97هـ)	46
.23-16	عبد الرحمن الداخل (172هـ)	47
.20-17	عبد الرحمن الناصر (350هـ)	48
.17	الحكم المستنصر (366هـ)	49
.25-23-22-20-18	أبو علي القالي (356هـ)	50
.18	أبو نعيم القارئ المدني (169هـ)	51
.19	الإمام ورش (197هـ)	52

53	الإمام مالك (179هـ)	.19
54	معاوية بن حذير الحمصي	.19
55	صعصعة بن سلام أبو عبد الله الشامي	.19
56	الإمام الأوزعي (157هـ)	.19
57	الأصمعي (216هـ)	.116-23-20
58	السجستاني (250هـ)	23-20
59	الكسائي (188هـ)	.151-25-24-21-20
60	جودي بن عثمان (198هـ)	.147-25-24-21
61	الفراء (270هـ)	.24-21
62	أبو جعفر الدينوري	.21
63	الربّاحي محمد بن يحيى بن عبد السلام (352هـ)	.25-21
64	محمد بن النحاس (416هـ)	.21
65	الأخفش (210هـ)	.22-21
66	محمد بن اسماعيل الأنطاكي (377هـ)	.22
67	أبو عثمان سعيد ابن محمد النحوي القرطبي	.22
68	فرج بن سلام أبوبكر القرطبي	.22
69	المبرد (280هـ)	.107-22
70	محمد بن علاق البواب (325هـ)	.22

.22	ابن قتيبة (276هـ)	71
.25-23	الزبيدي (380هـ)	72
.23	ثابت بن عبد العزيز السرقسطي	73
.23	عبد الرحمن بن موسى الهوري (226هـ)	74
.26-23	محمد مكي بن أبي طالب القسي (437هـ)	75
.24	أبو عمرو الداني عثمان (444هـ)	76
.24	أبو القاسم الشاطبي (590هـ)	77
24	ابن خلكان (681هـ)	78
24	ابن الجزري (833هـ)	79
.147-25-21	الأفشنيق محمد بن موسى بن هشام (307هـ)	80
.25	عبد الله بن حرشن	81
25	عبد الله بن سوار بن طارق القرطبي (275هـ)	82
.25	أبو حاتم الرياشي	83
.25	الحسن بن عرفة	84
25	محمد بن حَبّادة الإشبيلي	85
.25	عبد الملك القرطبي المالكي (289هـ)	86
.25	دروة بن المنذر بن عبد الله بن	87

	سالم القرطبي (324هـ)	
.26	الأعلم الشنتمري يوسف بن سليمان (476هـ)	88
.119-28-26	أبو الطيب المتنبى (354هـ)	89
.26	مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)	90
.26	ابن سيدة الأندلسي (448هـ)	91
.26	أبو القاسم السهيلي عبد الرحمن (581هـ)	92
.27	ابن عصفور الإشبيلي (699هـ)	93
.27	ابن مالك الأندلسي (672هـ)	94
.27	أبو حيان الأندلسي الغرناطي (745هـ)	95
.27	ابن الصائغ (720هـ)	96
.27	ابن أبي الأحوص	97
.40-39-38-29	خالد بن يزيد بن معاوية (64هـ)	98
.155-85-29	ابن المقفع (143هـ)	99
.157-155-29	اسحاق بن حنين (298هـ)	100
.30	هارون الرشيد (193هـ)	101
.31	رديرنالشتري	102
.146-31	الخوارزمي (232هـ)	103

.146-143-41-40-31	جابر بن حيان (199هـ)	104
.31	كولومبلا	105
.31	أوروسيس	106
.31	إيزدور	107
.31	كنسي	108
.32	جريرت دي أورياك	109
.32	ليوناردو دي بيزا (1240م)	110
.33	جيرار الكريموني	111
.209-205-146-98-33	أبو حامد الغزالي (505هـ)	112
.181-178-166-33	ابن عربي (638هـ)	113
.33	جوهان اكهارث	114
.33	دانتي	115
.211-166-79-33-7	أبو العلاء المعري (449هـ)	116
.33	مقدم بن معافي القبري (299هـ)	117
.33	الأعمى التطيلي (485هـ)	118
.33	أبو بكر بن اللبانة (507هـ)	119
.34	لسان الدين بن الخطيب (761هـ)	120
.34	بدور الفونسو	121
.40	الفتح بن خاقان (263هـ)	122

40	دوزي	123
.40	جولد تسيهر	124
.40	الحميدي (488هـ)	125
.41	نجم أحمد بن سعيد	126
.42	أسين بلاثيون (1944م)	127
.42	غارسيا غومس	128
.45-43	أبو الحسين على الفارسي (377هـ)	129
.43	أبو القاسم عبد الرحمن بن زيد الأزدي	130
.43	ابن الجسور (401هـ)	131
.205-43	المجريطي (400هـ)	132
.43	عبد الله بن يحيى بن دحون	133
.43	أبو الوليد يونس بن الصفار (426هـ)	134
.43	الطبري (310هـ)	135
.43	صاعد	136
.44	هيرقليط (576ق م)	137
.44	هرموجين	138
.80-78-76-45	ابن جتي (392هـ)	139
.45	روسو (1778م)	140
.45	كونديال (1780م)	141

.46	هيردر (1803م)	142
.192-49-47	آدم عليه السلام	143
.48	علي عبد الواحد وافي	144
.48	جرجي زيدان (1914م)	145
.50-49	اسماعيل عليه السلام	146
.192-51-50	موسى عليه السلام	147
.193-50	إبراهيم عليه السلام	148
.64	زيغرد هونكي	149
.96-68	دي سوسير (1913م)	150
.69-68	جاكبسون	151
.68	ويلمسليف	152
.70	التواتي بن التواتي	153
.73	داود بن علي الظاهري (270هـ)	154
.75	ابن العريف (526هـ)	155
.143-77	ابن خلدون (808هـ)	156
.80	عبدہ الراجحي	157
.84	الحسن البصري	158
.86-85-84	سهل بن هارون	159
.200-198-85	أحمد ابن درّاج القسطلي (421هـ)	160
.88	بلومفيد	161

185-92.	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	162
.92	امرؤ القيس	163
.97	عبد القاهر الجرجاني	164
.98	عيسى عليه السلام	165
.98	ابن فارس (395هـ)	166
100	ابن السكيت (244هـ)	167
.154-107	الزمخشري (538هـ)	168
.117	أبو محمد بن عطية المحاربي	169
.117	ابن شهيد (426هـ)	170
.198-178-177-121-120-119	الخليفة يوسف بن عبد المؤمن	171
.120	الخليفة أبو يعقوب يوسف	172
.178-127-121	ابن الأبار (658هـ)	173
.121	عبد الواحد بن علي التميمي	174
121	الإمام البخاري (256هـ)	175
.121	عبد المؤمن بن علي	176
.122	أرنست رينان	177
.125	سيدي ولد مناه	178
.127	ابن عبد الملك المراكشي	179
.127	ولد هارون ولد الشيخ سيدي	180
127	ولد عباسي	181
.128	منصور علي عبد السميع	182

.128	محمد إبراهيم عبادة	183
.132	ابن قاسم عبد الرحمن السهيلي (581هـ)	184
.144	جرار جيهاني	185
.155-148	شوقي ضيف	186
.150	ابن سمحون	187
.150	ابن خروف (604هـ)	188
.152	أبو الخطاب	189
.152	عيسى بن عمرو (149هـ)	190
.152	أبو عمرو بن العلاء (154هـ)	191
.152	المازني (249هـ)	192
.154	سليمان عليه السلام	193
.155	إبراهيم مدكور	194
.157	حنين بن اسحاق (260هـ)	195
.161-158	أبو سعيد السيرافي (368هـ)	196
.160	ابن تيمية (728هـ)	197
.162	التفتزاني (771هـ)	198
.163	السكاكي (626هـ)	199
.177	يحيى بن يوسف بن تاشفين (537هـ)	200
.177	محمد بن المديني	201
.177	ابن صقيل القرطبي	202

195-193-191-186-184.	سهل التستري (283هـ)	203
.185	أبو بكر الصديق رضي الله عنه	208
.185	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	209
.185	عثمان بن عفان رضي الله عنه	210
.186	قطرب (206هـ)	211
.186	الفراء (207هـ)	212
.186	نجم الدين البكري (618هـ)	213
.186	ابن منصور الحلاج (309هـ)	214
186	ابن عباس رضي الله عنه	215
.187	موسى عليه السلام	216
.197	الحاجب المنصور (392هـ)	217
.197	المظفر	218
.198	عبادة وينس القسطلبي	219
.199	عبادة بن ماء السماء الأنصاري (34هـ)	220
.200	أبو بكر يحيى بن هذيل (267هـ)	221
.201-200	أحمد بن عبد ربه (328هـ)	222
.201	عبد الملك بن جهور	223
.202	محمد بن شخيص	224
.203	عبيد يلس	225

.204	مؤمن سعيد	226
214-213-212-210	أسال	227
.214-212-210	سلامان	228
.211	أحمد بن نعيم	229

# فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
01	﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾	النمل	19	ز
02	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	البقرة	31	47-45
03	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	البقرة	31	49
04	﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	فاطر	24	51
05	﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾	الشعراء	196	51
06	﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	يونس	10	51
07	﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرِنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾	إبراهيم	21	51
08	﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا	الأعراف	50	51

			رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴿﴾	
67-52	04	إبراهيم	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	09
57	64	الإسراء	﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾	10
57	19	لقمان	﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾	11
65	1 إلى 4	الرحمن	﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	12
75	03	المائدة	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	13
88	23	النجم	﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾	14
91	46	الأنفال	﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾	15
92	82	النساء	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	16
92	103	آل عمران	﴿وَلَا تَفْرُقُوا﴾	17
93	13	الشورى	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ﴾	18

			نُوحًا ﴿	
97	38	النبأ	يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴿	19
98	52	الشورى	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴿	20
98	171	النساء	﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾	21
99	169	آل عمران	﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	22
100	187	البقرة	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾	23
136	47	ص	﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾	24
139	119	المائدة	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	25
140	155	الأنعام	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾	26
154	03	النجم	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	27
154	23	الذاريات	﴿فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ﴾	28
158	36	الحج	﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾	29

158	237	البقرة	﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ﴾	30
168	10	الأحزاب	﴿وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	31
181	01	البقرة	﴿أَلَمْ﴾	32
188-181	01	الأعراف	﴿المص﴾	33
181	01	يوسف	﴿الر﴾	34
181	01	مريم	﴿كهعص﴾	35
181	01	طه	﴿طه﴾	36
181	01	الشعراء	﴿طسم﴾	37
181	01	النمل	﴿طس﴾	38
181	01	غافر	﴿حم﴾	39
181	02	الشورى	﴿حسق﴾	40
181	01	ق	﴿ق﴾	41
181	01	القلم	﴿ن﴾	42
187	01	يس	﴿يس﴾	43
187	18 91 92	التغابن الرعد المؤمنون	﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾	44

188	2-1	الإِخْلَاصُ	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	45
188	22	الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	46
188	23	الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾	47
188	24	الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	48
189	01	هود	﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾	49
190	07	هود	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾	50
190	54	الأعراف	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾	51
190	02	الرعد	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾	52
190	02	يوسف	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	53
190	01	إبراهيم	﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾	54

			مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿٥٥﴾	
190	01	الحجر	﴿الرَّئِئِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾	55
191	12	طه	﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	56
192	23	الذاريات	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	57
193-192	85	الحجر	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	58
193	73	الأنعام	﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ﴾	59
193	03	الشورى	﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	60
193	03	الدخان	﴿حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾	61
193	01	ق	﴿هُدًى وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾	62
194	01	القلم	﴿إِن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	63

# فهرس الموضوعات

## الموضوع:

## الصفحة:

أ-ح	المقدمة
01	<b>المدخل: الفكر اللغوي لدى الفلاسفة المسلمين</b>
02	- تمهيد
03	1- أبو نصر الفارابي
06	2- كتاب الحروف للفارابي
07	3- الجهود الصوتية عند الفلاسفة المسلمين
09	4- الفلاسفة المسلمون والتراث اليوناني
09	4-1- الكندي
09	4-2- الرازي
09	4-3- الفارابي
10	4-4- ابن سينا
10	4-5- ابن الهيثم
10	4-6- البيروني
11	4-7- ابن رشد
11	- الخلاصة
12	<b>الفصل الأول: بواعث الرقي الحضاري في الأندلس</b>
13	1- بلاد الأندلس الموقع والتاريخ
13	1-1- الأصل اللغوي لكلمة الأندلس
14	1-2- أهمية الموقع الجغرافي
15	1-3- طبيعة الأندلس الفاتنة

- 15 ————— 4-1- تاريخ الأندلس الإسلامي
- 17 ————— 2- مسيرة العلم والتنوير في الأندلس
- 18 ————— 3- العلوم التي دخلت الأندلس
- 18 ————— 3-1- العلوم الدينية
- 19 ————— 3-2- علوم اللّغة والأدب
- 21 ————— 4- هجرة كتب اللّغة والأدب من العراق إلى قرطبة
- 23 ————— 5- الحركة اللّغوية في الأندلس
- 24 ————— 6- نحاة الأندلس
- 28 ————— 7- إسهام الترجمة في إنكاء روح الحضارة في الأندلس
- 28 ————— 7-1- مفهوم الترجمة
- 28 ————— 7-2- فائدة الترجمة
- 29 ————— 7-3- نشأة حركة الترجمة عند المسلمين
- 30 ————— 7-4- مظاهر الترجمة في بلاد الأندلس
- 35 ————— **الفصل الثاني: المباحث اللّغوية عند ابن حزم (ت456هـ)**
- 38 ————— - تمهيد
- 38 ————— - سيرة ابن حزم الأندلسي
- 44 ————— **المبحث الأول: نشأة اللّغة عند ابن حزم**
- 45 ————— 1- التوقيف والاصطلاح

- 47 -2 ابن حزم يؤمن بالتوقيف
- 50 -3 التفاضل بين اللغات في نظر ابن حزم
- 52 -4 سرّ قوة اللّغة عند ابن حزم
- 53 **المبحث الثاني: التفكير الصوتي عند ابن حزم**
- 56 -1 مفهوم الصوت عند ابن حزم
- 56 -2 الصوت اللّغوي عند ابن حزم
- 57 -3 التغيير الصوتي عند ابن حزم
- 65 -4 ظواهر التشكيل الصوتي عند ابن حزم
- 66 -1-4 جهاز النطق لدى الإنسان
- 66 -2-4 جهاز النطق كما وصفه ابن حزم
- 68 -3-4 التواصل في منظور ابن حزم
- 71 -4-4 أعضاء جهاز السمع في منظور ابن حزم
- 74 **المبحث الثالث: التفكير النحوي عند ابن حزم**
- 74 -1 النحو العربي والمذهب الظاهري
- 77 -2 مفهوم النحو عند ابن حزم
- 78 -3 موقف ابن حزم من العلة في النحو
- 79 -4 موقف ابن حزم من القياس في النحو
- 80 **المبحث الرابع: التفكير الصرفي والبلاغي عند ابن حزم**
- 80 -1 الدرس الصرفي عند ابن حزم

84	2- الدرس البلاغي عند ابن حزم
88	3- نظرية المعجم عند ابن حزم
94	<b>المبحث الخامس: العلاقات الدلالية عند ابن حزم</b>
94	1- مفهوم الدلالة عند ابن حزم
97	2- أنواع الدلالة عند ابن حزم
107	<b>المبحث السادس: منهج ابن حزم في العلوم العربية</b>
107	1- خصائص منهجه العلمي
113	<b>الفصل الثالث: المباحث اللغوية عند ابن رشد (ت595هـ)</b>
115	1- تمهيد
116	2- قرطبة حاضنة ابن رشد
118	3- سيرة ابن رشد القرطبي
125	4- التفكير النحوي عند ابن رشد القرطبي
125	4-1- كتاب الضّروري في صناعة النحو
133	4-2- المباحث النحوية عند ابن رشد
142	4-3- خلاصة رأي ابن رشد في النحو العربي
143	4-4- قضايا المصطلح عند ابن رشد
147	4-5- علاقة المصطلح النحوي بالمصطلح الفلسفي عند ابن رشد

- 147-6-4 بين ابن رشد وابن مضاء القرطبي
- 151-7-4 بين ابن رشد وسابقه من نحاة المشرق
- 154-8-4 المنطق والنحو عند ابن رشد القرطبي
- 158-9-4 التوفيق بين المنطق وخصوصية النحو العربي
- 159-5-التفكير الصّوتي عند ابن رشد
- 162-1-5 مخرج المصوتات القصيرة
- 163-2-5 علاقة الإعراب بالمصوتات
- 165-3-5 أهمية المصوتات في بناء الكلمة
- 166-4-5 المقطع الصّوتي عند ابن رشد
- 169-6-المنهج اللّغوي عند ابن رشد

#### الفصل الرابع: الممارسات اللّغوية لابن مسرّة (ت319هـ) وابن الكتّاني

(ت420هـ) وابن باجة (ت533هـ) وابن طفيل (ت581هـ) 175

176 - تمهيد

177-1 ابن مسرّة

177-1-1 حياته ومساره العلمي

179-2-1 مؤلفاته

179-3-1 شخصيته العلمية

180-2- المجال اللّغوي عند ابن مسرّة

181	1-2- القول في الحروف جملة واحدة
184	2-2- القول في مبدأ كل حرف
197	3- ابن الكتّاني
197	1-3- حياته ومساره العلمي
197	2-3- عصره
198	3-3- جهوده البلاغية من خلال كتابه التشبيهات
204	4-3- ابن الكتّانيين الذوق الفني والموقف الفلسفي
205	4- ابن باجة
205	1-4- حياته ومساره العلمي
206	2-4- ابن باجة واللغة العربية
208	5- ابن طفيل
208	1-5- حياته ومساره العلمي
208	2-5- مدرسة ابن طفيل وأعماله
209	3-5- أعمال ابن طفيل
209	4-5- قصة حيّ بن يقظان
210	5-5- ما تضمنته القصة من أحكام
211	6-5- المجهود اللغوي في قصة حي بن يقظان
214	6- الخلاصة
216	الخاتمة
220	قائمة المصادر والمراجع

235	فهرس الأعلام
249	فهرس الآيات
257	الفهرس

## الملخص:

يعالج البحث جهود فلاسفة الأندلس في اللّغة العربية التي كانت أدواتهم في التفكير وفي كشف معالم ثقافة الحضارات، وكانت وسيلتهم في التواصل بحكامهم وأقراهم وأتباعهم، وفي نشر مآثرهم، لقد اقتنعوا بقدرة العربية ومطواعيتها؛ فراحوا يدرسون مستوياتها ويبحثون في أسرارها، وأدركوا أنه لا يمكن أن تستقل بمنطق خاص، فهي لا تنفصل عن منطق العقل ولذلك عاجلوا قضاياها بمنهج علمي.

**الكلمات المفتاحية:** فلاسفة الأندلس - اللّغة العربية - المنطق - الاتصال - المنهج.

### **Abstract:**

This research tackles the Andalus Philosophers' efforts in Arabic Language which was their tool in exploring the features of Civilizations' Culture. Moreover, it was their instrument of contact with the rulers and followers, contributing to the spread of their exploits as well. They were convinced with the language ability, thus, they ought to study its levels by exploring its secrets. Furthermore, they were aware that language could never bein dependent to particular Logics, that's because it is no longer separated from the Logics of Mind. For that reason, they treat its issues by following a scientific curriculum/ method.

**Key-words :** The Andalus philosophes-Arabiclanguage- logics- contact-method.

### **Résumé:**

Cette recherche porte sur les efforts des philosophes Andalous en langue arabe; qui était leur outil de réflexion et d'exploration des caractéristiques de la culture des civilisations. De plus, elle était leur moyen de contact avec leurs dirigeants et leurs partisans, contribuant ainsi à la diffusion de leurs exploits. Ils étaient convaincus de la capacité de la langue arabe, donc, ils ont essayé d'étudier ses niveaux en explorant ses secrets. De ce fait, ils étaient conscients que cette langue ne pourrait jamais dépendre d'une logique particulière ; parce qu'il n'est plus séparé de la logique de la raison. C'est pour cela, ils ont abordé une méthode et une approche scientifique afin de traiter leurs problèmes.

**Mots clés :** les philosophes Andalous- la langue arabe- la logique- le contact- la méthode.